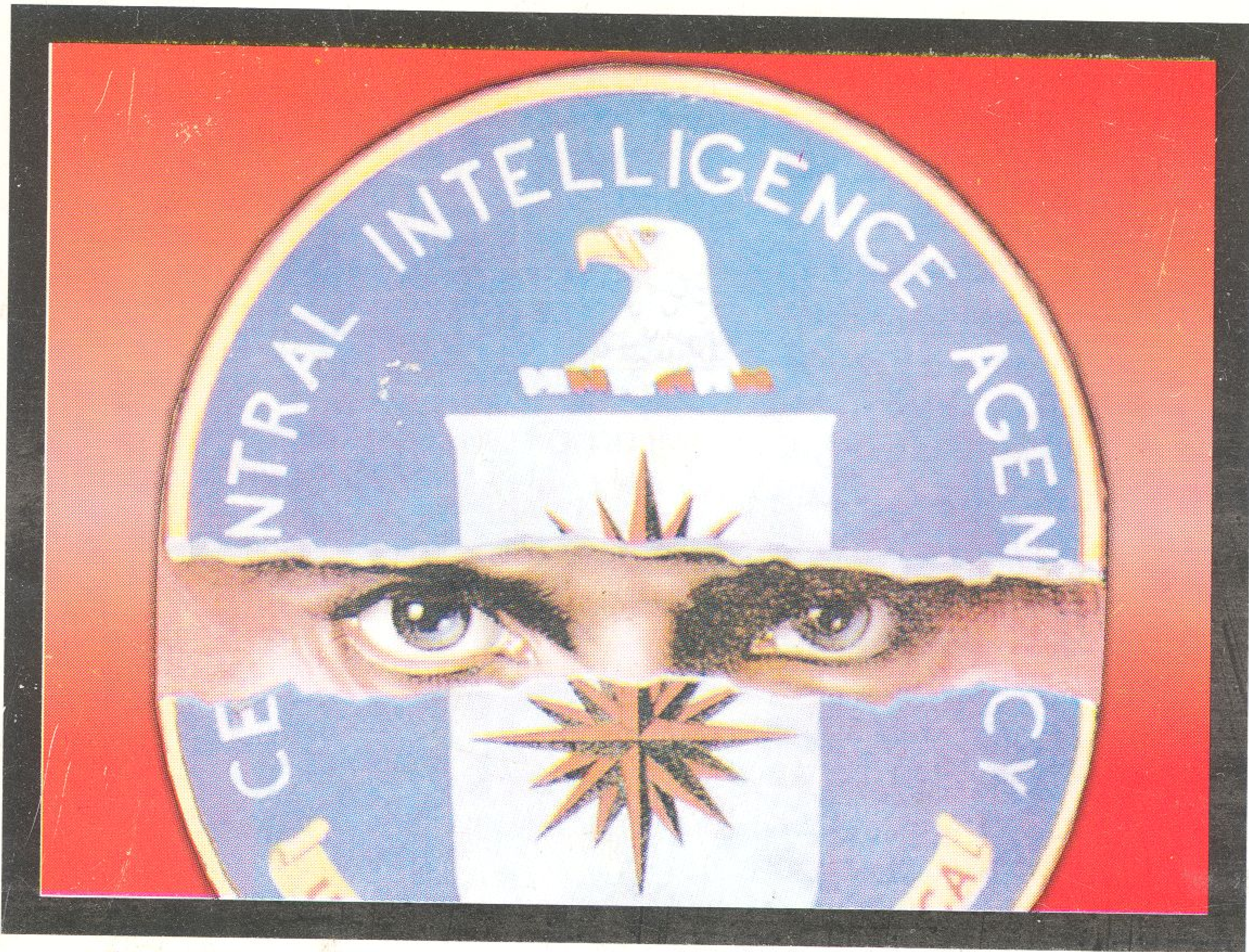
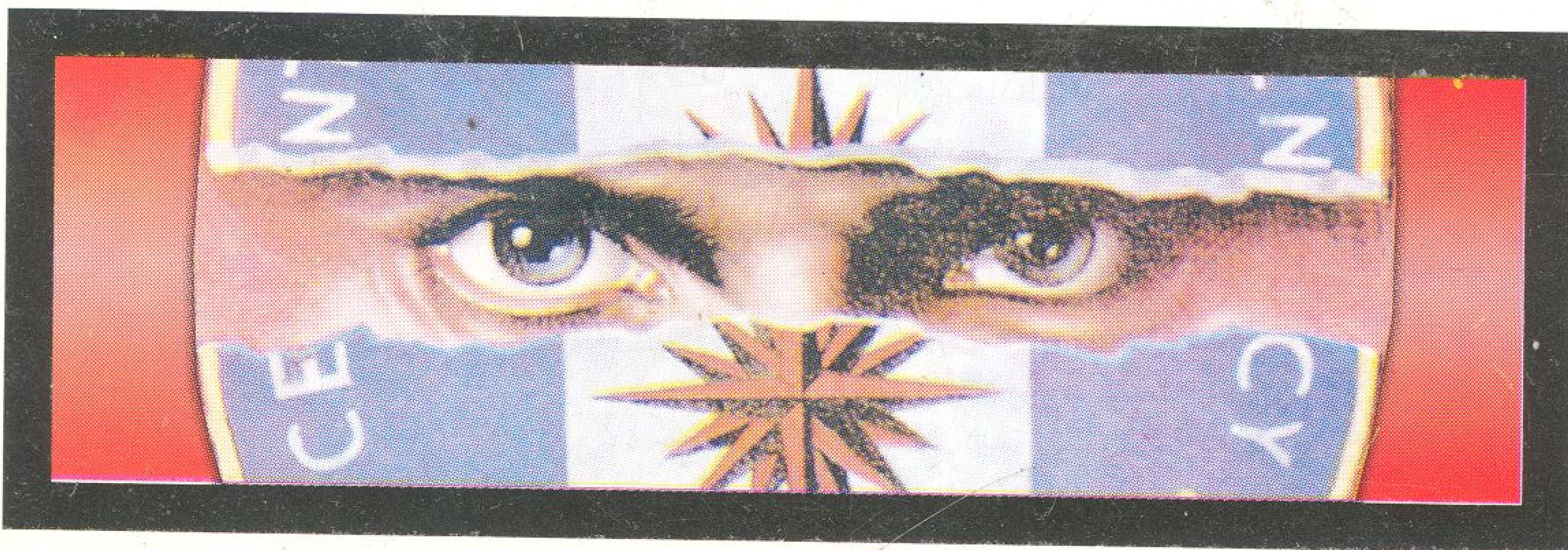
مركز
الحضارة
العربية



أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات





يوسف هلال

أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات

يوسف هلال

الغلاف : صلاح أحمد

الرسوم الداخلية : عصام طه

الطبعة العربية الأولى : فبراير ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٨/٤٠٠٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-291-079-9



- مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

4 ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
[illegible] : 3448368



يوسف هلال

أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات



■■ الإهـــداء

إلى / زوجتى وابنتى

تقـديرا وعـرفانا بـالحب لأسـرتـى الصـغيـرة الذى
بدونه لايستطيع أى إنسان أن يفعل أو يحقق شيىء مهما
أراد أن يفعل أو تمنى أن يكون !!

يوسف هلال
المهندسين ـ ٢٣ يناير ١٩٩٨

مقدمة

رغم مرور سنوات طويلة علي وقوع العديد من القضايا الهامة التى تحدث من حولنا.. إلا أننا فى كثير من الحالات لانعلم السبب الحقيقى وراءها. وفى أحيان أخرى نقف أمام بعض هذه الوقائع نترقبها ونرصدها ونحللها دون أن نصل إلى شىء !!

وتظل الوقائع كما هى مبهمة.. محيرة.. غامضة.. تبحث عمن يحل هذا اللغز ومن يفك هذه الشفرة.. ومن يزيل الغموض عن السر المجهول !!

يكفى أن نذكر أننا لانزال حتى الآن لانعلم - على وجه التحديد - السبب الحقيقى فى وفاة العديد من الزعماء والقادة والشخصيات الهامة فى تاريخنا المعاصر ؟!!

ولايزال سر وفاة هؤلاء لغزا غامضا يستعصى على الكثيرين فهمه أو كشف حقيقة حدوثه وأبعاده دون جدوى !!

ولايزال البعض يتساءلون : هل هؤلاء الزعماء والقادة إنتهى عمرهم بالفعل وماتوا وفاة طبيعية أو فى حوادث تمت قضاء وقدرا؟! أم أن هناك أيدى خفية كانت وراء هذه الوفيات المريبة ؟!

وبالطبع تستأثر مصر بعدد كبير من علامات الإستفهام المبهمة حول الشخصيات التى ماتت أو قتلت خلال النصف قرن الأخير.. ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الملك فاروق والمشير عبدالحكيم عامر والرئيس جمال عبدالناصر والليثى ناصف والمشير أحمد بدوى وجمال حمدان والعديد من الأسماء الأخرى التي لايزال الناس يتساءلون حتى الآن : (هل هؤلاء قتلوا أم إنتحروا ؟! وهل هم ضحايا حوادث مدبرة أم قضاء وقدر ؟!).

والحقيقة أنه لم يستطيع أحد أن يحسم هذا الأمر بشكل مطلق حتى الآن، فهناك العديد من الآدلة التى ترد على كل زعم وهناك الكثير من الشكوك التى تواجه كل إدعاء!!

وإذا أردت أن تعرف السبب أو تكشف السر.. فليس أمامك سوى طريق واحد هو البحث عن أجهزة المخابرات!!!

وهذه ليست ظاهرة مصرية فقط.. بل أن هناك العديد من الرؤساء والملوك والقادة والعسكريين فى العالم كله تحيط بحياتهم ووفاتهم الكثير من الأسرار المجهولة !!

نفس الشىء يتكرر في مراحل الإنقلابات العسكرية وتغير الأنظمة السياسية والإضطرابات الأمنية ومراحل التحول فى تاريخ الدول والتى كثيرا مايدور حولها العديد من الألغاز والأسرار الغريبة !!

ورغم التحقيقات المطولة التى تجريها أجهزة التحقيق ورغم التحريات المكثفة التى تقوم بها أجهزة البحث والتحرى ورغم الإهتمام السياسى والإعلامى بمثل هذه القضايا.. إلا أنه فى

النهاية يظل السبب الأساسى أو السر الحقيقى خافيا على الكثيرين !!

وإذا أردت أن تعرف السبب أو تكشف السر.. فابحث دائما عن أجهزة المخابرات !!

في معظم دول العالم المتقدمة والنامية على السواء لاتكشف الأسرار وعمليات المخابرات إلا بعد سنوات طويلة من وقوع الأحداث.. وتخصص الدول فترات زمنية معينة للإفراج عن وثائقها السرية التى تقلب الحقائق وتغير المفاهيم وتعيد ترتيب الأوراق فى أذهان الشعوب من جديد فور صدورها !!

فى المخابرات البريطانية تكشف الحكومة عن وثائقها بعد مضى ٣٠ عاما كاملة على وقوع الأحداث.. وكذلك الأمر بالنسبة للعديد من الدول الأخرى !!

ويقصد بالبعد الزمنى لكشف الأسرار والوثائق تحقيق الحياد التاريخى للأحداث وانتهاء الحرج السياسى والشخصى للقادة والزعماء المتورطين فى الملابسات والعمليات التى تتضمنها الوثائق التى يتم الإعلان عنها أو إذاعتها !!

وإذا أردت - أيضا - أن تعرف السبب أو تكشف السر.. فابحث دائما عن أجهزة المخابرات!!

وفى أجهزة المخابرات لايهم من يقوم بالتنفيذ.. المهم من يصدر الأمر ومن يحدد الأولويات والأهداف.

فالرؤساء لاينفذون ولايخططون.. هم - فقط - يتخذون القرار وعلى الأجهزة التنفيذ كلا فيما يخصه !

وفى ظل التكنولوجيا الهائلة التى توصل إليها العالم فى مجال التجسس وفى ظل التقارب الإعلامى الى جعل العالم أشبه بقرية صغيرة ومع إنتهاء الحرب الباردة بين قطبى العالم الغربى والشرقى.. فإن الكثيرون يعتقدون أن عصر أجهزة المخابرات قد إنتهى أو أوشك على الإنتهاء وأن عملائهم دورهم قد إنحصر وأصبحوا مثل مخلفات الثورة الصناعية أو من بقايا العصور الوسطى..وأن الجاسوس بمظهره التقليدى المعروف فى الرسومات وأفلام السينما والتى يرتدى فيها القبعة والمعطف ويمسك بيديه صحيفة مثقوبة يقرأ منها بعين وينظر مايدور حوله بالعين الأخرى قد إختفى للأبد !!

وأن هذا المشهد الذى كان يشوق الناس فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن قد إختفى وحل محله القمر الصناعى الذى يمكن أن ينقل من على بعد آلاف الكيلومترات فى الفضاء كل مايحدث وما يجرى داخل المنازل والمكاتب المغلقة دون عناء أو مغامرة !!

نعم كل ذلك قد يحدث بالفعل.. ولكن - أيضا - نشاط أجهزة المخابرات وعملياتها لن تنقرض كما يظن البعض.. ولن يتحول عملائها كما يرددون إلى ديكورات عاطلة تبحث عن عمل !!

وكل المؤشرات تؤكد أن دور أجهزة المخابرات سوف يتعاظم خلال القرن القادم خاصة ونحن مقبلون على مشارف القرن الواحد والعشرين وفى ظل إنحسار الحروب والمعارك العالمية سواء بين الدول وبعضها البعض أو بين الأنظمة السياسية داخل الدولة الواحدة !

وأثبتت السنوات الأخيرة الماضية أن فرص نشوب المعارك العسكرية بين الدول وبعضها أصبح أمر ا فى غاية الصعوبة بسبب التاكلفة الضخمة التى تتحملها هذه الحروب والخسائر البشرية والمادية والأزمات والصراعات والمشاكل التى تتسبب فيها . ولذلك فإن أغلب المشاكل سوف يتم حلها إما من خلال المفاوضات أو بواسطة أجهزة المخابرات !!

وباتالى فإن معظم الحروب القادمة فى العالم سوف تكون بالدرجة الأولى حروب حروب بين أجهزة المخابرات بينها وبين بعضها البعض.. حتى لو إقترنت هذه الحروب بالعديد من الكوارث والإضطرابات !!

وعلى خلاف كل التوقعات سوف يكون جواسيس القرن القادم.. بسطاء.. جهلة.. سذج.. محدودى الثقافة.. محدودى الذكاء.. ضعيفى الإمكانيات.. عديمى المواهب !!

ولن يكون لديهم مؤهلات.. وهم مجرد أفراد أو جماعات تشحن ونفرغ.. وتربط بالزمبلك لتتحرك أو تثور أو تغضب أو تقتل وتحقق الأهداف المطلوبة !

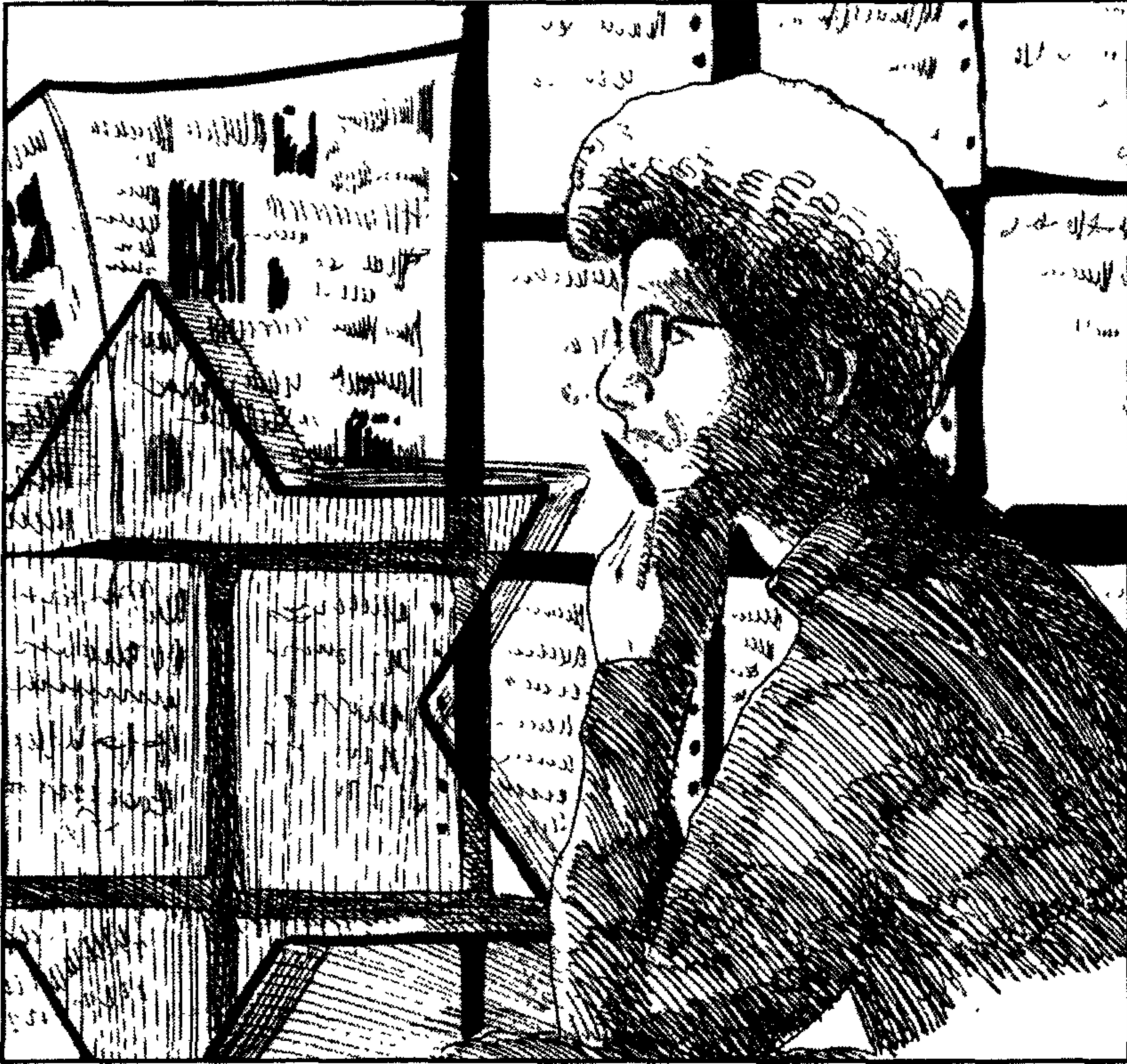
وعندما تشحن أو تفرغ أو تربط أو تتحرك فهى لاتدرى من أمرها شيئا فهى مسيرة لا مخيرة.. ومن كثرة عمليات غسيل المخ المتكررة التى تجرى لها أصبحت مثل الأرض المحروثة جيدا توضع فيها الأفكار والدعاوى والشائعات وأحيانا الخرافات والتهيؤات وتترك لتبث هذه الأفكار وتروج وتزدهر !

وهم ـ الجواسيس الجدد ـ فى شبه حالة تنويم مغناطيسى أو حالة اللاوعى بينما تقف أجهزة المخابرات من بعيد تحركهم وتراقب الموقف بطريقة «الريموت كنترول» !!

× × ×

الفصل الأول

جواسيس السياسة



■ فى أجهزة المخابرات كل المعلومات مشكوك فيها وكل الأنظمة خادعة ■ السفارات الأجنبية خلايا نشطة لممارسة التجسس بكل أنواعه ■ الموساد توقع إتفاق تعاون مع المخابرات الأمريكية ثم تتجسس عليها ■ السفارة الأمريكية فى مصر من أكبر السفارات الأجنبية فى الشرق الأوسط ■ المخابرات الإسرائيلية تتجسس على السادات خلال زيارته الشهيرة للقدس

فى السياسة .. كل شىء يتغير !!

لاشىء ثابت ولاشىء مستقر !!

أعداء الأمس .. أصدقاء اليوم !

أصدقاء الأمس .. أعداء اليوم !

المصلحة هى التى تسود .. تتحكم وتقود وتؤثر !

وهى التى تدير بوصلة العلاقات السياسية بين الدول والحكومات !

وهى التى تجعل السياسيين يلتقون ويتقاربون ويتصادقون !!

وهى التى تجعلهم - أيضا - ينفرون ويتباعدون ويتقاتلون !!

مصلحة البلاد هى التى تجعل قادة الدول يسيرون فى كل اتجاه . يكونون الأحلاف العسكرية ويخططون الجبهات الداخلية ويقيمون المحاور بين الدول فى مواجهة الدول الأخرى!!

والحرص على مصلحة البلاد تدفع الدول للتعاون حتى مع الأعداء !!

وهكذا تتغير الأدوار والعلاقات فى عالم السياسة كما تتغير المقاعد فى لعبة الكراسى الموسيقية !!

ولكن .. هذا لا يعنى أن السياسيين أفاقون . مخادعون . لديهم أكثر من وجهة . يقولون أشياء ثم يتراجعون عنها . ينتهجون سياسات ثم سرعان ماينقلبون عليها !!

أبدا - السياسيون معذورون !!

فهم يريدون ولا يستطيعون .. يتفاوضون ولاينجحون .. يسعون ولا يجد من يرحب بهم !!

والسياسة لا قلب لها .. فهى لا تعرف المشاعر ولا تقدر الأحاسيس .. وهى - دائما - متغيرة متقلبة متمردة !!

وكثيراً ما سمعنا خطباً حماسية من زعماء ورؤساء وملوك ضد زعماء ورؤساء وملوك .. ثم بعد حين نجد هؤلاء وهؤلاء يلتقون معاً ويتبادلون الأحضان والابتسامات والقبلات، وكأن شيئاً لم يكن!!

ويندهش البعض ويتساءلون كيف تغيرت المواقف ؟ ! وكيف تبدلت المشاعر ؟ ! وكيف تمت مداواة الجروح والتغلب على هذه المحن واجتياز الأزمات ؟ !!

والحقيقة.. أن علاقات مصر الخارجية تغيرت خلال الـ ٢٥ عاما الماضية بشكل يدعو إلى الدهشة والتأمل !! وهناك ثلاث محطات أساسية مرت بها سياسة مصر الخارجية :

- الأولى : عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠.. كانت مصر ترتبط بعلاقات صداقة قوية مع الاتحاد السوفيتى وتواجه مشكلات فى العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية .. ولكن.. لم تمض سوى سنوات معدودة حتى انقلب الوضع تماما وأصبحت علاقات مصر مع الولايات المتحدة أهم ملامح العلاقات الخارجية المصرية !

- الثانية : خلال حكم الرئيس أنور السادات .. حيث شهدة العلاقات المصرية العربية تدهوراً كبيراً عقب توقيع اتفاقية كامب دايفيد . ولكن بعد حكم الرئيس حسنى مبارك استعادت مصر مكانتها وعادت جامعة الدول العربية إلى القاهرة .

- الثالثة : خلال السنوات الأولى من حكم الرئيس مبارك وبالتحديد فى بداية الثمانينيات . كانت علاقات مصر الخارجية مع بعض الدول العربية تشهد أزمات مثل العلاقات مع ليبيا وسوريا وعلاقات تعاون وتكامل مثل الوحدة مع السودان . ولكن - الآن - وبعد مرور نحو ١٠ سنوات فقط تبدلت الصورة تماما وأصبحت العلاقات المصرية - الليبية، والمصرية - السورية على أحسن ما يكون . بينما وصلت العلاقات السياسية بين مصر والسودان إلى أسوأ أوضاعها حتى أصبح السودان يحتل أحد المصادر التى تصدر الإرهاب إلى مصر والذى يستهدف ضرب الاستقرار الداخلى .

وحتى العلاقات مع إسرائيل العدو التقليدى للدول العربية دخلت - أيضاً - فى مرحلة التغير . وتم عقد معاهدات صلح بينها وبين كل من مصر والأردن.. وهناك مفاوضات حالياً بين الفلسطينيين والاسرائيليين وأصبحت لإسرائيل مكاتب لرعاية المصالح فى كل من تونس والمغرب. كما توجه بعض الدول العربية الدعوة لإسرائيل لحضور مؤتمراتها والمشاركة فى المعارض والندوات التى تقيمها بدون أى حساسيات!!(١)

فى العرف الأمنى هناك قاعدة معروفة تقول .. إذا أردت أن تعرف الجانى فعليك بالبحث عن من المستفيد ؟ !

ولكن فى أجهزة المخابرات لا تسرى هذه القاعدة . فقد يكون المستفيد غير الذى تورط . وقد يكون المتورط غير مستفيد !!

أو بمعنى آخر قد تكون الدولة التي تخطط لعملية جاسوسية ترتبط بعلاقات صداقة قوية مع دولة أخرى . ومع ذلك فهى تريد التجسس عليها !! وقد تكون الدولة التى تقوم بالتجسس مشتركة فى تحالف مع الدولة الأخرى ولديها مصالح وعلاقات وبروتوكولات تعاون يتم تنفيذها . ولكن ذلك لا يمنع من استمرار عمليات التجسس !!

---

(١) حضرت إسرائيل ثلاثة مؤتمرات كبري في الدول العربية خلال السنوات الثلاث الماضية . الأول كان المؤتمر الاقتصادي عام ١٩٩٥ في كازابلانكا بالمغرب، والثاني عام ١٩٩٦ في القاهرة، والثالث عام ١٩٩٧ في قطر .

وفى أجهزة المخابرات .. كل المعلومات المتاحة مشكوك فيها حتى يتم التأكد منها !! وكل الأنظمة خادعة حتى يثبت حسن نيتها !! وكل التصريحات الرسمية تحمل أكثر من معنى !! وفى النهاية لا مفر من المغامرة !!

والمغامرة فى أجهزة المخابرات تعنى عملية تجسس جديدة !

وعمليات التجسس بين الأصدقاء تكشف العورات ، وتثير الحساسيات ، وتقلب الحسابات رأسا على عقب !!

ومهما تعددت مبررات أجهزة المخابرات فإن ذلك لا يمحو الآثار السيئة التى تتركها على علاقات الدول والظلال السوداء التى تتراكم على مجريات الأحداث وأشكال التعاون السياسى فى المستقبل !!

لا شك أن السفارات الأجنبية فى الدول الصديقة تلعب دوراً مهما فى القيام بعمليات التجسس سواء كان ذلك يتم بشكل مباشر أو غير مباشر . تحت اسم الحصانة أو بواسطة الحقائب الدبلوماسية المغلقة التى ترد للسفارات وتحتوى على الكثير من الأجهزة والمعدات الحديثة للتجسس والمراقبة والبحث تمكن هذه السفارات من جمع المعلومات ورصد الخطط وتوقع الأحداث !!

وبعض السفارات الأجنبية تقوم بإصدار تقارير شهرية أو سنوية حول الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى الدول المضيفة أو الصديقة . وبعض المعلومات الواردة فى هذه التقارير تنشر وتوزع على المكاتب الإعلامية والدبلوماسيين وأعضاء السفارة وتصل إلى أجهزة الإعلام والصحف التى تقوم بنشرها دورياً . أما بالنسبة لباقى التقارير فهى خاصة وتحمل عبارة « سرى للغاية » وعادة ما تأخذ طريقها إلى الخارج دون أن تمر على أحد بالداخل !

ولا يخفى على أحد أن هناك عدداً لا بأس به من أعضاء كل سفارة أجنبية تضم أفرادا أو ضباطا من المخابرات. وهم وإن كانوا يحملون الصفة الدبلوماسية ويتمتعون بالحصانة إلا أنهم فى نفس الوقت يمارسون عملهم باعتبارهم ضباط أمن بالدرجة الأولى، ومهمتهم الحصول على المعلومات التى يكلفون بالحصول عليها من أجهزة المخابرات التى يتبعونها.

وبالطبع يزود عضو المخابرات السرى بالسفارة بالأسلحة والأجهزة والمعدات التى يحتاجها لأداء مهمته ويكون سفير الدولة على علم بنشاط هذا العضو باعتباره أحد أعضاء السفارة. ولكنه لايتدخل فى طبيعة عمله أو نوعية المهام التى يكلف بها!

وفى كثير من الأحيان تحدث مشكلات بين أجهزة الأمن الرسمية وضباط الأمن التابعين للسفارات الأجنبية حول سلطات وتسليح أمن السفارات . (١) خاصة عندما تشتبه أجهزة الأمن فى أحد الطرود الدبلوماسية التى تحمل أجهزة أو مواد غريبة. حيث سبق أن اعترضت أجهزة الأمن المصرية فى ديسمبر ١٩٩٦ على شحنة من المسدسات التى تستخدم للتسليح الشخصى والتى حضر بها رجال الأمن الإسرائيلى(٢) الموكلين بمهمة تأمين السفير والسفارة وأعضاء السلك الدبلوماسى، ولم يتم تسليم هذه المسدسات إلا بعد ضغط وإصرار السلطات المصرية على ذلك بشرط أن يسمح لهم بالعودة بهذه الأسلحة عند سفرهم إلى إسرائيل.

ونفس الشىء تكرر - أيضا - بالنسبة لخمسة حقائب دبلوماسية خاصة بالسفارة الإسرائيلية وصلت إلى القاهرة على الطائرة (العال) التابعة لخطوط الطيران الإسرائيلى وبعد مساومات طويلة تم فتح الحقائب واكتشف بداخلها كاميرات أمريكية متطورة جدا ولايوجد مثيل لها فى مصر وأنها خاصة بتأمين الطرق للسفارة الإسرائيلية من الأربع جهات الجغرافية للسفارة وهى من نفس أنواع الكاميرات التى تستخدمها إسرائيل فى مراكز الإنذار المبكر الموجودة على هضبة الجولان، وأن دخولها يتطلب تصريحا خاصا !

وفى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن اكتشفت أجهزة الأمن الأمريكية عملية تجسس تمكن خلالها جاسوس إسرائيلى من نقل معلومات بالغة السرية من الملفات الأمريكية عن قضية السلام والدور الأمريكى الفعلى. (٣) حيث اتضح وجود هذا الجاسوس بالصدفة البحتة خلال عملية استراق السمع والتنصت التى تقوم بها الأجهزة الأمريكية على أجهزة اتصالات السفارات الأجنبية فى واشنطن والتى تجريها وكالة الأمن القومى بنظام معين.

وقد استمع رجال وحدة التنصت إلى مكالمة كان من المفروض أنها مؤمنة ضد استراق السمع بواسطة الأجهزة الحديثة من مبنى السفارة الإسرائيلية بواشنطن. وفى أثناء المكالمة حدث انقطاع تيار كهربائى مفاجىء عن مبنى السفارة استمر لمدة دقيقة واحدة وهذا التوقف الكهربائى أحدث عطلا فنيا طارئا فى جهاز تأمين المكالمات الذى تستخدمه معظم السفارات فى العالم. مما أدى لسهولة التقاط المحادثة من وحدة التنصت التابعة للأمن القومى الأمريكى. وفى المحادثة سمع متحدث من داخل السفارة الإسرائيلية اتضح أنه مندوب المخابرات الإسرائيلية يعمل بين طاقم السفارة يتحدث مع رئيسه فى مقر الموساد بإسرائيل. وخلال المحادثة قال مندوب الموساد بواشنطن :

(١) تعتبر السفارة جزءا من أرض الدولة داخل الدولة المضيفة تسري عليها كافة الأحكام والقوانين والسيادة التي تتمتع بها الدولة نفسها.
(٢) يطلق علي رجال الأمن الإسرائيلي لقب «الشين بيت» باللغة العبرية.
(١) صحيفة «الواشنطن بوست» الأمريكية في ١٩٩٧/٥/٧ .

(الياهو بن اليسار (١) يطلب منى الذهاب إلى «ميجا» لكى أحضر منه نسخة نص خطاب الضمانات الأمريكية الذى قدمه وزير الخارجية الأمريكى الأسبق وارين كريستوفر لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات عقب توقيع اتفاق الانسحاب الإسرائيلى من مدينة الخليل).

وعلى الطرف الآخر من خط التليفون القادم من مقر الموساد بتل أبيب سمع رجال وحدة التنصت الأمريكية ضابط الموساد المركزى يقول :

(طبعا لاتنفذ طلبه. فمن قال أن «ميجا» يستخدم فى مثل هذه الأمور) !!!

وعقب ذلك عادت الكهرباء لمبنى السفارة الإسرائيلية. وبدأ جهاز اعتراض وتأمين المكالمات يعمل من جديد. وبالتالى انقطع التنصت. لكن الجهاز الأمريكى كان يكفيه تسجيل تلك المكالمة التى دارت فى أقل من دقيقة حتى يتأكدوا من وجود جاسوس جديد يدعى (ميجا) من المرجح - على حد تعبير المباحث الفيدرالية التى حققت فى القضية - أنه يشغل منصبا حساسا فى الإدارة الأمريكية مما يمكنه من النفاذ بسهولة للمعلومات التى تطلبها المخابرات الإسرائيلية منه. وأنه هام جدا بالنسبة للموساد حتى أنهم لايطلبون منه إلا المعلومات شديدة الخطورة!

وفى الوقت الذى تهرب فيه مسئولو الأمن القومى والبيت الأبيض من التعليق على الفضيحة الجديدة أعلن نيكولاس بيرنز المتحدث باسم الإدارة الأمريكية أن إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة دولة صديقة وحليفة مهما كانت الظروف. بينما أعلنت جانيت رينو وزيرة العدل الأمريكية والمدعى العام فى النظام الأمريكى بعد نشر الصحيفة الأمريكية الواقعة أن هناك تحقيقا موسعا قد بدأ، وأنه توجد قائمة تضم عددا من كبار المسئولين بوزارة الخارجية الأمريكية ومجلس الأمن القومى وضع أصحابها تحت المراقبة اللصيقة. حيث يعتقد أن أحدهم هو (ميجا) الذى أشارت إليه المحادثة التليفونية المتسربة من السفارة الإسرائيلية بواشنطن باعتبار (ميجا) هو الوحيد الذى يمكن أن يكون مصدرا ناقلا للمعلومات الأمريكية السرية.

وأشارت إحدى الصحف الأمريكية (٢) أن السفير الإسرائيلى فى الولايات المتحدة يعد من كبار ضباط الموساد الذى انضم إليه إلياهو بن أليسار فى عام ١٩٥١، وكان من أول الضباط الذين عملوا بالجهاز عقب إنشائه فى ١ إبريل ١٩٥١، وعددت الصحيفة مهام بن اليسار فقالت أنه عمل ضمن مجموعة عمل نفذت عدة مهام لها ضد مصر والدول العربية. وكان من ضباط الموساد فى قاعدة الجهاز فى أسمرة بأثيوبيا، وأن التحقيق والبحث وراء الجاسوس (ميجا) لم يبدأ عقب النشر فى الواشنطن بوست، بل بدأ منذ التقطت المحادثة فى يناير

---

(١) السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة الأمريكية ويشغل هذا المنصب منذ فترة طويلة.

(٢) صحيفة هيرالد تريبكون الأمريكية - ١٩٩٧/٥/٨ .

١٩٩٧، وأن (ميجا) عضو بالإدارة الأمريكية وأنه نجح فى إرسال سيل من المعلومات للموساد منذ مجىء بيل كلينتون للحكم. وذكرت الصحيفة أن الوحدة رقم «٥» فى جهاز المباحث الفيدرالية هى التى تتولى التحقيق فى قضية (ميجا) كما أطلقوا عليها.

وتعتبر الوحدة الخامسة (FBI) هى المسئولة عن التحقيق فى القضايا المتعلقة بالأجانب فى الولايات المتحدة بما فيهم رعايا السفارات الأجنبية. واتضح أن المعلومات التى سجلت على شريط التنصت قد نقلت بعد ١٢ ساعة من تسجيلها إلى الرئيس الأمريكى بيل كلينتون والذى أمر على الفور بسرعة البحث فى القضية للوقوف على حجم الخسائر السياسية والأمنية والدبلوماسية التى يمكن أن يكون (ميجا) قد تسبب فيها على مدى أعوام خدمة كلينتون كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية. ويرجح رئيس عمليات جهاز المباحث الفيدرالية الأمريكية أن عملية (ميجا) من شكلها الحالى تعد أكبر بمراحل من عملية الجاسوس الإسرائيلى الأمريكى جوناثان جاى بولارد الذى قبضت عليه المباحث الفيدرالية فى ٢١ نوفمبر ١٩٨٥ ولايزال فى سجنه بأمريكا حتى الآن.

وعلى الجانب الآخر ذكرت جريدة (معاريف) الإسرائيلية أن الجاسوس (ميجا) لن يتم التوصل إليه نهائيا. لأنه مستر إكس الذى لايزال غير معروف فى قضية جوناثان بولارد، وهو الذى أطلقوا عليه لقب (السايعا تيم) باعتباره مساعد عمليات الموساد فى العالم، وهو حلقة الاتصال الدائم بين الموساد والعملاء فى مختلف الدول. وفى نفس الوقت فتحت جريدة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية ملف وحدة (عال) التابعة للموساد والتى تعمل فى أمريكا، وهى الوحدة التى أشير إلى أنها أكبر وحدات الموساد وأهمها، ومهمتها جمع المعلومات من داخل دهاليز الإدارة الأمريكية عن نشاط الولايات المتحدة السياسى والدبلوماسى والعسكرى فى العالم وكذلك كل مايتعلق بالدول العربية كعلاقات سرية مع الإدارة الأمريكية. وهذه الوحدة هى المسؤلة عن خنق جهود السلام وإفشال الدور الأمريكى وإصابته بعدم الاتزان. لأن المعلومات المتسربة إليها تجعل الموساد يلهو بالقضية برمتها وأن حصول الموساد على معلومات عن الضمانات الأمريكية يجعل إسرائيل تخطط وتبدل الأوراق الإسرائيلية ضد أى نوع من الاتفاقيات السلمية، وفى النهاية تنهار المفاوضات. وهكذا كلما وجدت أمريكا أفكارا جديدة أو مخرجا للسلام يسارع الموساد لسد هذا المخرج ولإفشال الفكرة الأمريكية.

■■■

الغريب فى الأمر أن إسرائيل تتجسس على أمريكا رغم وجود معاهدة مشتركة للتعاون المخابراتى بين البلدين موقعة منذ ٤٦ عاما وبالتحديد فى مايو ١٩٥١ والتى على أساسها يتم تبادل المعلومات والتعاون، وكان رؤوفين شلواح الأب الروحى ومؤسس الموساد قد وقعها مع

نظيره الأمريكى آلان دالاس فى الولايات المتحدة، وهى التى نصت صراحة على التعاون والابتعاد عن تجسس أى من إسرائيل أو أمريكا على الأخرى. (١)

وقد ترتب على اكتشاف عمليات التجسس الإسرائيلية فى الولايات المتحدة الأمريكية أن قرر الجيش الأمريكى الابتعاد عن الدخول فى أية مشروعات مشتركة مع إسرائيل عقب الكشف عن العملية الأخيرة. كما تقرر إيقاف عقد شراء أجهزة اتصالات لاسلكية أمريكية ـ إسرائيلية مشتركة، تنتج فى مصنع فى مدينة تلس الأمريكية، وكان المفروض أنه سيحصل على الطلبية فى منتصف عام ١٩٩٨ لكن العقد توقف بعد تدخل هيئة الأمن القومى والمخابرات المركزية الأمريكية التى خشيت أن تكون الأجهزة بها ناقلات أو مراسلات إلكترونية تجعل اتصالات الجيش الأمريكى كلها متاحة لآذان إسرائيل !

ويذكر تقرير سرى للمخابرات الأمريكية صادر فى يناير ١٩٩٧ أن الموساد الإسرائيلى قام بعدة عمليات ضد المصالح الأمريكية وأنه يتجسس على الملفات السرية الأمريكية ويسعى دائما للضرر بالعلاقات الأمريكية ـ العربية. وشمل التقرير قضية شركة (تور إير) الأمريكية المملوكة للإسرائيلى موريس نحتومى رئيس الشركة نفسها. وكانت المباحث الفيدرالية قد اكتشفت أن طائرات (تور إير) قد نفذ إليها مجهول وقام بعملية تخريب إلكترونية واسعة، واتضح أنه كان يقصد إسقاط إحدى رحلات الشركة لتل أبيب، وعند التحقيق اكتشفت المباحث الفيدرالية أن المخرب ضابط بالموساد حاول تخريب أجهزة الطائرة لتسقط وتلتصق التهمة بإحدى الدول العربية. وقد أغلقت المباحث الفيدرالية يومها ملف التحقيق لحساسية القضية وتأثيرها السلبى على السياسة الأمريكية ضد ليبيا بشأن قضية لوكيربى.

وورد بالتقرير ـ أيضا ـ قضية الضابط الإسرائيلى أريه برنارد (٥٢ عاما) الحارس السابق لرئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير، وكانت المخابرات الأمريكية المركزية اكتشفت أنه جند بواسطة الموساد فى عام ١٩٩٦ لتزوير ١١ مليار دولار أمريكى بهدف إحداث انهيار متعمد فى ميزان الاقتصاد الأمريكى فى العالم. واتضح أن إسرائيل كانت ستغسل تلك الأموال فى العديد من الدول ثم تعود لشراء أسلحة أمريكية بها. وكشف التقرير أن الإدارة الأمريكية أرسلت لإسرائيل إنذارا لكى توقف عمليات غسيل الأموال القذرة فى العالم والتى قدرت خلال عام ١٩٩٦ بمبلغ ٣٥٠ مليار دولار أمريكى. كما طالبت الإدارة الأمريكية إسرائيل بالابتعاد عن تدخل الموساد فى عمليات غسيل الأموال لأن الناتج النهائى لتلك العمليات سيكون فى انهيار الاقتصاد الأمريكى.

كما استفاد الموساد كثيرا خلال تعقبها للأشخاص المطلوبين من قائمة المجندين الفلسطينيين الذين يدعونهم مسئولو الموساد (بالعملاء السود)، ولم تتردد الموساد فى استعمال

(١) توحيد مجدي ـ روز اليوسف ١٩٩٧/٥/١٩ .

جوازات سفر الدول الصديقة لها من أجل تسهيل تحركات عملائها. فعندما تم اكتشاف ثمانية جوازات سفر بريطانية مزورة فى أحد أكشاك الهاتف فى ألمانيا عام ١٩٨٧ أعربت بريطانيا عن سخطها وغضبها عندما علمت أن المسئولية فى ذلك تقع على عاتق البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية فى بون. وكانت هذه الحادثة بداية لفضيحة سياسية أجبرت . فيما بعد . الموساد على إغلاق مكتب ارتباط لندن فى عام ١٩٨٨.

والواقع أن حادثا خطيرا آخر كان قد وقع قبل اكتشاف الجوازات؛ وتمثل فى فشل الموساد فى إبلاغ رجال المخابرات البريطانية فى جهاز (إم . أى . ٥) بمؤامرة منظمة التحرير لاغتيال فنان الكاريكاتير على الأحمدى الذى كان يقيم فى لندن ويسخر من عرفات فى رسوماته.

وبعد عشرة أيام من قتل رسام الكاريكاتير ألقى بوليس اسكتلانديارد البريطانى القبض على طالب فلسطينى تبين أنه كان عميلا للموساد، فقد قال هذا الطالب الذى يدعى إسماعيل صوان أن المسئولين عنه فى تل أبيب كانوا يعرفون مسبقا وبشكل جيد بالمؤامرة التى استهدفت قتل رسام الكاريكاتير، ولذا رفض الموساد تقديم المعلومات التى لديها حول هذه القضية للمخابرات البريطانية، وبالتالى ردت بريطانيا على ذلك بطرد اثنين من الدبلوماسيين الإسرائيليين من لندن بعد ذلك.

ومن الواضح أن رد فعل بريطانيا إزاء تزوير الموساد لجوازات السفر لم يردع الموساد عن تزوير جوازات سفر تابعة لبلدان غربية أخرى من أجل إرسال عملائها إلى تونس لتمهيد الطريق أمام اغتيال أبوجهاد الذى كانت إسرائيل ترى فيه القوة الدافعة للانتفاضة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.



الحقيقة أن كل المؤشرات السابقة واللاحقة تؤكد أن الموساد سوف يستمر فى مراقبة الأحداث والتخطيط لعمليات تجسس فى منطقة الشرق الأوسط حتى ولو تم إبرام معاهدات سلام مع جميع الدول العربية. بل ثبت مؤخرا أن إسرائيل كانت تتجسس على الرئيس السادات خلال زيارته الشهيرة للقدس فى عام ١٩٧٧ وقبل التوقيع على معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل. حيث اعترف إسحق حوفى (١) رئيس الموساد السابق بأن مناحم بيجين وموشى ديان طلبا من الموساد الاستعداد لعمل تقرير عن تصرفات السادات أثناء خلوته الشخصية فى الفندق الذى تقرر أنه سيكون فندق الملك داود خلال إقامته فى القدس. حيث قام طاقم فنى من الموساد بزرع ٤٥ ميكروفونا داخل جناح السادات بأجهزة تنصت حديثة تم الحصول عليها من المخابرات الأمريكية خصيصا لهذه المهمة. ولكن وصلت إلى مطار بن

(١) تولى رئاسة الموساد خلال الفترة من يوليو ١٩٧٤ حتى يونيو ١٩٨٢ .

جوريون بتل أبيب قبل ساعات من وصول السادات طائرة عسكرية مصرية على متنها حرس الرئيس وخبراء فى الكشف عن الخدع وأساليب أجهزة المخابرات. وبالفعل تمكن الفريق المصرى من إزالة كل الاستعدادات التى خطط لها الموساد فى غرفة السادات وتم تركيب أجهزة الضجيج الإلكترونى التى تصدر أصواتا مستمرة لاتسمعها الآذان البشرية لكنها تصدر موجات يستحيل معها تسجيل المحادثات التى تتم فى الغرف.

كما اتضح بناء على بيان المخابرات الفلسطينية (١) أن الجهاز الأمنى الفلسطينى اكتشف وجود أجهزة تنصت وتصوير ميكروسكوبية زرعتها المخابرات الإسرائيلية بمكتب الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وبالتالى فإن الموساد ظل يتجسس على حياة عرفات الشخصية من غرفة حمامه إلى غرفة مكتبه منذ أن حضر ليقيم فى غزة حتى اكتشفت أجهزة التجسس المسلطة عليه. واتهمت المخابرات الفلسطينية الموساد بأنه هو المسئول عن زرع كاميرات التصوير الميكروسكوبية التى اتضح أنها مصنعة من ألياف زجاجية تشبه تلك المستخدمة فى طب المناظير. لكن هذه المرة المنظار الدقيق الذى يمكن أن يدخله الطبيب فى شرايين وأوردة الإنسان أدخلتها المخابرات الإسرائيلية إلى حوائط غرف عرفات.

كما اكتشفت المخابرات الفلسطينية فى نفس الوقت أن مبنى الحكومة الفلسطينية قد زرعت فيه إسرائيل - كذلك - خمس دوائر كاملة لأجهزة التجسس. وقد اكتشفت تلك الأجهزة بالصدفة بعد انهيار أحد حوائط المبنى. ويرجع بعض السياسيين السبب فى ضعف موقف الوفد الفلسطينى خلال مفاوضاته الأخيرة مع إسرائيل إلى قيام تل أبيب بالتجسس على جلسات واجتماعات الحكومة الفلسطينية ومعرفة أسرار المفاوضات وخطة برنامج الوفد الفلسطينى فى المفاوضات؛ وبناء عليه يتم إعداد خطط أخرى مضادة.

وعقب بدء مفاوضات السلام المشتركة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اعترفت الموساد بتنظيم عمليات اغتيال واسعة للقادة الفلسطينيين خلال فترة السبعينيات والثمانينيات. حيث أكد أهارون ياريف الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية أن وحداته نظمت تصفية لجميع الفلسطينيين الذين قتلوا ١١ لاعبا إسرائيليا فى دورة الألعاب الأوليمبية بميونيخ عام ١٩٧٢.

وزعم ياريف أن عمليات الموساد نجحت فى شل جماعة (أيلول الأسود) ووقف عملياتها ضد الأهداف الإسرائيلية. حيث كانت عمليات الموساد غير محدودة بالنطاق الجغرافى وإنما تم اغتيال الفلسطينيين فى كل مكان، مشيرا إلى أن رجاله قتلوا مايتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ فلسطينيا فى أوروبا وبيروت وأن عمليات الاغتيال نفذت فى بعض الحالات عن طريق أجهزة

---

(١) صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية - ١٩٩٧/١/١٣ .

التحكم عن بعد لتفجير منازل قادة المنظمة، وأن جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت كانت على علم بجميع الاغتيالات وشاركت فى التخطيط لها حيث قامت بتعيين شخص يدعى مايك هارارى كمسئول عن تصفية قادة منظمة (أيلول الأسود) الفلسطينية ونجحت الموساد فى اغتيال رويل زويدة قائد عملية ميونيخ بعد أيام من وقوعها وبعد ذلك بشهر ونصف اغتال رجال الموساد محمود الهمشرى ممثل منظمة التحرير فى باريس وجاء قتل حسين عبدالآخر أحد المشاركين بعملية ميونيخ فى فراشه فى قبرص صدمة لجميع الفلسطينيين.

ويؤكد رئيس الموساد السابق أن تنفيذ هذه العمليات كانت تمثل مشكلة بالنسبة لإسرائيل وخاصة أنها كانت تتم على أراضى دول أخرى تربطها علاقات صداقة.

وعلى الجانب الآخر كشف تقرير بريطانى (١) عن تصاعد نشاط المخابرات الإسرائيلية فى دول عديدة من العالم منها الدول الصديقة لإسرائيل. وأوضح التقرير أن بعض الخلافات نشبت بين إسرائيل وهذه الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ومصر وعدد من دول أمريكا اللاتينية بسبب هذا النشاط المحموم فى التخابر وجمع المعلومات. حيث رصد التقرير تفاصيل التوتر بين إسرائيل وروسيا خاصة بعد أن أصدرت محكمة روسية (٢) حكما على مواطن يدعى موشيه فينكل بالأشغال الشاقة لمدة ١٢ عاما لتجسسه لمصلحة إسرائيل والولايات المتحدة معا على صناعة السلاح الروسى منذ عام ١٩٥٩ . (٣) كما تناول التقرير الأزمة غير المعلنة بين الولايات المتحدة وإسرائيل بسبب عمليات التخابر الإسرائيلية والذى أظهر أن عددا من الأمريكيين العاملين فى مجال صناعة السلاح والأجهزة الحساسة يجرى التحقيق معهم بسبب جمعهم معلومات عن صواريخ (باتريوت) وناقلة الجنود (برادلى) ومعدات أخرى عسكرية سرية !

وتعتبر قضية عدنان ياسين أو جاسوس أوسلو الذى كان واحدا من أوثق مساعدى ياسر عرفات هو أكبر دليل على أن العداء الذى استمر أجيالا بين إسرائيل والعرب هو أكثر عمقا فى أبعاده من مجرد توقيع اتفاقيات أو عقد مفاوضات للسلام بين الطرفين.

يرجع الفضل لتجنيد عدنان ياسين إلى إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق ويعتبر هذا الجاسوس أكبر مسئول فى منظمة التحرير يتم القبض عليه بعد اتهامه بالتجسس لصالح المخابرات الإسرائيلية إذ بواسطته تمكن رجال الموساد ولعدة أشهر من رصد كل كلمة

---

(١) نشر بمجلة (بونيتر) وهي الملحق الشهري لمجلة جينز العسكرية. ١٩٩٧/٦/٢١ .

(٢) صدر حكم المحكمة الروسية في ١٦ مايو ١٩٩٧ .

(٣) معظم الأسلحة المصرية والسورية التي استخدمت في الحرب ضد إسرائيل خلال حربي ٦٧ و ١٩٧٣ كانت صناعة سوفيتية.

من المناقشات السرية التى كانت تدور فى مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس وعلى بعد آلاف الأميال من إسرائيل. حيث أصبحت الميكروفونات التى زرعها ياسين وابنه هانى فى مقر المنظمة عنصرا حيويا لا غنى عنه لمنظرى الاستراتيجية الإسرائيلية وهم يخططون لكل مرحلة من مراحل المفاوضات مع المنظمة.

والواقع أن شكوك الجانب الفلسطينى ظهرت حينما تبين للمشاركين فى المفاوضات أن شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل كان يمتلك معلومات ومعرفة جيدة جدا لأفكار المفاوضين الفلسطينيين. وقد كشفت عملية التفتيش والمسح التى قام بها رجال أمن المنظمة فى مقرها بتونس إلى اكتشاف أجهزة التنصت المتقدمة التى كان قد زرعها ياسين فى مصباح وطاولة مكتب محمد عباس الرجل الثانى فى هرم القيادة الفلسطينية «أبو مازن» الذى وقع اتفاق أوسلو التاريخى بالنيابة عن المنظمة.

وكان عدنان ياسين يتمتع بحرية الدخول والخروج من وإلى مكتب محمود عباس وهو الذى رتب عملية تغيير أثاث المكتب التى مكنت جهاز الموساد من التنصت ومعرفة كل ماكان يدور داخل المكتب. وبعد اعتقال ياسين تم إلقاء القبض على شخصين فلسطينيين آخرين فى تونس للاشتباه بأنهما يعملان لصالح الموساد، كان الأول منهما محمد فيصل وهو عامل لاسلكى والثانى أحمد أبوعوف وهو من الناشطين الفلسطينيين فى قطاع غزة، وتمت بعد ذلك مصادرة جوازات سفر كل العاملين فى جهاز عرفات للتحقيق معهم. كما تم استبدال معظم حراسه الشخصيين ووضع بعض مسئولى المنظمة رهن الاعتقال المنزلى.

ويبدو أن اكتشاف أجهزة التنصت فى مكتب ومصباح مكتبة محمود عباس أثار مخاوف مسئولى المنظمة بدرجة كبيرة دفعتهم للتحقق من كافة ممتلكاتهم الشخصية مثل الأقلام والأدوات المكتبية الأخرى بحثا عن أجهزة استراق السمع.

والحقيقة أن التجسس عن طريق زرع الأثاث بأجهزة تنصت حساسة ليس بالأمر الجديد؛ فعندما وصل رئيس القوات الجوية فى إحدى الدول العربية إلى باريس فى السبعينيات لشراء بعض الأثاث لمنزله رتبت الموساد عملية خاصة لتزويده بما يريد وذلك عندما دفعت مساعدة بشكل غير مباشر لشراء الأثاث المطلوب والذى احتوى على أجهزة تنصت قيمتها بأكثر من ٧٠ ألف جنيه.

وهكذا تكسب إسرائيل المفاوضات ..

وهكذا تكون مزودة فى أكثر المفاوضات أهمية وحساسية بسلاح مفيد للغاية وهو التفاصيل الاستراتيجية وتكنيك التفاوض الذى سيتبعه الطرف الآخر. وهذا يفسر مظاهر عدم التوازن

فى ميزان القوى بين إسرائيل والفلسطينيين، حيث كان الثقل التفاوضى الإسرائيلى بالنسبة للفلسطينيين ٤ إلى ١ وبالتالى كان الجانب الإسرائيلى هو الذى يقرر الأفعال دائما !!

■■■

مصر وأمريكا ..

علاقات خاصة وصداقات قوية..

زيارات حميمة ولقاءات رئاسية مشتركة ..

مساعدات اقتصادية ومعونات ومنح أمريكية ..

وأيضا .... عمليات تجسس ومخابرات !!

وكما أن العلاقات القوية بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لم تمنع الموساد من التجسس.. فإن الصداقة الحميمة بين مصر وأمريكا لم تمنع جهاز (C.I.A) من زرع جواسيسهم فى مصر !!

وتعتبر السفارة الأمريكية فى مصر من أكبر السفارات الأجنبية الموجودة على الإطلاق.. حيث يشبه مبنى السفارة القلعة المحصنة يحيط بها من كل جانب جنود يحملون رشاشات خفيفة سريعة الحركة. ويتولى تأمين السفارة من الداخل عشرات من جنود المارينز الأمريكيين المدربين جيدا على مواجهة عمليات الإرهاب.

والحقيقة أنه منذ تفجير السفارة الأمريكية فى بيروت عام ١٩٨٢ صدرت الأوامر من واشنطن بإعادة بناء كل السفارات الأمريكية فى الشرق الأوسط تقريبا تحسبا لأى هجمات إرهابية، وعلى هذا الأساس قام الأمريكان بجانب إحاطة السور الخارجى بالأسوار العالية والمكهربة ببناء مبنى داخلى مجهز وفقا لأحدث الوسائل العلمية ضد الزلازل والانفجارات والهجمات الإرهابية والمبنى يضم أربعة طوابق يمكن إقفال جميع أبوابه أتوماتيكيا بحيث لايمكن دخوله لأحد من الخارج. وفى هذه الأدوار يقع مكتب السفير الأمريكى والأبواب تفتح فى هذا المبنى بالأرقام الكودية التى لايعرفها سوى عدد محدود فى السفارة. أما سطح المبنى فيحتوى على أحدث أجهزة للاتصالات تضمن عدم حدوث أى خلل فى أجهزة السفارة وخطوطها الهاتفية واتصالاتها مع الوطن الأم وكافة أنحاء العالم.

والأمن الخاص بأهم سفارة فى مصر يديره مسئول أمريكى من داخل السفارة ويتعامل مع العاملين بها من خلال الصفافير المتقطعة والطويلة والمستمرة لكى يكونوا على علم بنوع الخطر الذى يواجهونه فى حالة حدوثه. ومثلا فى حالة الحريق يكون صوت سارينة (عويل)، وفى حالة وجود قنبلة فإن الصفارة تكون متقطعة سريعة أو بوقا متقطعا، أما فى حالة الهجوم الإرهابى فيكون صوت الصفارة عاليا ومنخفضا بالتوالى. وتشمل التعليمات فى حالة حدوث

هجوم إرهابى أو شغب أو مظاهرة أن يؤمن العاملون كافة المستندات السرية وإغلاق الأبواب بإحكام وإسدال الستائر والانتظار داخل المكتب وعدم الخروج حتى صدور تعليمات مع الابتعاد تماما عن النوافذ.

ويعمل بالسفارة الأمريكية فى القاهرة نحو ٥٠٠ أمريكى فى الإدارات المختلفة ويعاونهم نحو ضعف هذا العدد من المصريين، وبالتالى تكون السفارة الأمريكية تضم أكبر البعثات الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية فى العالم على الإطلاق. ولايتمتع كل هؤلاء العاملين بالسفارة بالحصانة الدبلوماسية ويمكن معرفة ذلك من لوحات السيارات التى تحمل كلها أرقام (57) . أما سيارة الدبلوماسى المحصنة فتكون لوحتها خضراء وغير المحصنة تكون اللوحة نصفها أخضر ونصفها أسود، ولايتمتع كل هؤلاء كذلك بالحراسة التى تتركز بشكل أساسى على شخص السفير وعدد محدود من أعضاء السفارة.

ويعتبر مسئول وكالة المخابرات المركزية فى السفارة الـ (C.I.A) عادة مايكون من أهم الشخصيات بها، وهو يتمتع بالحصانة الدبلوماسية وغالبا لاتكون شخصيته معروفة بالنسبة لباقى العاملين فى السفارة وإن كانت الحكومة المصرية تعرفه جيدا وخاصة جهاز المخابرات العامة وغالبا ماتتم زيارات التعاون بين الطرفين.

وتتسع العلاقات المشتركة بين مصر والولايات المتحدة حتى أن السفارة الأمريكية فى مصر لا تضم العاملين فى السلك الدبلوماسى فقط بل العديد من الإدارات الأخرى. وهناك الهيئة الدبلوماسية وإدارة الدفاع ووكالة المعلومات ووكالة التنمية الدولية (A.I.D) وإدارة مكافحة المخدرات وإدارة الخدمات الزراعية الخارجية وإدارة العلاقات التجارية الخارجية ومكتبة خاصة للكونجرس الأمريكى.

كما تتعدد الاتفاقيات والمشروعات والاستثمارات المشتركة بين البلدين بشكل نشط وتقوم الولايات المتحدة بتقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية لمصر فى حدود ٢,١ مليار دولار سنويا منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد وإن كانت هذه المعونة فى طريقها إلى التوقف خلال السنوات القادمة فى ضوء تقليص أمريكا لبرنامج معوناتها الخارجية والتى تمثل المعونات الموجهة إلى كل من مصر وإسرائيل (١) نحو ٤٠٪ من إجمالى حجم المعونات.

وتدرك أمريكا جيدا أهمية استمرار الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع مصر، ولذلك فهى تقدم لمصر المساعدات حرصا على مصالحها أولا والتى تتحقق من خلال هذا الوضع، خاصة أن هناك مصالح أمريكية استراتيجية وحيوية فى العالم العربى يأتى فى مقدمتها البترول وتأمين منابعه وأن ذلك ليس بعيدا عن الدور والنفوذ المصرى .. كما أن هذه العلاقات ترتبط بالثقل

(١) تحصل إسرائيل على ٣,١ مليار دولار معونات سنويا من أمريكا ترتفع باعتمادات إضافية إلى ٤ مليارات دولار سنويا .

الاستراتيجى المصرى ودورها الحاكم باعتبارها بوابة العالم العربى والعالم الإسلامى وبوابة رئيسية للدول النامية وأفريقيا والشرق الأوسط. وكلها منافذ هامة للاستراتيجية الأمريكية وتحتاج إلى درجة عالية من الوفاق والتوافق.

ولكل ذلك تتابع أمريكا باهتمام بالغ، كل مايستجد على الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر. وهناك وحدة للاستخبارات الاقتصادية الخاصة بمصر فى الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى عدة تقارير أخرى تصدرها السفارة الأمريكية فى بالقاهرة منها التقرير الاقتصادى السنوى والذى يتضمن تقييما شاملا لمختلف مجالات الاقتصاد المصرى بدءا من خطة الإصلاح الاقتصادى وحتى سوق التشغيل والعمل ومرورا بالعملة والمساحة ومعدل التضخم وتعداد السكان والتوقعات الاقتصادية التى سوف تتخذها الحكومة مثل علاقتها مع صندوق النقد وتخفيض قيمة الجنيه المصرى وأسعار الفوائد فى البنوك وغيرها من أدق التفاصيل الداخلية.

وتخصص وحدة المخابرات الاقتصادية الأمريكية جانباً من تقريرها للحديث عن أهم الشخصيات التى لها دور رئيسى فى مصر كل فترة . وتلقى الضوء على هذه الشخصيات وتاريخها وأسلوبها فى العمل وصفاتها الشخصية . وتضم قائمة الشخصيات بعض الوزراء فى الحكومة وبعض رجال الاعمال بالإضافة إلى بعض الشخصيات العامة المشهورة .

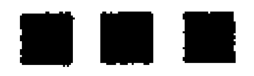
ويبدو أن الحرص على الصداقة بقدر الحرص على المصالح هو الذى دفع وكالة المخابرات الأمريكية لتنفيذ بعض عملياتها فى مصر . حيث تأتى الولايات المتحدة فى الأهمية من حيث حجم قضايا التجسس التى يتم ضبطها فى مصر خاصة خلال فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر وقبل اتجاه الرئيس السادات لتوطد علاقاته بأمريكا والدول الغربية .

ويكفى أن نذكر أنه بعد ما يقرب من ٤٠ عاماً من عمر الزمن تم الكشف عن حقيقة حادث انتحار السفير الكندى فى القاهرة (١) التى حدثت فى أبريل عام ١٩٥٧ . حيث اتضح أن المخابرات الأمريكية هى التى تورطت فى قتل الرجل بسبب توجهاته وسياساته فى إقناع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالسماح لقوات الأمم المتحدة لحفظ السلام بالانتشار فى سيناء للحيلولة دون وقوع العدوان الثلاثى على مصر وهو ما يناقض توجهات الإدارة الأمريكية بشأن قضية الشرق الأوسط فى ذلك الوقت . وقد نشرت الصحف المصرية والعربية والعالمية تفاصيل حادث موت السفير الكندى (إيجرثون هيربوت نورمان) بل راحت تنقب وتحلل أسرار الحادث حتى خرج ـ مؤخراً ـ رئيس جامعة نيويورك (روجر بوين) عن صمته وكشف تورط جهاز الـ (CiA)فى قتله بالقاهرة عن طريق حقنة بعقار (ESDA) المخدر من خلال طبيبه الخاص الذى كان يتردد عليه .

(١) جريدة الأهرام ـ مريد صبحى ـ ١٩٩٧/٦/٢٨

كما أتضح - أيضاً - أن السفير نورمان سفير كندا فى مصر الذى تخلصت منه وكالة المخابرات فى عام ١٩٥٧ كان قد انضم لإحدى الحركات اليسارية فى إنجلترا . حيث كانت هناك حركة « الويز والثابية » وهما اللتان تشكلتا كعقيدة لحزب العمل البريطانى إلا أن نورمان سرعان ما انسحب من هاتين الحركتين وعاد إلى بلاده كرجل علم ودوبلوماسى رفيع المستوى . ولكن هذا لم يمنع أجهزة المخابرات من تصفيته باعتباره يساريا سابقا وشخصا منحازا للرئيس المصرى جمال عبد الناصر وبالتالى فهو يعتبر - فى نظرهم - عميلا شيوعيا يتحتم استئصاله . ولولا المكانة الرفيعة التى كان يشغلها والده باعتباره قيادة دينية فى كندا لكان الأمر اختلف كثيرا بالنسبة له وتم تنفيذ خطة لمحاصرته نفسياً وأدبياً إلى أن نالوا منه بحكم حساسيته البالغة وشعوره المرهف .

ويلخص عمرو موسى وزير خارجية مصر موقف العلاقات المصرية الأمريكية الراهن قائلا: نحن فى مصر نعتبر دولة كبرى فى المنطقة ولنا فى أمور عديدة وجهة نظر بعيدة عن وجهة النظر الأمريكية . وهذا لا يعنى أننا نريد أن نتحدى أحدا . بالعكس . علاقة الصداقة مع الولايات المتحدة يجب أن تستمر . إنما الذى يهمنا هو استقلال الوطن وأستقلال القرار . ونحن لدينا قرارات معينة فيما نرى أنه يمس الأمن القومى المصرى . قد اتخذناها بعيداً عن الآخرين . قبل رفضنا التوقيع على اتفاقية الأسلحة الكيماوية . وقد اتصل بعض الرؤساء بالرئيس مبارك فقال لهم : آسف لأنها مسألة قومية ومصلحة أمنية !! .



تجسس الأشقاء !!

لا يوجد شىء محظور أمام أجهزة المخابرات !!

ولا توجد سقوف أمام ممارسة عملها وتحقيق مهامها !!

وكما أن عمليات التجسس تتم - كالمعتاد - فى سرية وكتمان فإن الكشف عنها يتم على شكل فضيحة مدوية !!

وأحيانا يكون كشف الدولة لقضية جاسوسية من دولة أخرى صديقة إيذاناً بتوقع سوء العلاقات معها تمهيدا لقطع العلاقات تماماً !!

وكثيرا ما تستخدم السياسة أجهزة المخابرات لتصعيد خلافها مع دولة ما يهدف إيجاد مبرر لقطع العلاقات بينهما أو تصعيد التوتر على الحدود المشتركة !!

ولا يتطلب الأمر فى مثل هذه الحالات سوى تنفيذ سيناريو معروف يبدأ بالإعلان عن كشف قضية جاسوسية تضم عددا من الجواسيس تثار حولهم اتهامات بالعمالة وتهديد المصالح القومية للبلاد، ثم سرعان ما يتطور الموقف من اتهام لجاسوس فى قضية بالعمالة

إلى اتهام دولة بالعداء . وعندئذ يكون من المنطقى وقد صار الأمر كذلك أن يصدر قرار بطرد السفير لهذه الدولة المعادية أو تقليص عدد أعضاء سفارتها على الأقل !!

هذا السيناريو السابق تكرر بين أكثر من دولة عربية شقيقة أكثر من مرة خلال الـ ٢٥ عاماً الماضية !!

ولعل أحدث هذه الوقائع ما تم بين كل من دولة البحرين وقطر . (١) حيث اتهمت البحرين قطر بالتجسس عليها تصعيدا للخلاف على الحدود الدائر بين البلدين منذ عام ١٩٣٧ عندما قامت بريطانيا بضم جزيرة (حوار) إلى البحرين ومنطقة (الزيارة) إلى دولة قطر ولم تكن قطر ولا البحرين راضيتين عن هذا التقسيم ومع ذلك بقى الأمر الواقع على ما هو عليه يتوارثه القطريون والبحرانيون رغم اختلافهم عليه .

واتهمت البحرين مؤخراً جاسوسين يعملان لحساب قطر هما فهد حمد عبد الله الباكر الذى يعمل ضابطاً فى جهاز الاستخبارات القطرية وسلوى جاسم محمد فخرى وأعلنت أن المتهمين اعترفا بأنهما يترددان على البحرين لجمع معلومات تمس أمن الدولة ونقلها إلى أجهزة الاستخبارات وبدأت محاكمة المتهمين .

وفى المقابل أعلنت قطر عن رفضها لهذا الاتهام . وأنها تقدمت بمذكرة رسمية عن اختفاء فهد الباكر وطلبت معرفة مصيره بعد أن فشل أهله فى التوصل إلى مكان وجوده فى البحرين . وفى هذا الجو المشحون بالتوتر والغضب والاتهامات لا تجدى التوقعات أو الاحتمالات أو التحليلات ويصعب التنبؤ بأية أحداث قادمة مع استمرار الجهود المكثفة عن أطراف عديدة خليجية وعربية لتجاوز الأزمة !!

وهكذا . .

كما فرقت أجهزة المخابرات الأشقاء عن بعضهم البعض !!

وكما زرعت بذور العداء بين الأصدقاء !!

فإنها - فى المقابل - لا تخدم إلا مصالح الدولة ضد أعداء الدولة !!

ولا تفرط فى أسرار البلاد بل تحفظها وتؤمنها !!

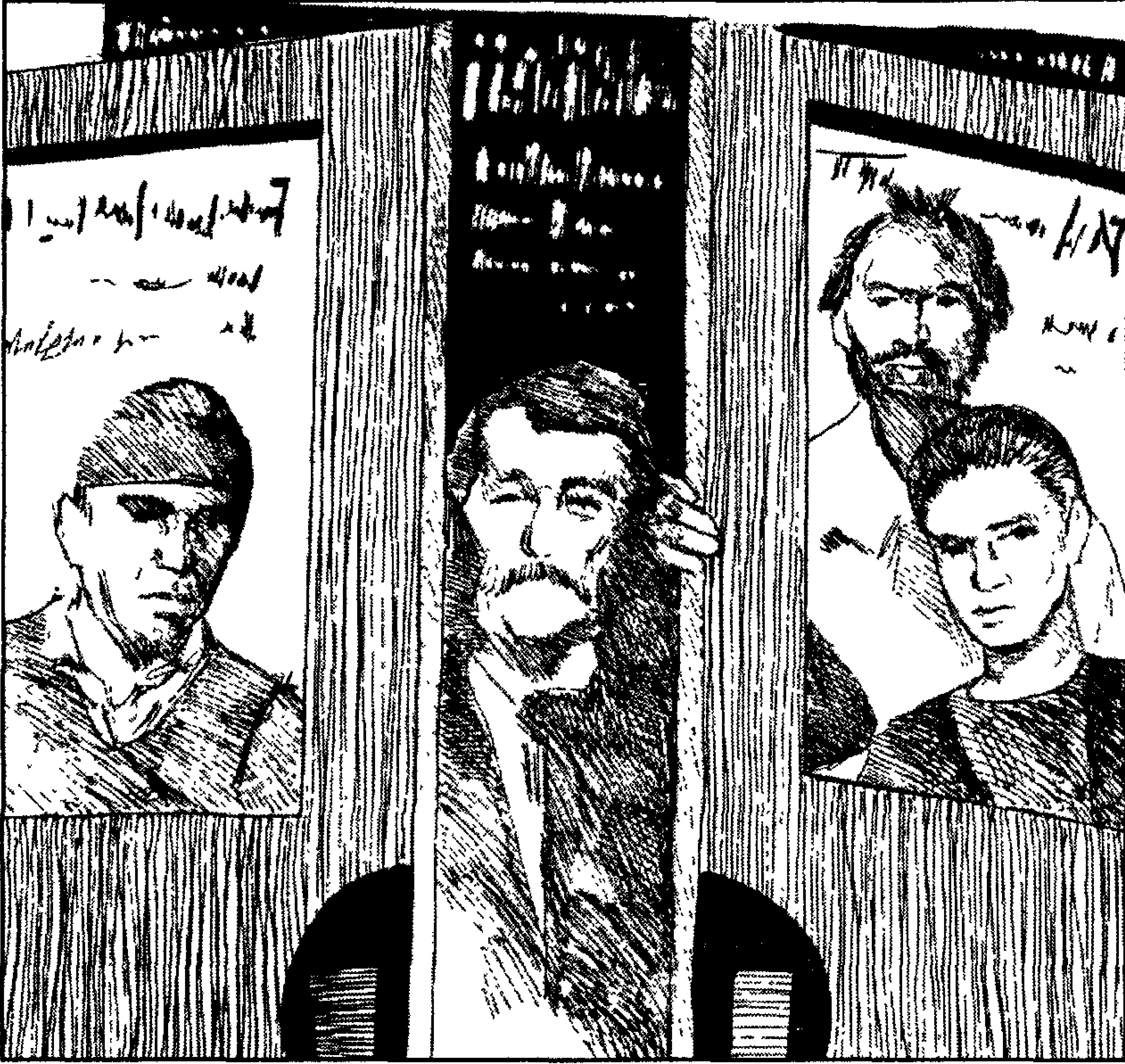
وهى الحريصة - مع كل ذلك - على حماية الأمن القومى وسلامة المجتمع مهما كلفها ذلك من تضحيات جسيمة !!

× × ×

---

(١) أثيرت هذه الأزمة بين الدولتين خلال شهر ديسمبر ١٩٩٦ .

□ جواســـيس فى المزاد



■ الصفات السرية لتبادل الجواسيس■ معظم الدول تفضل تأجيل المفاوضات حتى يتم إنتهاء إجراءات التحقيق وصدور الأحكام.■ مفاوضات الصفقة تتم على مستوى رؤساء الدول والحكومات حتى يتم التوصل لحل مناسب.■ صفقات تبادل الجواسيس لاتخضع لقواعد أو قوانين أو بروتوكولات دولية.■ خمسة أسباب وراء إصرار الدول على إستعادة عملائها المحبوسين.■ ٣٠ ألف جاسوس دولى تم تبادلها بين أجهزة المخابرات العالمية خلال النصف قرن الماضى.■ الـ CIA أنفقت ١٥٠ مليون دولار لإسقاط صدام جسين ولم يتم!

كل الدول لديها أجهزة مخابرات!

وكل أجهزة المخابرات لديها عملاء وجواسيس!

والجواسيس هم عيون الأجهزة فى الدول الأخرى.

ولكن!!!

كل الدول تنكر أن لديها جواسيس!

وكل أجهزة المخابرات تصطنع السذاجة والبراءة!

وتستمر حالة الخداع والتمويه والتجسس حتى تحدث «المفاجأة»!!

والمفاجأة تعنى أمراً واحداً: سقوط الجواسيس.. وضبط العملاء.. وكشف الملعوب!!

عندئذ - فقط - تنكشف المؤامرة.. وتظهر أجهزة التجسس.. وتفتح ملفات التحقيق.. ويعترف الجواسيس بالجريمة.. وتتضح الحقيقة كاملة!!

وعندئذ يصبح مصير الجواسيس فى ساحة القضاء.. رهن القانون. وتحت قبضة أجهزة الأمن!

وبقدر ما يكون موقف الغضب الشعبى من الخيانة بقدر ما تسعى أجهزة المخابرات لحماية جواسيسها واستردادهم بأى ثمن وتحت أى مسمى وبأكثر من وسيلة!

وتبدأ خطة استرداد الجواسيس..

تدعى الدولة - فى البداية - أن جواسيسها أبرياء من التهم الموجهة إليهم من الدولة الأخرى. وأنهم ضحايا إجراءات الأمن والاتهامات الملفقة!

وتستمر حالة التشكيك والشحن الإعلامى والمعنوى ولا مانع من استخدام البعد الإنسانى فى القضية.. حيث يتم تصوير أسر الجواسيس المتهمين والتى تضم أطفالهم وزوجاتهم فى حالة يائسة وهم يحملون صور المتهمين مطالبين بسرعة الإفراج عنهم!!

وعندما يتم الانتهاء من فرش الأرضية اللازمة لإثارة القضية يتم تصعيد الأمر بشكل مكثف من خلال المؤتمرات الصحفية واللقاءات السياسية المشتركة بين المسئولين فى البلدين للضغط فى محاولة للإفراج عن الجواسيس!

وإذا كانت الدولة المتورطة فى قضية التجسس ترتبط بعلاقات صداقة مع الدولة التى تتهمها بالتجسس.. فغالبا ما تتم محاصرة القضية والحيلولة دون إثارة المشكلة أو توسيعها خوفا من أن تؤثر على العلاقات السياسية المشتركة بين البلدين!!

وعلى العكس تماما إذا كانت الدولة المتورطة فى التجسس لا ترتبط بعلاقات جيدة مع الدولة التى تتهمها بالتجسس. حيث يتم تضخيم المشكلة وإثارتها بشكل أكبر وتأخذ من هذه القضية مثالا على سوء النية ودليلا على الرغبة فى الإضرار بالمصالح العليا للبلاد!

وخير دليل على الحالة الأولى واقعة التجسس الإسرائيلى التى كشفت عنها المخابرات الأمريكية مؤخرا. حيث قررت الحكومة الأمريكية احتواء المشكلة خوفا من أن تتسبب إثارتها فى إحداث أضرار سياسية للعلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل على الرغم من تأكد الإدارة الأمريكية من تورط إسرائيل فى القيام بعمليات تجسس داخل الولايات المتحدة أكثر من مرة!!

أما الحالة الثانية فتنطبق على دولة قطر ودولة البحرين. حيث أدى الخلاف الحدودى بين البلدين حول بعض الجزر إلى تفجير قضية تجسس اتهمت خلالها البحرين قطر بالتخطيط لعملية جاسوسية بهدف جمع معلومات تمس أمن الدولة لنقلها إلى أجهزة الاستخبارات القطرية، وفى ظل الجو المشحون بالتوتر والغضب والاتهامات بين البلدين اتسعت القضية وتصاعدت حدة الأزمة إلى أن قررت دولة البحرين - لأول مرة - مقاطعة اجتماعات قمة مجلس التعاون الخليجى التى عقدت فى الدوحة خلال شهر ديسمبر ١٩٩٦.



هذا ما يحدث على السطح.

ولكن .. فى القنوات السرية تحدث عادة أشياء أخرى عديدة. لا يعلن عنها إلا فى مراحلها الأخيرة أو لا يعلن عنها على الإطلاق!!

فى معظم الحالات يقوم جهاز المخابرات المتورط فى التجسس بوضع خطة أو أكثر لاسترداد جواسيسهم إما بشكل مباشر مشروع أو بشكل غير مباشر وغير مشروع!!

وتعتمد خطة الاسترداد المشروعة على أسلوب التفاوض المتبادل بين أجهزة ودوائر الحكم فى البلدين من خلال القنوات الرسمية والسرية. وقد يصعد الأمر إلى حد مناقشة هذا الموضوع على مستوى رؤساء الدول خلال لقاءاتهم المشتركة وقد تتحول القضية إلى أزمة سياسية مشتعلة بين البلدين!!

وفى أحيان أخرى تناقش خطط المفاوضات وصفقات تبادل الجواسيس بين وزراء الخارجية وبمشاركة وفود دبلوماسية مشتركة للتوصل إلى حل مناسب لاحتواء الازمة!

وخلال هذه المفاوضات تطرح كل دولة تصورها لتنفيذ الصفقة من خلال تحديد عدة بدائل تتم المناقشة حولها حتى يتم الاتفاق على أحدها بشكل يرضى الطرفين.

وفى حالة ما إذا كانت الدولة المتورطة بالتجسس لديها عملاء آخرون لنفس الدولة التى ضبطت جواسيسها فإنه غالبا ما تكون المفاوضات سهلة ولا تستغرق وقتا طويلا وتنتهى بالاتفاق على عقد صفقة لتبادل الجواسيس يتم خلالها تسليم كل دولة لعملاء الدولة الأخرى فى مكان يتم تحديده سواء داخل إحدى الدولتين أو خارجهما أو على أرض دولة محايدة يختارها الطرفان.

وتتعقد المفاوضات إذا كانت الدلة المتورطة بالتجسس ليس لديها عملاء أو جواسيس يمكن تبادلهم.. ولكن فى بعض الحالات يمكن المساومة على تبادل الجواسيس مقابل بعض الأسرى أو المتهمين العاديين فى السجون. وذلك يفسر قيام بعض الدول بتنشيط أجهزة مخابراتها لسرعة الكشف عن تنظيم أو جواسيس جدد يتم استخدامهم كورقة ضغط خلال مفاوضات تبادل الجواسيس مع الدول الأخرى.

وقد يكون المقابل المادى هو الثمن للحصول على الجواسيس، ويحدث فى هذه الحالة مثل ما يجرى فى المزادات العامة. حيث تعرض الدولة مبلغا من المال للحصول على عميلها. وقد ترفض الدولة فيتم رفع المبلغ تدريجيا حتى يتم التوصل لاتفاق عقد صفقة لجاسوس فى المزاد تحصل بمقتضاه الدولة على عميلها مقابل دفع مبلغ من المال كتعويض للدولة الأخرى.

وبالطبع تختلف شروط إتمام الصفقات طبقا لظروف وملابسات كل حالة. كما تختلف ـ أيضا ـ طبقا لعدد الجواسيس الذين يتم تبادلهم ونوعية هؤلاء الجواسيس وأهمية المعلومات التى يتم التجسس عليها وأجهزة التجسس التى يتم ضبطها وأدلة الاتهام الموجهة للجواسيس.

وتفضل عادة معظم الدول تأجيل مفاوضات تبادل الجواسيس حتى يتم انتهاء إجراءات التحقيق مع المتهمين وإعلان قرار الاتهام وتحويلهم للمحاكمة والانتظار حتى صدور الحكم النهائى فى القضية!

كما يكون حكم الإدانة الصادر ضد المتهم له أهميته الخاصة فى مرحلة التفاوض، فالجاسوس الذى يطارده حكم الإعدام لا يمكن تسليمه بسهولة ولابد من مقابل سخى للعفو والإفراج عنه!

والجاسوس الذى يقضى فترة سجن طويلة لابد أن يسترد مقابله جاسوس آخر يحمل نفس عدد سنوات السجن المحكوم بها عليه. ولذلك كثيرا ما نجد أن إعلان الدولة عن كشف شبكة تجسس تتورط فيها إحدى الدول يصاحبها كشف الدولة الأخرى عن شبكة مماثلة فى نفس التوقيت وأحيانا بنفس عدد المتهمين ونفس الاتهامات والوقائع والأدلة.. بل وقد تصدر الأحكام القضائية متشابهة فى القضيتين فى كلتا الدولتين!!

لكن فى أحيان أخرى قد ترفض الدولة مبدأ التفاوض حول تبادل الجواسيس وتصر على تنفيذ الأحكام وفرض العقوبة مهما كان المقابل ومهما كانت النتائج خاصة فى حالات العداء بين الدولتين أو وقوع حروب بينهما أو عدم وجود علاقات دبلوماسية مشتركة يمكن التفاوض المباشر من خلالها.

وتشهد وقائع حالات تنفيذ أحكام الإعدام فى بعض الجواسيس بين مصر وإسرائيل وبعض الدول العربية على فشل عقد هذه الصفقات بسبب رفض التفاوض من حيث المبدأ مع العدو الصهيونى خلال فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات.

والمثير فى الأمر أن صفقات تبادل الجواسيس لا تخضع لقواعد أو قوانين أو بروتوكولات محددة. وحتى الاتفاقيات الأمنية المشتركة بين الدول لا تنطبق عليها مثل هذه الحالات. كما أن نظام الإنتربول الدولى لا يتدخل فى هذه المفاوضات من قريب أو بعيد!

وتكاد تنحصر مهمة اتخاذ القرار فى مثل الحالات التى تتم خلالها الموافقة على تبادل الجواسيس على قرار خاص يصدر من القيادة السياسية فى الدولة اعتمادا على تقارير أمنية تستهدف تحقيق سياسات الأمن القومى وتغليب المصلحة العامة على المصالح الخاصة وضمان الأهداف العليا للبلاد.

وكما تتحكم سياسة العرض والطلب فى الموازين الاقتصادية فى العالم فإنها تحكم ـ أيضا ـ نفس هذه السياسة قواعد عقد صفقات تبادل الجواسيس بين الدول. وكلما أصرت الدولة على استرداد عملائها كلما كان المقابل المطلوب أكبر. وكلما كانت الدولة حريصة على تنفيذ الأحكام ضد المتورطين بالتجسس عليها كلما كانت المفاوضات صعبة وقاسية!

والحقيقة أن أجهزة المخابرات تسعى من خلال استعادة عملائها الذين سقطوا إلى التأكيد على عدة مفاهيم خاصة تنحصر فى الآتى:

أولا : توصيل رسالة غير مباشرة إلى عملائها الآخرين فى نفس الدولة أو فى الدول الأخرى أنها وراءهم دائما تحميهم وتساندهم حتى النهاية وأنها لن تتركهم يواجهون المصير المجهول حتى لو اعترفوا على أنفسهم بعد سقوطهم!

ثانيا: التأكيد على عدم تورط عملائهم فى الكشف عن المزيد من المعلومات التى قاموا بالتجسس عليها لأجهزة المخابرات المعادية ومحاولة ضمان تفردهم وحيازتهم للأسرار والوثائق السرية التى أمدوهم بها!

ثالثا : عدم التضحية ببعض العملاء المتميزين من أصحاب القدرات الخاصة والخبرات النادرة فى مجال التجسس للاستفادة منهم فى مجال تدريب عملاء جدد أو تكليفهم للقيام بتنفيذ عمليات خاصة أخرى!

رابعا : الحرص على تأكيد صفة الوفاء من جانب أجهزة المخابرات لعملائها فى شتى أنحاء العالم والتحذير من خطر الخيانة على الجانب الآخر.

خامسا : تحقيق التنافس وزيادة فرص التعاون بين أجهزة المخابرات مع بعضها البعض من خلال تبادل الجواسيس وتبادل المعلومات والأسرار المشتركة ومحاولة كل جهاز أن يثبت للجهاز الآخر مدى تفوقه وقدراته على مواجهة عمليات التجسس المضادة.

وفى بعض الأحيان تفضل أجهزة المخابرات اللجوء للحل غير المباشر فى معالجة مشكلة استرداد جواسيسها. حيث تقوم بعملية خاصة يكلف بها واحد أو أكثر من العملاء السريين

لتنفيذ هذه المهمة التى يكون هدفها إما تهريب الجاسوس المعتقل أو التخلص منه داخل السجن عن طريق طعام مسموم أو الإلقاء من مكان عال بحيث يبدو الأمر فى النهاية كما لو كان محاولة انتحار والوفاة قضاء وقدرا !!

وتشير الوقائع إلى أكثر من حادث وفاة غامض لبعض الجواسيس داخل السجون عقب سقوطهم وقبل استكمال التحقيقات التى تجريها أجهزة التحقيق معهم. ومن أبرز هذه الحالات الجاسوس الإسرائيلى (ماكس بنيت) الذى انتحر داخل زنزانته بعد القبض عليه ضمن شبكة التجسس الإسرائيلية فى مصر والمعروفة باسم (قضية سوزانا)[1] حيث كانت المخابرات الاسرائيلية تسعى إلى الحصول عليه بأى طريقة.. ولجأت إلى ألمانيا الغربية للتدخل لحل هذه المشكلة مقابل أن توقف اسرائيل حملاتها ضد ألمانيا ووصفها بالنازية. وبالفعل قامت ألمانيا بمنح (ماكس) حق المواطنة والجنسية لأنه متزوج من ألمانية.. وبينما كان السفير الألمانى يتفاوض سرا مع الحكومة المصرية للإفراج عنه أعلن خبر انتحاره الذى أثار مفاجأة الجميع!!

وحتى الآن لاتزال أدلة الاتهام تشير إلى تورط المخابرات الإسرائيلية بتدبير عملية اغتيال (ماكس بنيت) فى السجن المصرى لانها هى المستفيد الوحيد من موته وضياع الحقائق والمعلومات والأسرار الخطيرة التى كان يعلمها وخوفا من أن يفشى بها لأجهزة الأمن المصرية بعد القبض عليه!!

كما أن احتفاظ الدولة ببعض عملائها السريين المتورطين فى إحدى العمليات الخاصة فى الخارج قد يؤدى إلى مشاكل كبيرة للدولة قد تصل إلى فرض عقوبات اقتصادية وسياسية دولية. وهو ما حدث بالنسبة لليبيا عندما قرر مجلس الأمن فرض عقوبات دولية وحظر جوى عليها منذ عام ١٩٩٢ بسبب رفضها تسليم المتهمين فى تفجير الطائرة الأمريكية والمعروفة بحادث (لوكيربى) فى اسكتلندا عام ١٩٨٨.

ورغم أنه لم يثبت على وجه اليقين - حتى الآن - تورط ليبيا فى هذا الحادث ووجود أكثر من دليل على تورط دول أخرى مثل إيران. إلا أن وكالة المخابرات الأمريكية حددت أسماء المتورطين فى الحادث وقررت أن جنسيتهم ليبية ويقيمون داخل ليبيا وطالبت بتسليمهم لمحاكمتهم دوليا وهو مازالت ترفضه ليبيا. وخلال اجتماع مجلس الأمن فى دورته الماضية خلال شهر يولية ١٩٩٧ طرحت ثلاثة خيارات لحل هذه المشكلة وإنهاء العقوبات على ليبيا وهى:

الخيار الأول : محاكمة المتهمين المتورطين فى الحادث فى دولة محايدة.

الخيار الثانى: محاكمتهم أمام قضاة أسكتلنديين فى محكمة العدل الدولية بلاهاى فى

(١) تم ضبط هذه الشبكة الإسرائيلية فى القاهرة خلال شهر أكتوبر عام ١٩٥٤ .

هولندا.

الخيار الثالث: إنشاء محكمة خاصة للنظر فى هذه القضية بالتحديد.

وحتى كتابة هذه السطور لاتزال الجهود مستمرة لمحاولة إيجاد حل لهذه المشكلة المتفاقمة لمواجهة الأضرار التى لحقت بليبيا ودول الجوار من جراء العقوبات المفروضة عليها.

■■■

لا توجد دولة تفعل مثلما تفعل إسرائيل عندما يسقط لها جاسوس!!

وهى لا تكتفى بالرفض والاستنكار أو الشجب والحسرة. ولكنها تقيم الدنيا ولا تقعدها.. حتى تسترد جاسوسها أو جواسيسها وتعود به أو بهم سالمين إلى تل أبيب!!

وبقدر ما تتعدد شبكات التجسس الموجهة إلى مصر. بقدر ما تنجح أجهزة الأمن فى الكشف عن العملاء والجواسيس المتورطين!!

وبقدر ما يسعى الموساد لتجنيد جواسيس لهم فى مصر.. بقدر ما تسعى إسرائيل لاستردادهم بعد ذلك!!

والحقيقة أن إسرائيل لا تكتفى ـ فقط ـ بالسعى لاسترداد جواسيسها المقبوض عليهم. ولكنها تسعى ـ أيضا ـ لاسترداد جثث الجواسيس الموتى سواء من نفذت فيهم أحكام الإعدام أو الذين ماتوا خلال فترة تنفيذ العقوبة أو الذين انتحروا خلال فترة حبسهم!!

والإسرائيليون يهتمون بشكل خاص بدفن رفات موتاهم داخل إسرائيل طبقا لبعض العقائد والشعائر الدينية اليهودية. ولذلك كثيرا ما استخدمت رفات وجثث الجنود والضباط الإسرائيليين خلال حربى يونية ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣. فى الحصول على العديد من الجنود والضباط الأسرى المصريين فى إسرائيل.

وهذا ما يفسر ـ أيضا ـ قيام إسرائيل باحتجاز عشرات المواطنين العرب كسجناء داخل السجون الإسرائيلية لاستخدامهم كورقة ضغط ومساومة خلال أية مفاوضات أو صفقات تتم لمبادلة الجواسيس(١).

وتعتبر عملية مبادلة الجاسوس فارس صبحى مصراتى وابنته فائقة وابنه ماجد مصراتى من أشهر صفقات تبادل الجواسيس بين مصر وإسرائيل خلال السنوات العشر الأخيرة. حيث

---

(١) يذكر تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية بعنوان (الرهائن المنسيون) أن إسرائيل تحتجز عددا كبيرا من السجناء العرب المحتجزين بدون محاكمات، وان لدى المنظمة معلومات تفصيلية لحالات ٢١ مواطنا لبنانيا جرى اختطافهم من لبنان وتم نقلهم سرا لإسرائيل بينهم ٩ مازالوا محتجزين دون تهمة أو محاكمة منذ ١٠ سنوات إضافة إلى ١٢ شخصا لايزالون فى السجن رغم انقضاء مدد الأحكام.

سبقت هذه الصفقة عقد اتصالات ومفاوضات عديدة بين المسئولين فى البلدين تخللها الحديث عن مصير ضابط المخابرات الإسرائيلية دافيد أوفتيس الذى كانت مصر قد ألقت القبض عليه من قبل.

وخــلال هذه المفاوضـات كانت إسـرائيل قد ألقت القبـض على شــاب مصـرى (٤٠ عاما) واتهمته بالتجسس بعد أن اعتقلته دورية تابعة لجيش الدفاع عندما تسلل إلى إسرائيل. وجاء فى لائحة الاتهام أن المواطن المصرى متهم بالتجسس وإجراء اتصالات مع ضابط استخبارات مصرى كلفه بمهمة جمع معلومات استخبارية وعسكرية وأن المتهم نقل هذه المعلومات بالفعل إلى هيئة المخابرات المصرية وهو ما يلحق العذر بأمن اسرائيل من خلال نية المس بأمن الدولة.

وعقب القبض على المواطن المصرى أوفدت السفارة المصرية فى إسرائيل محاميا للدفاع عنه فى الاتهامات الموجهة ضده خاصة أن اجهزة الأمن الإسرائيلية قامت بتعذيبه للاعتراف بالتجسس والذى تصل عقوبة هذا الاتهام إلى الإعدام.

وبالطبع كانت تقصد إسرائيل من هذه القضية الحصول على جاسوس مصرى حتى تتمكن من المفاوضة عليه لإتمام إحدى صفقات تبادل الجواسيس مع مصر!!

لكن قبل صفقة آل مصراتى كان هناك العديد من الصفقات المتبادلة بين مصر وإسرائيل بعضها تم بالفعل ومعظمها تعثر لأسباب عديدة.

ومن هذه الحالات هبة عبدالرحمن سليم عامر الشهيرة (بعبلة كامل) والتى رفضت مصر العديد من العروض الإسرائيلية لمبادلتها بجواسيس أو أسرى مصريين فى إسرائيل. وكانت هبة أو عبلة قد استطاعت تجنيد خطيبها المقدم فاروق عبدالحميد الفقى من العمل معها لدى جهاز الموساد بهدف الحصول على المعلومات العسكرية عن الجيش المصرى قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ وتم تنفيذ حكم الإعدام فيها وخطيبها بالفعل.

كما رفضت مصر عرضا مستمرا للإفراج عن الجاسوس على العطفى الذى أدين فى القضية رقم (٤) لسنة ١٩٧٩ محكمة أمن دولة عليا لارتكابه جريمة التخابر مع دولة أجنبية هى إسرائيل. ورغم ان الرئيس أنور السادات قد خفف الحكم عليه من الأشغال المؤبدة إلى ١٥ سنة فقط. إلا أنه فى الوقت ذاته رفض الإفراج عنه أو مبادلته رغم إلحاح مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت خلال مباحثات كامب دايفيد(١).

ومن المعروف أن على العطفى كان مدلكا لعبدالناصر ويرى البعض أن أية شبهة فى وفاة

---

(١) إبراهيم عيسى. روز اليوسف. ١٨ مايو ١٩٩٢ .

جمال عبدالناصر جنائيا فإنها تتجه إليه فورا. كما أن على العطفى كان مقربا من الرئيس أنور السادات والمسئول عن العلاج الطبيعى فى مؤسسة الرئاسة.

كما تمت صفقة أخرى من خلال ليفجانج لودز وهو مهندس ألمانى جاء إلى مصر فى منتصف الستينيات. حين كان الوهج القومى عاليا واستقبلت مصر العلماء الذين شاركوا فى صناعة الصواريخ.. وكان لودز الألمانى يهوى الخيول ويتردد على نادى الجزيرة ويدخل فى علاقات اجتماعية وصداقات مع شتى شرائح المجتمع المصرى حتى كون شبكة علاقات وطيدة وكان مثار الإعجاب من جميع المحيطين به.

والحقيقة أن المهندس الألمانى لم يكن سوى جاسوس للموساد الإسرائيلى وكانت مهمته بالغة العنف والشراسة رغم أنها عبارة عن إرسال ورود ورسائل إلى علماء الصواريخ الألمان من زملائه. وكانت هذه الرسائل محملة بالمتفجرات، ولكن حدث أن اندلعت إحدى الرسائل المفخخة فى وجه وذراع سكرتيرة أحد العلماء الألمان وخلال تلك الفترة كانت علاقة مصر مع ألمانيا الشرقية تتجه الى التحسن عن طريق الاتحاد السوفيتى.. وأصبح معروفا أن الرئيس الألمانى الشرقى سوف يزور مصر. وبالتالى فإن على السلطات المصرية أن تقوم بإجراء تأمين للرئيس أولبريشت ولهذا بدأت أجهزة الأمن فى رصد أسماء أبرز أفراد جالية ألمانيا الغربية فى مصر للقبض عليهم.

وكان لودز على رأس القائمة. وعندما ذهبت اليه الشرطة لم يكن فى بيته واضطرت الشرطة لانتظاره حتى يصل، وفى يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٤ وعندما وصل لم يبد أى مقاومة واعترف هو فورا أنه جاسوس ثم أخذ السلطات ليعرفها على الأدلة التى يمكن أن تعلقه فى حبل المشنقة.

ودخل لودز الحمام فأحضر قطع الصابون المحشوة بالمتفجرات و٧٥ ألف دولار على شكل عملات نقدية صغيرة وجهازا لاسلكيا أخرجه من الميزان لتكتمل أركان قضية التخابر. إلا أنه كان مختلفا فى التحقيقات امام النيابة. حيث نفى انه يهودى وقام بخلع سرواله ليؤكد ذلك. فهو لم يختن واليهود يجب أن يختتنوا. وقال: أنا مسيحى ألمانى لا علاقة لى بإسرائيل. ولكى يضفى على قصته مزيدا من المصداقية منح المخابرات المصرية بعض المعلومات الصحيحة.

ولكن أكاذيب لودز كلها انهارت بخطاب أرسله محام ألمانى اسمه الفريد سيول والذى كان وكيلا لأحد العلماء الألمان الذين قتلوا من الخطابات المفخخة التى كان يرسلها لودز. وفى خطاب المحامى انكشفت حقيقة الجاسوس وأنه يهودى الجنسية وسرد قصته بالتفصيل. ولكن لودز تماسك وقال ان هناك من يحاول التأثير عليكم لكى تعدمونى!! ولم يعدم بالفعل وانما حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وعلى زوجته بثلاث سنوات.

وبعد حرب ١٩٦٧ تمت مبادلة (لودز) بـ ١٥ ألف أسير مصرى وعاد إلى تل ابيب عن طريق أثينا وعاش هناك يحمل اسم (سوس) ثم ماتت زوجته فهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ وحاول أن يستغل خبرته القديمة فى افتتاح مكتب (بوليس سرى) ولكنه فشل وبقى هناك يحلم بأن يعود إلى مصر ليفتتح مزرعة خيول على النيل مباشرة . إلا أنه كان يرد على نفسه قائلا: لا.. لقد خدعتهم كثيرا وأشك أن المصريين سوف يعرفونى على الإطلاق! ومات الجاسوس لودز بالسرطان فى يونية ١٩٩٣ فى أمريكا.

وهناك - أيضا - انشراح موسى أو دينا بن دافيد التى شاركت زوجها الجاسوس إبراهيم شاهين مع أولادهما نبيل ومحمد وعادل فى شبكة تجسس عائلية على مصر استمرت سبع سنوات كاملة. وانتهت فى عام ١٩٧٤ حين انقضت الشبكة بالقبض على أفرادها جميعا.

وكان إبراهيم شاهين من أبناء العريش يعمل موظفا فى مديرية العمل فى سيناء، وقد قامت المخابرات الإسرائيلية عقب الاحتلال بتجنيده عبر الضابط (أبو يعقوب) الذى قام بتدريبه هو وزوجته اللذين استطاعا أن يجندا أولادهما كذلك، وفى سنوات تالية أصبح إبراهيم يحمل رتبة (المقدم) فى المخابرات الاسرائيلية بينما كانت زوجته مجرد (ملازم أول) وبعد القبض على عائلة الجواسيس بشهور صدر الحكم فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٤ بالإعدام شنقا لإبراهيم سعيد شاهين والإعدام كذلك لزوجته انشراح والسجن لولده نبيل، بينما حول الابن محمد الى محكمة الأحداث. ونفذ حكم الإعدام للجاسوس إبراهيم فى ديسمبر ١٩٧٧ . أما زوجته فقد تم الإفراج عنها ضمن صفقة مبادلة للجواسيس بين مصر وإسرائيل فى عام ١٩٧٨ وهى تعيش حاليا فى إسرائيل مع ابنيها محمد وعادل وقد أصبح اسمها حاييم وراف. أما الابن الأكبر نبيل فقد غير اسمه إلى (يوشى) وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٨٨.

ومن أكثر عمليات تبادل الجواسيس التى استغرقت وقتا طويلا فى المفاوضات ما حدث بالنسبة لعملاء (شبكة سوزانا) الإسرائيلية التى سقطت فى عام ١٩٥٤ وصدر حكم المحكمة العسكرية(١) على أعضاء الشبكة بالإعدام لكل من موسى ليتو مرزوق وشموئيل باخور عازار والأشغال الشاقة المؤبدة لفيكتر موين ليفى وفيليب هيرمان ناثازون وبالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما على كل من مارسيل فيكتور نيو وروبير نسيم داسا وبالأشغال الشاقة لمدة سبعة أعوام على كل من ماثير يوسف زعفران وماثير صموئيل ميوحاس.

وعقب انهيار الشبكة مباشرة بدأت جهود إسرائيل السياسية فى العمل على كافة المسارات لإطلاق سراح أعضاء الشبكة من القاهرة. وفى أكتوبر ١٩٥٤ شكلت المخابرات الإسرائيلية الحربية التى كانت مسئولة عن تشغيل عملاء شبكة سوزانا بمصر بتدخل كامل وتحت إشراف

(١) أصدر الحكم اللواء محمد فؤاد الدجوى رئيس المحكمة العسكرية في ٢٧ يناير ١٩٥٥ .

الموساد من خلال مجموعة عمل من كبار رجال المخابرات الإسرائيلية للسعى لدى كل حكومات العالم من أجل الضغط على مصر لإطلاق سراح أسرى المخابرات الإسرائيلية لديها لكن مصر بدأت فى إجراءات محاكمتهم فى ١١ ديسمبر ١٩٥٤ بشكل علنى.

واقترح بنيامين جبيلى ـ الذى كان مسئولا رسميا أمام هيئة الاستخبارات الاسرائيلية العليا عن فشل العملية وسقوط افرادها ـ إرسال خطابات سرية للرئيس جمال عبدالناصر فى محاولة لإقناعه بأى طريقة لإطلاق سراح الجواسيس الإسرائيليين (١).

وبدلا من سعى الموساد لدى عبدالناصر لإطلاق سراح أربعة جواسيس من الستة المحكوم عليهم فى فضيحة لافون بعد خروج مائير يوسف زعفران ومائير شموئيل ميوحاس من سجنهما بعد تمضيتهما مدة السبعة أعوام أشغال شاقة فى عام ١٩٦٢ ولكن عاد الرقم كما كان ستة بعد انضمام لوتز وزوجته للمجموعة. وفى البداية أحجم الزعماء السياسيون فى اسرائيل عن الاعتراف بأن لونز وزوجته تجسسا لحساب تل أبيب فهدد عاميت رئيس الموساد بالاستقالة وبعدها حصل على اعتراف إسرائيل السياسى بلوتز.

وجاءت حرب ١٩٦٧ وخلال يومى ٥ و ٦ يونية ١٩٦٧ سقط بالإسكندرية ستة ضباط إسرائيليين دخلوا للميناء كضفادع بشرية وهم ايتان ليفيتش وذابيك بن يوسف ودانى برعام وجادى باطيش وايلان اجوزى وجلعاوشين وبالتالى أصبح العدد الذى يسعى رئيس الموساد لإطلاق سراحه من مصر ١٢ إسرائيليا وفى نهاية الحرب كانت إسرائيل تحتفظ بحوالى ستة آلاف اسير مصرى. بينما مصر تحتفظ بستة أسرى إسرائيليين وستة جواسيس.

وأرسل عاميت رئيس الموساد إلى جمال عبدالناصر خطابا رسميا رفضه عبدالناصر كما رفض أن يسرى تبادل الأسرى على الجواسيس، فأوقف عاميت عملية تبادل الأسرى بالكامل وحصل على مهلة مشروطة من رئيس الوزراء ليفى أشكول لمدة بضعة شهور حتى ينجح ـ على حد تعبيره ـ فى تحطيم عبدالناصر معنويا.

وكتب رئيس الموساد خطابا إلى عبدالناصر قال فيه: إننى أقترح عليك من خلال دوافع إنسانية تبادلا علنيا لأسرى الحرب بما فيهم الستة جواسيس الإسرائيليين الموجودين حاليا لديكم فى مصر. وأن إسرائيل تتكل على شعورك كقائد بمعاناة هؤلاء الأسرى. وأن الموساد وإسرائيل تعدك بدورها بأنها ستبقى على سر عملية اطلاق سراح العملاء وأننا نطلب منك وعدا من زعيم لإطلاق سراح العملاء فى وقت واحد تختاره أنت.

ووقع رئيس الموساد على بقية ما جاء فى الخطاب المكون من صفحتين معظمها بشأن موضوع جواسيس إسرائيل فى مصر. وذكر ـ أيضا ـ فى الخطاب ضمن فقرة مستقلة. أنه بعد

---

(١) توحيد مجدى ـ روز اليوسف ـ ١٩٩٧/١/٢٧ .

صدور قانون عام ١٩٥٥ باعتبار كل جاسوس إسرائيلى ضابطا فى الجيش الإسرائيلى فإنه يعتبر جواسيس إسرائيل فى مصر ضباط جيش وتجب معاملتهم عند الأسر بنفس لوائح معاملة أسرى الحرب من الجيوش. وقال عاميت رئيس الموساد فى نهاية الخطاب ان إسرائيل تثق كل الثقة فى كلمة الشرف التى ستصدر منك حول الإفراج السرى عن عملاء إسرائيل فى السجون المصرية فى أى مكان تحدده فى اوروبا!

وبالفعل حدث اتصال سرى اخر بين عبدالناصر والموساد وبعدها خرج أول أسير إسرائيلى من المجموعة التى سقطت فى الإسكندرية وفى صباح ٢ يناير عام ١٩٦٨ نقل الأسير ايتان ليفتيش إلى الضفة الشرقية للقناة حيث حصن بارليف وسط مراقبة لجنة خاصة من السلطات المصرية والاسرائيلية. وفى مساء نفس اليوم بدأت إسرائيل تطلق سراح الألاف من الأسرى المصريين!

وفى المقابل بدأت مصر فى الإفراج عن الجواسيس والأسرى الإسرائيليين حيث سافر فيليب ناثان سرا إلى جنيف طبقا لاتفاق الموساد مع عبدالناصر. كما وصل فيكتور ليفى إلى اثينا باليونان سرا وهناك تسلمته سفارة إسرائيل وطار الخبر فى دقائق إلى الموساد بإسرائيل فطلب مائير عاميت رئيس الموساد أن يتحدث بالتليفون مع جمال عبدالناصر لكى يشكره ويعلن له احترام الموساد وإسرائيل لكلمة الشرف التى وعد بها ونفذها.

وبعد ذلك بأربعة أيام فقط وبالتحديد فى ١٣ يناير ١٩٦٨ كان كل جواسيس من فضيحة لافون بمصر ومعهم لوتز وزوجته قد تجمعوا فى إسرائيل بعد ١٤ عاما قضوها فى السجن المصرى. وفى نهاية يناير ١٩٦٨ أرسلت مصر جثث رفات كل من الجاسوس موسى لينو مرزوق والجاسوس شموئيل باخور عازار سرا إلى إسرائيل بعد إخراج جثتيهما من مقابر اليهود بالبساتين وبالإسكندرية. وفى جنازة عسكرية تم دفنهما فى جبل العظماء العسكريين فى إسرائيل فى القدس.

ولكن الحقيقة التاريخية تثبت وتؤكد أن إطلاق سراح جواسيس إسرائيل من مصر فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر لم يكن لها أن تتم إلا بعد سلسلة طويلة وسرية من المباحثات والمفاوضات من الموساد لعبد الناصر.

وفى مرحلة سابقة يذكر كتاب (الموساد والأسطورة) أن عاميت رئيس الموساد قام بإعداد خطاب الى عبدالناصر عرض فيه تقديم قرض مالى إلى الحكومة المصرية قدره ٣٠ مليون دولار مقابل الإفراج عن جواسيس (فضيحة لافون) ولكن رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى اشكول رفض هذا الاقتراح لانه سيؤدى إلى تحسين الاوضاع الاقتصادية فى مصر وتقوية جيشها وهو ما يتعارض مع سياسة اسرائيل العدائية تجاه مصر. كما أن رئيس الوزراء

الإسرائيلى كان يخشى أن تحصل مصر على الأموال وترفض إعادة الجواسيس أو أن يكون هذا العرض قد أصبح سابقة تخلق مبدأ المعاملة بالمثل. حيث سيطلب المصريون بعد قبضهم على كل جاسوس لإسرائيل على الملايين فى مقابل إطلاق سراحهم.

وبالتالى تم رفض العرض المالى وجاءت نكسة يونية ١٩٦٧ لتعطى إسرائيل فرصة ذهبية لاسترداد جواسيسها مقابل الإفراج عن الأسرى المصريين وهو ما تم بالفعل!



الحقيقة ان أخطر صفقة لتبادل الجواسيس فى تاريخ هذه العمليات السرية بين مصر وإسرائيل لم تتم فصولها الأخيرة بعد. ونقصد بذلك المفاوضات التى تستهدف تسليم الجاسوس الاسرائيلى عزام عزام الذى ضبطته أجهزة الأمن المصرية فى أكتوبر ١٩٩٦ ضمن شبكة التجسس التى تضم فتاتين إسرائيليتين وشابا مصريا آخر.

ومنذ ألقى القبض على عزام والذى اتضح ـ فيما بعد ـ أنه ضابط مخابرات بالجيش الإسرائيلى والطلبات والوفود والمباحثات الإسرائيلية لا تنتهى مع مصر بغرض الإفراج عنه وبحث إمكانية تسليمه.

وخلال إحدى هذه المفاوضات وصل إلى القاهرة فى شهر مايو ١٩٩٧ وفد إسرائيلى يضم قيادات سياسية وقانونية وأمنية لتقديم اقتراحات لمصر لمبادلة عزام بعدد من المصريين المحبوسين فى السجون الإسرائيلية وأحضر الوفد معه ملفات السجناء وبدأت المساومة لتسليم عزام مقابل ثلاثة مصريين، ثم ارتفع العدد فى النهاية الى ١٥ مسجونا مصريا. ولكن السلطات المصرية رفضت العرض من حيث المبدأ حتى تنتهى إجراءات محاكمته ويقول القضاء كلمته الأخيرة.

ومن المفاجآت التى فجرها الوفد الإسرائيلى إدراج اسم محمود السواركة أشهر مصرى فى السجون الإسرائيلية والذى حكمت عليه المحاكم العسكرية الإسرائيلية بالسجن لمدة ٤٥ عاما بتهمة قتل جندى وإصابة آخرين فى عام ١٩٧٧، وكانت السلطات الإسرائيلية حتى وقت قريب ترفض الافراج عنه بدعوى أنه سجين أمنى رغم الطلب الذى تقدم به عمرو موسى وزير الخارجية المصرى للإفراج عنه.

وتشير المصادر الأمنية أن كلا من الرئيس الإسرائيلى الاسبق إسحق نافون ورئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتانياهو سبق ان اقترحا على الرئيس مبارك خلال زيارتهما للقاهرة الإفراج عن عزام مقابل الإفراج عن بعض السجناء المصريين.

كما فجر الوفد الإسرائيلى مفاجأة اخرى أدت إلى فشل الصفقة وهى الطلب الخاص بالإفراج ـ أيضا ـ عن السجين الإسرائيلى الشهير يوسف طحان. والطلب رفضه جميع المسئولين الذين قاموا بمقابلة الوفد الاسرائيلى. والمعروف ان طحان ينتظر تنفيذ عقوبة

الإعدام بعد اتهامه بالترويج للمخدرات وهناك أكثر من ٢٠ مذكرة للإدارة العامة لمكافحة المخدرات توصى بضرورة تنفيذ حكم الإعدام عليه الصادر ضده منذ أكثر من عشر سنوات ماضية!

وطبقا للأوراق الرسمية يوجد ٢٧ مصريا فى سجون إسرائيل مقابل ١٤ إسرائيليا فى السجون المصرية واحد منهم فقط هو يوسف طحان يقضى عقوبة قضائية والباقى فى انتظار المحاكمة. وإن كان المعتقلون المصريون فى إسرائيل متهمون معظمهم بالمشاركة فى اعمال فدائية فإن التهم الموجهة للإسرائيليين فى مصر تبدأ بالتهرب من دفع فواتير الفنادق وتنتهى بالتجسس مرورا بتزوير العملة وتدمير الشعب المرجانية.

وبالأرقام فإن ٤٥٠ اسرائيليا تم إعتقالهم داخل مصر خلال السنوات الأربع الماضية فقط. فى حين أن المصادفة قادت مصر لمعرفة وجود مصريين بسجون إسرائيل عبر معتقل لبنانى وآخر فلسطينى تم الإفراج عنهما مؤخرا.

وكان المواطن اللبنانى جمال محروم الذى أفرجت عنه السلطات الإسرائيلية هو الخيط الأول الذى كشف عن وجود عدد كبير من المصريين فى سجون إسرائيل حيث أكد جمال محروم أنه التقى داخل سجن (عسقلان) الإسرائيلى بمواطن مصرى يدعى محمود السواركة يعيش داخل السجن منذ عام ١٩٧٣ وأجريت له خمس عمليات جراحية خلال هذه الفترة.

ويعتبر (السواركة) الأسير المصرى الوحيد الذى لايزال حتى الآن فى إسرائيل. حيث تمت محاكمته فى ١٥ مايو ١٩٧٨ خلال الاحتلال الإسرائيلى للعريش وحكم عليه بالسجن لمدة ٤٥ عاما لإلقائه قنبلة يدوية على دورية إسرائيلية. وتحاول إسرائيل أن تستخدمه - حاليا - فى صفقة جديدة مقابل الإفراج عن عزام عزام.

كما تحاول إسرائيل إلقاء القبض على عدد من المصريين بسبب أو بدون سبب حتى تجد لديها مخزونا من الأسرى المصريين يمكنها التفاوض عليهم ومبادلتهم بجواسيسها الذين سقطوا فى مصر خلال الثلاثة أعوام الأخيرة.

وفى حين يكتنف الغموض أعداد ومصير المصريين فى سجون إسرائيل وطبيعة الاتهامات الموجهة إليهم فإن السلطات المصرية أعلنت عن وجود ١٣ إسرائيليا فى السجون فى انتظار مثولهم أمام القضاء لارتكابهم جرائم متعددة.

وأصدرت منظمة الصليب الاحمر تقريرا (١) أشارت فيه لوجود أكثر من ١٥٠ مصريا تعتقلهم السلطات الإسرائيلية فى سجن (عتاليت) فى الجنوب اللبنانى بدعوى أنهم دخلوا المياه

---

(١) تقرير منظمة الصليب الأحمر الدولية - سبتمبر ١٩٩٦ .

الإقليمية اللبنانية للصيد بالإضافة إلى اتهام البعض بالدخول عن طريق التسلل عبر الحدود بين مصر وإسرائيل!!



وكما تسعى إسرائيل لاستعادة جواسيسها من مصر تفعل نفس الشىء مع كل الدول الأخرى. وقد حاولت إسرائيل مرارا الحصول على عميلها السرى الشهير (جوناثان بولارو) الذى ضبطته أجهزة المخابرات الأمريكية فى ٢١ نوفمبر ١٩٨٥ ضمن شبكة تجسس إسرائيلية تعمل فى الولايات المتحدة.

وكشفت صحيفة يديعوت أحرونوت - لأول مرة - عن أن الجاسوس الإسرائيلى الأمريكى (بولارد) لا يمكن الإفراج عنه خلال الفترة الحالية. حيث اكتشفت المخابرات الأمريكية أنه لم يكن يعمل فقط لحساب إسرائيل بل إنه سلم أجهزة مخابرات أخرى فى افريقيا وآسيا العديد من الأسرار الأمريكية عندما كان يعمل كمحلل للمعلومات بسلاح البحرية الامريكية.

والحقيقة أنه لولا اكتشاف أمر (بولارد) باعتباره جاسوسا مزدوجا لأكثر من دولة لكانت إسرائيل قد حصلت عليه منذ فترة طويلة فى إطار العلاقات الخاصة التى تربطها بالولايات المتحدة والتى تشفع وتغفر لها العديد من الأخطاء حتى لو كان السبب عملية تجسس والمتهم جاسوس يسطو على الأسرار العسكرية الأمريكية.

والشىء الغريب أن الولايات المتحدة وإسرائيل مرتبطان معا بمعاهدة مشتركة للتعاون المخابراتى والأمنى تم توقيعها بين جهاز الموساد الإسرائيلى وجهاز الـ CIA الأمريكى فى مايو ١٩٥١ ويتم على أساس هذه المعاهدة تبادل المعلومات والتعاون الفنى بين جهازى المخابرات ورغم ذلك لاتزال إسرائيل تمارس هوايتها فى التجسس رغم أنف المعاهدة الأمنية والتى تنص بشكل صريح على الابتعاد عن قيام أى من الدولتين بالتجسس على الدولة الأخرى!!

كذلك عندما سقط أحد جواسيس إسرائيل فى سوريا سعت لاسترداده بكل السبل وطرقت كل الأبواب دون جدوى!!

وقد كان الفضل للمخابرات المصرية فى الكشف عن هذا الجاسوس حيث اشتبه ضابط أمن مصرى فى أحد الاشخاص الواقفين الى جانب الفريق أول على عامر والوفد المرافق له بصحبة القادة العسكريين فى سوريا أثناء زيارة تفقدية للجبهة السورية عام ١٩٦٥.

وبالبحث اتضح أن الشخص المشتبه فيه لم يكن سوى إيلى كوهين!

وإيلى كوهين لم يكن سوى كامل أمين ثابت العضو القيادى لحزب البعث العربى الاشتراكى والاسمان لشخص واحد. خرج من مصر عقب الإفراج عنه فى عام ١٩٥٤ وكان ضمن حملة المشتبه فيهم من اليهود المصريين فى فضيحة شبكة (لافون) وقد تمكنت الموساد من تجنيده

وزرعه فى أمريكا اللاتينية كى يعود مرة اخرى الى مصر بصورة مهاجر مصرى عاد إلى ارض الوطن. ولكنه فى الطريق اتجه إلى سوريا وهناك عاش لمدة عام ونصف فى أروقة الحياة السورية حتى صار عضوا قياديا فى حزب البعث الحاكم وتقرب من المسئولين والوزراء والسياسيين حتى شاهده ضابط المخابرات المصرى فى صورة منشورة بصحيفة مصرية.

وتم تصعيد الأمر إلى الرئيس جمال عبدالناصر والذى قام بدوره بإبلاغ المسئولين فى سوريا وتم القبض عليه واعترف بالتجسس، وسارعت إسرائيل بكل السبل لاسترداده، ويذكر أحد التقارير أن هناك ٤٣ محاولة وعرضا إسرائيليا للإفراج عن إيلى كوهين ومبادلته، وقد وصل الأمر إلى حد تدخل رؤساء الجمهوريات والملوك من أجل الموافقة على المبادلة بين كوهين وعشرة جواسيس معتقلين لدى إسرائيل. وكانت مصر المحطة الرئيسية للتفاوض بين سوريا وإسرائيل بهذا الشأن. ولكن أصرت سوريا على رفضها وصدر حكم بإعدام الجاسوس وتم تنفيذه بالفعل.

ومن الطريف فى الأمر أن الجاسوس المصرى رفعت على سليمان الجمال الشهير برأفت الهجان قد مشى فى جنازة كوهين التى أقامتها إسرائيل عقب إعدامه كنوع من تقديرها واحترامها لهذا الجاسوس.

وفى عام ١٩٨٨ ألقت المخابرات الأمريكية القبض على العالم المصرى عبدالقادر حلمى خبير الصواريخ والذى كان فى زيارة للولايات المتحدة. ولكن اتهمته أمريكا بالحصول على معلومات سرية والعمل مع دولة أجنبية (مصر) وتصدير مواد كيماوية محظور خروجها من الولايات المتحدة.

وسارعت مصر بتوضيح موقف العالم المصرى وأكدت أنه موفد من قبل الحكومة فى مهمة رسمية لاكتساب الخبرة من الولايات المتحدة . ولكن لم تجد هذه المحالات وتمت إحالة عبدالقادر حلمى إلى المحاكمة وصدر ضده حكم بالحبس لمدة ٤٦ شهرا بالإضافة إلى دفع غرامة قدرها ٣٦٠ ألف دولار.

وتصادف فى نفس الوقت تقريبا أن ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على جاسوس مصرى يحمل الجنسية الأمريكية تورط فى عملية تجسس لصالح المخابرات الأمريكية وتمت إحالته إلى المحاكمة وصدر حكم بحبسه لمدة ١٠ سنوات وغرامة ١٠ آلاف جنيه.

وحاول البعض استغلال هذه الفرصة وعقد صفقة مع أمريكا لمبادلة العالم المصرى بالجاسوس الأمريكى ولكن مصر رفضت هذا العرض ولم يتم الإفراج عن عبدالقادر حلمى إلا بعد انتهاء فترة الحكم ، بينما لايزال الجاسوس الأمريكى محبوسا فى سجن أبوزعبل يقضى فترة عقوبته.

كما لم تسمح الولايات المتحدة لمجموعة من العراقيين الذين جندتهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فى محاولة فاشلة للإطاحة بالرئيس العراقى صدام حسين بالعودة للعراق وقررت حبسهم بعد أن أكد مكتب التحقيقات الفيدرالى أن بعض أو جميع هؤلاء العراقيين كانوا جواسيس للمخابرات العراقية فى نفس الوقت!!

وكانت المخابرات الأمريكية قد سعت إلى تجنيد مجموعات للمقاومة العراقية ضد الرئيس العراقى صدام حسين عقب أحداث غزو العراق لدولة الكويت. حيث لعبت جبهة الميثاق الوطنى العراقى والمؤتمر الوطنى العراقى دورا رئيسيا فى التخطيط وتنفيذ المؤامرة التى أنفقت عليها المخابرات الأمريكية نحو ٣٠ مليون دولارا سنويا لمحاولة إسقاط النظام العراقى. وقد بدأت المؤامرة السرية فى عام ١٩٩٠ عقب انتهاء حرب الخليج مباشرة واستمرت لمدة خمس سنوات متتالية، بلغت قيمة المبالغ التى خصصتها الـ CIA لهذه العملية نحو ١٥٠ مليون دولار. ولكنها انتهت بالفشل بسبب نجاح أجهزة المخابرات العراقية فى إختراق صفوف المجموعتين المعارضتين وتهريب أسرار المؤامرة وهو ما جعل المخابرات الأمريكية تقرر إيقاف تمويل العملية والتحقيق مع بعض العملاء الذين تحوم حولهم شبهات العمل مع المخابرات العراقية.

ولايزال هذا الموضوع يحاط بالتكتم والغموض، فالولايات المتحدة الأمريكية هى التى طلبت ١٣ عراقيا من عملائها العودة لأمريكا وعرضت عليهم اللجوء السياسى ثم سرعان ما انقلبت عليهم عند وصولهم وأودعتهم السجون!!

وهناك احتمالان وهما إما أن تكون وكالة المخابرات الأمريكية قامت باستدراج هؤلاء العراقيين لمحاسبتهم على الخيانة بعد تأكدها من تورط هؤلاء الجواسيس فى إبلاغ أجهزة المخابرات العراقية بخطة المؤامرة التى دبرتها الـ CIA للتخلص من نظام الرئيس صدام حسين.

وإما أن تكون وكالة المخابرات الأمريكية قد اكتشفت أن هؤلاء العملاء قد أصبحوا مصدر خطر وأنهم إرهابيون يمكن أن يسببوا مشاكل أمنية داخل الولايات المتحدة وبالتالى يجب التخلص منهم وحبسهم خاصة بعد توقف الـ CIA عن تمويل خطة إسقاط النظام العراقى بعد ثبات فشلها.



رغم أن هناك أكثر من ٣٠ ألف عميل وجاسوس دولى تمت عمليات مبادلتهم بين الشرق والغرب ضمن صفقات سرية بين أجهزة المخابرات فى مختلف دول العالم خلال فترة لا تتعدى ٥٠ عاما وبالتحديد عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية. إلا أنه لا يوجد نظام أو قانون دولى

موحد ينظم عقد هذه الصفقات الخاصة جدا بين الدول حتى الآن!!

فى القانون المصرى تعتبر جرائم الاعتداء على أمن الدولة من جهة الخارج من أشد الجرائم خطرا على كيان الدولة وسلامتها، نظرا لأن هذه الجرائم ضد الصالح العام ويمتد أثرها ليشمل كل من يقيم على أرض الدولة بغير تميز بين الأفراد. وبالتالى فإن المشرع استخدم معها أشد درجات العقاب.

كما أن جرائم انتهاك أسرار الدولة احتلت على مدى التاريخ مكان الصدارة بين طائفة جرائم الاعتداء على أمن الدولة من جهة الخارج. حيث يستلزم أمن الدولة عادة بقاء طائفة كبيرة من المعلومات والبيانات فى طى الكتمان مثل المعلومات السياسية والدبلوماسية والعلمية والاقتصادية والصناعية.

وبالنسبة لحالات تبادل الجواسيس فإن الوضع القانوني المتعارف عليه يشترط عند تسليم أحد المتهمين الأجانب إلى بلاده تقوم الحكومة بتسليم أدلة إدانته والتحقيقات التى تمت معه حول الاتهامات الموجهة إليه، ويتم الاتفاق مع الدولة الأخرى على مواصلة محاكمته وعقابه طبقا لهذه الاتهامات.

وقد طبقت هذه القاعدة بالفعل على الجاسوس الإسرائيلى فارس مصراتى وعائلته الذين اتهمتهم السلطات المصرية بالقيام بعدد من الأنشطة المشبوهة وتكوين شبكة تجسس داخل مصر، ثم قامت الحكومة المصرية بتسليم عائلة مصراتى للسلطات الإسرائيلية ليحاكموا هناك!!

وتنص المادة الثالثة لقانون العقوبات والتى تقضى بمحاكمة المصرى الذى يرتكب جريمة خارج حدود البلاد. وفى ضوء ذلك فإن مصر على استعداد دائم لتسليم الرعايا الأجانب وتسلم مواطنيها من أية دولة بما فيها إسرائيل. إلا إذا تدخلت اعتبارات سياسية لمنح تسهيلات اكثر أو وقف العمل بهذه الامتيازات.

وتتضمن الاتفاقيات الأمنية بين الدول الجرائم التى يرتكبها رعايا أحد البلدان فى بلد الآخر أو تلك التى يقوم بها مواطن فى بلاده ثم يفر إلى بلد أخرى بينه وبين بلاده اتفاقيه لتسليم المجرمين طبقا لعدد من الصيغ القانونية الدولية فى مثل هذه الاتفاقيات.

ولكن عادة تقوم الدول باعتماد ما يناسبها من الاتفاقيات واستبعاد ما لا يناسبها. كما توجد استثناءات خاصة تتعلق بحالات اللجوء السياسى والجرائم السياسية وجرائم التجسس والأوضاع السياسية ذات الطبيعة الخاصة.

أما بالنسبة لكل من مصر وإسرائيل فلا يمكن تجاهل حساسية العلاقة بين البلدين بشكل عام منذ توقيع اتفاقية السلام عام ١٩٧٩ حيث يعامل كلا البلدين الآخر معاملة خاصة قد لا تتفق مع بعض القواعد السياسية المعمول بها بين الدول بعضها البعض. ولكن تفهم الموقف المصرى من الجرائم التى يرتكبها الإسرائيليون فى مصر ومن المسجونين من رعاياها لدى إسرائيل والعكس. يجب ان نشير إلى الموقف الإسرائيلى مثلا عندما أمطرها العراق بصواريخ (سكود) أثناء احتلاله للكويت ورغم أن إسرائيل تصر ـ دائما ـ على الثأر من أى اعتداء عليها تجاهلت هذه الصواريخ لأسباب سياسية بالغة التعقيد حتى تفوت على العراق فرصة التستر وراء حرب إسرائيل لتبرير احتلاله للكويت. وطبقا لهذا المنطق فإن مصر وإسرائيل تتجاوزان عن بعض الأمور مقابل مسائل أهم!!

× × ×

الفصل الثالث

جواسيس الشوارع



■ جواسيس الشوارع لا تطاردهم أجهزة المخابرات ■ المخابرات تبث الأفكار المتطرفة وتحركهم من الخارج كقطع الشطرنج ■ أهداف الجواسيس : نشر الأكاذيب والترويج للشائعات والدعوة للخرافات ■ الطابور الخامس يسعى لضرب الجبهة الداخلية وإثارة الإضطرابات ■ الجواسيس الجدد : فقراء محدودو الخبرة والثقافة وليست لديهم مواهب ■ أجهزة المخابرات لم تعد تسعى لتجنيد العملاء فى نقل الأسرار أو تهريب المعلومات ■ الإنترنت وثورة المعلومات جعلت الأسرار مكشوفة والمعلومات متاحة ■ أشهر عملاء التجسس : طالب طب . عامل نسيج . سائق تاكسى . فراش مدرسة

احذروهم!!

يطلقون عليهم «جواسيس الشوارع»!!

هم أمكر الجواسيس وأشدهم خطراً!

لا يقتصرعملهم على تسريب المعلومات . وإنما يقومون بنشر الشائعات وتقليب المجتمع على طبقاته وفئاته وطوائفه !!

هم.. لا يمارسون السطو على الأسرار العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية للبلاد.. ولكنهم يفضلون التعامل مع أبسط الأشياء بل أتفهها أحياناً !!

إنهم يبتعدون عن التعامل على السطح مع الكبار والمشاهير وأصحاب النفوذ ويسعون للعمل من أسفل بين فئات الشعب المطحونة والمستنزفة!!

ينتشرون فى الأزقة والشوارع والطرقات والزوايا دون أن يتعقبهم أحد أو تسعى أجهزة المخابرات للقبض عليهم !!

بعضهم جواسيس محترفون بعد أن تمكنت أجهزة المخابرات من تجنيدهم .. وأغلبهم جواسيس دون أن يدركوا أنهم مغرر بهم . يستخدمون لتنفيذ أغراض لم يفطنوا إليها . ولا يعلمون الأهداف الحقيقية التى تحركهم !!

بعضهم يتعامل من منطق النخوة والغيرة على الدين والوطن . وهم لا يدركون أن تصرفاتهم وأفعالهم هذه هى التى تسىء إلى الدين وتدمر الوطن !!

يستخدمون طاقتهم واندفاع شبابهم ليقتلوا ويذبحوا ويدمروا، متوهمين أنهم وهبوا - أنفسهم - فى سبيل الله . وهم فى الحقيقة يخدمون قوى الشر والبغض وأصحاب المصلحة وأجهزة المخابرات المعادية !!

هؤلاء هم جواسيس الشوارع . . يتحركون فى جماعات ويستخدمون البلط والسنج، المسدسات ، والرشاشات لا يتورعون عن قتل الابرياء وتفجير القنابل وضرب السياحة والاعتداء على أبناء الوطن !!

شعاراتهم مضللة . . وعباراتهم ترتدى مسوح الزهد والتقوى . يطلقون لحاهم .. ويرتدون الجلاليب البيض . . يحللون الحرام ويستحرمون الحلال . . يكفرون البشر ويطلقون الأحكام وينفذون العقاب دون مراجعة أو استئناف !!

يدعون للإيمان وهم أخطر أعدائه !!

يدعون كفر المجتمع ، وهم - أنفسهم - فى حاجة للإرشاد والتضحية !!

لذلك هم أخطر الجواسيس . لأنهم يدركون حقيقة أنفسهم . . ولا يعلمون الدور الخفى

الذى يلعبونه . . ولا مغزى الاهداف التى يسعون إليها . والأخطر من ذلك أنهم مقتنعون تماماً بما يفعلون لا يخافون ولا يرتعبون ، ومستعدون - دائما - لأية تضحية حتى لو انتهت بهم إلى تحويل أجسادهم لقطع من الديناميت المتفجرة ! !

يحركونهم من الخارج كقطع الشطرنج أو كعرائس الدمى المتحركة . ويستخدمونهم أسوأ استخدام لتشويه سمعة الوطن وتهديد أمنه وتفتيت وحدته وإثاره الفتنة وضرب الاقتصاد والعودة بنا إلى عصور التخلف والاضمحلال .

ولا يكفيهم أن مصر دولة اسلامية متسامحة . يعيش فيها أخوة متحابون فى وطن واحد . شعارهم الدين لله والوطن للجميع. دولة تتعانق فيها مآذن المساجد مع أبراج الكنائس، ويصلى فيها الجميع لإله واحد أن يحمى مصر وشعبها من كل عدو دخيل.

ويغفلون أن هناك من لا يسعدهم أن تنهض مصر أو أن يشتد ساعدها ، ويقوى بنيانها، وينمو اقتصادها ، وتسترد هيبتها . وتحتل مكانتها المرموقة بين دول العالم المتقدمة.

ويغفلون أن هناك من يشغلهم ويؤرقهم مصر ومكانتها وموقعها الجغرافى وحضارتها وتاريخها العريق ونيلها الخالد وآثارها الفرعونية ووحدة شعبها ومواردها المتدفقة وجيشها القوى ونبوغ أبنائها فى الداخل والخارج وصلابة وصمود شعبها فى المحن والأزمات.

هؤلاء .. يحقدون ويتحسرون ويفتقدون كل ذلك ، ويتطلعون لليوم الذى تفقد فيه مصر مكانتها وتشوه فيه تاريخها وتسرق فيه آثارها وتتفتت صلابة شعبها وتطحنه المجاعة ويغرق أبناؤها فى مصيدة الإدمان والانحراف وتهدد الفتنة وحدتها الوطنية وتنضب مواردها الاقتصادية .

عندئذ -فقط - تكون أجهزة المخابرات المعادية حققت أهدافها كاملة . . بل حققت أكثر من هدف بعملية واحدة . . زرعت بذور التطرف والخرافات وروجت الشائعات وقلبت المجتمع على طوائفه وطبقاته وتركت كل ذلك وخرجت دون أن تترك دليل اتهام واحد..' ويصبح الجانى هو نفسه المجنى عليه.

يضرب مصريون مصريين !!

ويقتل أبرياء برصاص أغبياء !!

ويجر الوطن - كله - إلى ساحة قتال عنيفة !!

تصبح فيه العواطف مزيفة والأحلام سرابا والتكفير فتوى طائشة تصيب العلماء والباحثين !!

ويصبح التهديد بالقتل أسطوانة مشروخة للتطاول على المبدعين والمثقفين والمفكرين .

وتصبح لغة الدم وعذاب القبور وسفك أرواح خلق الله أدوات شعارات خرساء ملعونة !!

ويصبح الثكالى والأيتام . . غيوم ظلام وأحزانا لا تنتهى !!!

ويكون الخلاص . . لحظة أمل !!

فالجميع ضحايا خاسرون ! !

ولا عزاء للوطن !



فى ١٩ مارس ١٩٩٠ ألقى المستشار سعيد العشماوى رئيس محكمة أمن الدولة العليا قرار المحكمة فى القضية رقم (٢٨٦) لسنة ١٩٩٠ عابدين بمحاكمة كل من إبراهيم صباح عوارة الشهير (بالسوارمة) وعوض ثابت زعرب بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاما لأتهامهما بالجاسوسية والاشتراك مع أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية بتحريض فتاة مصرية على ارتكاب جريمة التخابر ضد مصر .

وجاء فى أسباب الحكم أنه « لا يفوت المحكمة أن تشير الى أن نشاط أجهزة المخابرات قد انتشر واشتد فى جميع أنحاء العالم . حيث تعمل هذه الأجهزة بين الدول الصديقة والدول العدوة ، بين الدول المتحالفة والمتخالفة ، وهى لا توقف نشاطها على الأعمال العسكرية . بل أيضا تمتد إلى الجهات الداخلية وتحاول – وبخاصة فى أعقاب الحروب وأشباه الحروب – إلى أن تجند لها من المواطنين ما يعرف بالطابور الخامس إضافة إلى الطوابير الأربعة التى كانت تشكلها الجيوش عادة فى ميادين الحروب وهى مقدم ومؤخر وميمنة وميسرة . حيث يعمل هذا الطابور الخامس فى ضرب الجبهة الداخلية وتهوين قواتها وتفتيت صلابتها بنشر الشائعات أو نقل المعلومات أو إثارة الاضطرابات، أو زرع بذور الفتن الطائفية أو وضع نوازع الشقاقات العنصرية أو تقليب المواطنين على الحكومة أو تفتيت عنصر المقاومة أو تبديد معنى المواطنة أو خلق حالة من الفوضى وما إلى ذلك.

ولهذا فإن المحكمة وهى تدرك ما يمكن أن يفعله ويؤدى إليه التخابر مع أية دولة لها أطماع أو مصالح فى مصر أو تستهدف الاستيلاء على فكرها أو تسخير رجالها أو تغيير نظام الحكم فيها أو أى شىء من هذا القبيل فإنها تدعو أجهزة الدولة استخدام أجهزة الإعلام ومنابر الوعظ لتنبيه المواطنين جميعا لهذا الخطر الذي قد يقع البعض فيه دون تنبيه وبغير وعى فيتحولون من مواطنين لمصر إلى عاملين ضد مصر وضد أبنائها – ولا شك أن الوقاية من هذه الجرائم خير من العقاب عنها ».

انتهت حيثيات الحكم ، ولكن لم تنته المشكلة رغم مرور سنوات عديدة، وكأن أحدا لم ينتبه إلى هذا الخطر حتى الآن . . واقرأوا معى عناوين هذه الأخبار التى ملأت الصحف وشغلت

الرأى العام خلال الاعوام الماضية:

■ ضبطت أجهزة الامن أحد عناصر الجماعات المتطرفة يحاول إشعال النار فى أحد الأضرحة بمدينة المنصورة. والمعروف أن هذه الجماعات تحرم الاضرحة الدينية .

■ الجماعات المتطرفة فى الصعيد تقتل أحد مخبريى الشرطة وتقطع رقبته وتعلقها فوق عمود إنارة فى مدخل القرية لإرهاب المواطنين .

■ أحد الشيوخ يفتى بأن قتل المعدين من غير المسلمين خلال الحروب مع العدو لا يعدو استشهاداً فى سبيل الله.

■ وشيخ آخر يفتى بتحريم دخول المسلمين الكنائس ودور العبادة للأقباط سواء للتهنئة فى الأفراح أو للمواساة فى الأحزان.

■ لبان جنسى يسبب حالة هياج للفتيات. ضبط كميات ضخمة من اللبان المهرب فى عدد من المحافظات.

■ القبض على تنظيم يدعو لعبادة الشيطان فى مصر. والمتهمون شباب وفتيات تتراوح أعمارهم مابين ١٥ و ٢٢ عاما !!

■ قطب إخوانى كبير يطالب بمنع الأقباط من دخول الجيش خوفا من تعاونهم مع الأعداء عند نشوب الحروب. ويؤكد ضرورة فرض الجزية عليهم .

■ مفتى الجمهورية يطمئن المواطنين ويؤكد من جديد شرعية البنوك الوطنية وما تصرفه من فوائد على الودائع.

■ إحدى الجماعات المتطرفة تحرم ركوب السيارات ووسائل النقل الحديثة وتدعو إلى العودة لركوب الجمال والبغال والحمير.

■ فتوى مجهولة المصدر تحرم على النساء الكشف أو العلاج عند الأطباء الرجال.

هذه مجرد نماذج من فتاوى وشائعات وقضايا وهمية شغلت اهتمامات الناس وكلها قضايا مفتعله تريد إفساد النفوس وتشويه الحقائق وخلط الأوراق فى لعبة قذرة رفضها الجميع. ولكنها كانت محور الحديث والتعليق ومانشيتات الصحف لفترة ليست بقصيرة .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد. بل كانت فى نفس الوقت هناك قضايا أخرى أكثر غرابة وهيافة تروج وتنتشر بقوة بين فئات الشعب. تسعى لضرب الأهداف القومية والاقتصاد الوطنى والوحدة الوطنية والشباب المصرى. وإليكم أمثلة أخرى:

■ ■ التشكيك فى هدف قومى مثل حملة تنظيم الأسرة والتى تدعو لها جميع أجهزة الدولة وتجند لها أجهزة الإعلام مساحات عريضة لإقناع الناس باتباع وسائل تنظيم الأسرة

والتى بدونها لن تكون هناك جدوى من خطط التنمية أو تحسين الأداء الاقتصادى الذى تبذله الحكومة. ولكن الشائعات تتردد أن فكرة تنظيم الأسرة نابعة من المجتمع الغربى وأنها ضد الدين وتعنى تدخل العباد فيما يرزقه رب العباد.

ولذلك صادف مشروع تنظيم الأسرة مقاومة كبيرة خاصة بين أهل القرى والريف فى محافظات الصعيد والوجه البحرى على السواء. ولم يحقق هذا المشروع سوى قدر ضئيل على الرغم من الأموال والمعونات الضخمة التى أنفقت عليه على مدى السنوات الماضية والفضل فى ذلك للشائعات التى انطلقت لتجعل الناس تتمرد دون أن تدرى أو تعى ماتفعل !!

وعندما وجدت الدولة المشكلة تفاقمت بدأت تلجأ إلى علماء الدين الإسلامى والمسيحى لتبصير المواطنين وعقدت الندوات لتوضيح الحقائق الدينية وأنه لاتعارض بين الدين وتنظيم الأسرة. وأن العبرة بالكيف وليست بالكم والأهم للأسرة حسن تربية الأبناء وتعليمهم وتثقيفهم بدلا من إنجابهم وتركهم عبئا على المجتمع تمنع رقيه وتقدمه وتزيد معدلات البطالة والتعطل!!

■ ■ بث روح الفرقة بين أبناء الوطن. من خلال تشجيع الأفكار الخاطئة والشائعات بهدف اشعال الفتنة وضرب الوحدة الوطنية وزعزعة الاستقرار الداخلى. وبالتالى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وخلال ربع القرن الأخير شهدت مصر أكثر من محاولة لإثارة الفتنة الطائفية. كانت تبدأ أحيانا بإطلاق شائعة عن قيام الأقباط ببناء كنيسة فى السر وأن ذلك مخالف للقانون. ويتبرع البعض لهدم البناء ويحدث اصطدام. (١) !

وفى حالات أخرى كانت تسرى شائعة مجهولة المصدر عن قيام الأقباط ببناء معبد يهودى داخل الكنيسة. ويتطوع البعض للتنفيذ ويحدث انتهاك للحرمات وحرق للمساكن. (٢) !

- وأحيانا تتم إثارة الفتنة الطائفية بدون الحاجة لإشاعات وبلا أسباب واضحة. مثلما حدث عند الاعتداء على المصلين الأقباط داخل كنيستهم فى محافظة المنيا. (٣) !

■ ■ نشر الجريمة فى المجتمع. ويتم ذلك من خلال اغراق الأسواق بالأسلحة المهربة حتى تصبح هذه الأسلحة فى متناول الجميع.. والمسئول وغير المسئول. الصغير والكبير. الغنى والفقير. المتطرف والمعتدل. المظلوم والظالم !!

وبالطبع فإن انتشار الأسلحة سوف يزيد معدلات الجريمة ويرفع حالات العداء الموجودة داخل المجتمع بصورة كبيرة. ويكفى أن نذكر أنه خلال إحدى الحملات التى قامت بها أجهزة

(١) أحداث الزاوية الحمراء عام ١٩٨١ .

(٢) أحداث محافظة الشرقية عام ١٩٩٦ .

(٣) أحداث قرية أبو قرقاص عام ١٩٩٧ .

الأمن لقرية صغيرة فى محافظة أسيوط (الغنايم) تمكنت من ضبط أكثر من ٥٠٠٠ قطعة سلاح فى يوم واحد من مختلف الأنواع والأحجام وبمعدل قطعة سلاح من كل أسرة فى القرية وكانت جميع هذه الأسلحة مهربة من الخارج. (١)

■■ ترويج المخدرات وعقاقير الهلوسة.. واتضح مؤخرا أن تجارة المخدرات العالمية أصبحت تشرف عليها أجهزة المخابرات ومنظمات الجاسوسية والتى توجه فيها هذه التجارة لتنفيذ سياساتها وأهوائها. حيث يتم نشر المخدرات فى الدول المعادية لها وبالتالى تضمن افساد عقول شباب هذه الدول وتبديد طاقاتهم الفتية وبعثرت أموال الدولة هباء !!

ويكفى أن نذكر أن مصر تنفق مايقارب من خمسة مليارات دولار سنويا على استهلاك المخدرات بجميع أنواعها. وأن الإحصائيات أكدت أن ثلث دخل كل عامل مصرى يوجه لشراء المخدرات قبل أن يتم صرفه على أى نفقات أخرى !!

■■ زعزعة القوة الدفاعية والعسكرية من خلال اقناع الشباب بأفكار خاطئة مقتضاها أن الدولة كافرة وأن الانخراط فى الجيش يعتبر كفرا وأن الدفاع عن الوطن يعد من أعمال (الزندقة) وهو مايدفع الشباب إلى الامتناع عن التجنيد ويؤدى ذلك إلى إضعاف القوة الضاربة والدفاعية للقوات المسلحة.

كما أن ترويج الأفكار المتطرفة ونقلها بين الضباط والمجندين عن أن المجتمع منحل وكافر ولايجوز الدفاع عنه يثبط من عزيمة أفراد القوات المسلحة فى الدفاع ومبادىء العسكرية عن التضحية والفداء فى سبيل كرامة وعزة تراب الوطن !

وقد تنبهت القوات المسلحة المصرية لمحاولات الإختراق التى يمكن أن تجعل المتطرفين يتسللون إلى داخل صفوفها خاصة بعد حادث المنصة الشهير الذى راح ضحيته الرئيس أنور السادات فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ عندما تم قتله بواسطة أحد ضباط الجيش وبمعاونة عدد من المجندين من أعضاء الجماعات الإرهابية المتطرفة. وبعدها تقرر حرمان هذه الفئات من شرف الخدمة فى القوات المسلحة.

■■ لايكف جواسيس الشوارع عن إثارة وترويج الأفكار الخاطئة فى المجتمع. وهذه الأفكار تؤدى إلى إيجاد مناخ عام لدى الشعب يرفض المساهمة فى عمليات الإنتاج ومظاهر الحضارة والتقدم بدعوى أن الحضارة غزو فكرى والانفتاح على العالم غزو ثقافى.. وبالتدريج يمتنع الأفراد عن إنتاج الحضارة والتفاعل مع تكنولوجيا العصر. وان كان ذلك لايمنعهم واقعيا من استهلاك معظم منتجات التقنية الحديثة ومنتجات الحضارة الغربية دون إنتاجها. فمثلا

(١) خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة قررت وزارة الداخلية خفض عدد الأسلحة المرخصة للمواطنين بنسبة كبيرة. ومن يسمح له بالترخيص يقتصر علي حالات الضرورة القصوي.

عدد أجهزة الفيديو فى المملكة السعودية يماثل عدد الأجهزة الموجودة فى فرنسا مع أن عدد سكان السعودية لايتعدى ٨ ملايين نسمة وسكان فرنسا يزيدون علي ٥٠ مليون نسمة. (١) كما تتساوى أجهزة الفيديو الموجودة فى دول مجلس التعاون الخليجى وعدد سكانها لايزيد علي ٢٠ مليون نسمة مع عدد أجهزة الفيديو الموجودة فى الولايات المتحدة الأمريكية وعدد سكانها يزيد على ٢٥٠ مليون نسمة.

كما قد يكون ترويج الأفكار الخاطئة سببا فى تعطيل الإنتاج والخروج عن النظام العام. حيث تسرى دعاوى لارتداء الجلاليب الباكستانية (٢) باعتبارها زيا دينيا. وإحلال هذا الزى الأجنبى محل الزى الوطنى المتعارف عليه. وما قد يؤدى ذلك من مشاكل خاصة بالنسبة للعمال فى مصانعهم والمجندين فى الجيش عندما يرفضون تغيير ملابسهم !!

وبالتالى أصبحت دعاوى الغزو الفكرى والثقافى تفوق الإنتاج. ولكنها لاتحول دون ممارسة الاستهلاك وهو مايجعل المنطقة مستهلكة ولايمكنها الإنتاج أو تطوير اقتصادها.



ولم يعد الأمر يقف عند هذا الحد. بل ان أجهزة المخابرات بدأت تبث دعاوى وشائعات عديدة باسم الحلال والحرام. وهى تعلم جيدا إلى أى مدى يتمسك الشعب المصرى بعقيدته. وبالتالى فأية نصيحة أو فتوى ترتبط بالدين تجد صدى سريعا داخل النفوس حتى وإن كان الفعل والمنطق لايقبل ذلك.

وهذا ـ نفسه ـ ما يفسر وجود افراد يمثلون صفوة المجتمع من أساتذة جامعات ورجال قانون وصحافة ورجال أعمال استطاعت التنظيمات المتطرفة اختراقهم وتجنيدهم لينضموا إلى طابور «جواسيس الشوارع» !!

وسمعنا عن شائعات تردد أن الخل حرام !! وبدأت الأسئلة تتزاحم أمام الفقهاء ورجال الدين ليفتون فى كل شىء.. بدءا من : هل يجوز للسيدة أن تقتنى كلبا ذكرا أم حرام ؟! وحتى رأى الدين فى تحريم أكل الخيار والموز والكوسة وهل لها مردودات خاصة عند المرأة أم لا ؟!

ومن أغرب فتاوى جواسيس الشوارع أن جلوس الرجل فى المقعد الذى كانت تجلس فيه امرأة حرام شرعا. ولابد من مضى بعض الوقت حتى تتبخر آثار الحرارة التى تركتها المرأة فى المقعد قبل جلوس الرجل الغريب عليه مهما كان نوع هذا المقعد أو مكانه !!

وبخلاف الفتاوى السابقة هناك دعاوى أكثر خطورة يرددها هؤلاء الجواسيس مقتضاها أن الدولة أصبحت كافرة وحان وقت الجهاد لإسقاط النظام ولا حل إلا من خلال تغيير المنكر

---

(١) طبقا للإحصائيات الصادرة عن منظمة اليونسكو الدولية في عام ١٩٩٥ .

(٢) عبارة عن جلباب قصير ويلبس أسفله بنطلون قصير وأحيانا يرتدون فوق الجلباب صديري مفتوحا.

وإعلان دولة الخلافة !!

ووسط هذه الصيحات لامانع من التمرد على الأوضاع المعيشية الراهنة ورفض العمل فى مؤسسات الحكومة وتحريم أموال الدولة وتحليل ممتلكات الأقباط والجهاد ضد الشرطة والعسكر والإقامة داخل مغارات الجبال وتفجير القنابل والقيام بالعمليات الإرهابية ونشر الفوضى والرعب والذعر فى النفوس. وليعلم الناس أى منقلب ينقلبون!!



المتتبع لقضايا الجاسوسية التى ضبطتها أجهزة الأمن خلال السنوات العشر الماضية يجد أن الصفة السائدة عند معظم المتهمين فى هذه القضايا.. هم مواطنون عاديون بكل ماتحمل الكلمة من صفات ومعان.

متهمون بالتجسس وليس لديهم مؤهلات خاصة أو مواهب خارقة أو يحتلون مناصب مرموقة أو أعضاء فى أحزاب أو لديهم ميول أو اتجاهات سياسية معينة !!

جميعهم أفراد عاديون.. منهم طالب امتياز بكلية طب قصر العينى. محاسب فى إحدى الشركات الحكومية. عامل بشركة نسيج قطاع خاص. سائق تاكسى أجرة. فراش بمدرسة إبتدائية. بدوى يجهل القراءة والكتابة. مجند سابق.

وكان معظم من تورطوا فى قضايا التجسس لحساب أجهزة المخابرات من المصريين أو المصريين الذين يحملون جنسيات أخرى مثل قضية طالب الطب الذى كان يحمل الجنسية الأمريكية بالإضافة إلى جنسيته المصرية.

كما كانت نسبة المتورطين من الجنسيات الأخرى كبيرة أيضا. ومعظمهم إسرائيليون سواء كانوا يهودا إسرائيليين أو إسرائيليين من أصل عربى مثل الجاسوس الإسرائيلى (عزام عزام) أو (فارس صبحى مصراتى) وابنته فايقة وهم من عائلة من أصل ليبى كانت تقيم فى مصر.

أما المتهمون فى قضايا تجسس مصرية من الأجانب فقد انحصرت فى عدد من ضباط الموساد الإسرائيلى منهم دافيد أوفيتش ضابط المخابرات الإسرائيلى وعدد من الأسماء الحركية لضباط المخابرات الإسرائيلية منهم المدعو (أبو شريف) و (أبو خالد) و (أبو هارون) وهى بالطبع أسماء وهمية يستخدمها ضباط الموساد مع عملائهم فى الدول الأخرى للتمويه.

ولم تتضمن قضايا الجاسوسية سوى متهم واحد أمريكى الجنسية يدعى (نيكولاس إدوارد رينولدز) والذى تورط فى قضية التجسس على مصر فى عام ١٩٨٩ .

وطبقا للوقائع التى تم ضبطها فى مصر خلال الـ ٢٥ عاما الماضية فإن أجهزة الأمن القومى تضع فى حساباتها مصادر الخطر الخارجة لأجهزة المخابرات فى أربع دول أساسية هى المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الإيرانية والمخابرات الأمريكية والمخابرات السودانية.

وإن كان هذا الترتيب لايعنى درجة الخطورة ولايعنى - أيضا - أن العلاقات السياسية مع هذه الدول تواجه مشكلات معينة ولكنها الحيطة والحذر الذى تتصف به أجهزة المخابرات والتى تضع كل الاحتمالات أمامها وهو مايجعل هذه القائمة تتغير باستمرار لتوقعات التجسس القادمة من دول العالم الخارجى.

وبالطبع تتغير قائمة الدول التى تصدر جواسيسها طبقا للعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية التى تتغير كل فترة وأخرى. ويكفى أن نعلم - على سبيل المثال - أنه خلال فترة الثمانينيات كانت كل من ليبيا وسوريا على قائمة الدول المتوقع صدور مشكلات منها أو عمليات لأجهزة مخابراتها. بينما فى مرحلة التسعينيات تبدل الموقف تماما وأصبحت السودان تقف على نفس مستوى أجهزة المخابرات مع إسرائيل. بينما تحسنت العلاقات السياسية مع كل من ليبيا وسوريا ولم تعد هناك أى مصدر للقلق من هذه الدول بل على العكس أصبحت هناك علاقات اقتصادية وتجارية وطيدة تربط هذه الدول مع مصر من خلال اتفاقيات ثنائية ومشتركة.

وقد احتلت قضايا التجسس الإسرائيلية المركز الأول بلا منافس على قائمة الدول المتورطة بالتجسس ضد مصر ، تليها المخابرات الأمريكية والمخابرات السودانية التى ثبت تورطها فى قضية محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أديس أبابا خلال اجتماع مؤتمر القمة الأفريقى بأثيوبيا ، وقضايا إيواء معسكرات تدريب الإرهابيين وتمويلهم وتهريب الأسلحة إليهم عبر الجنوب !!

وبالنسبة للمخابرات الإيرانية فقد تورطت أيضا فى العديد من عمليات تجنيد وتمويل الجماعات الإرهابية وهو الأمر الذى يقف حائلا - حتى الآن - دون عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين مصر وإيران منذ أكثر من ١٧ عاما رغم الجهود العديدة التى تبذل فى هذا المجال!!

أما المخابرات الليبية فقد دخلت خلال فترة حكم الرئيس أنور السادات فى العديد من المغامرات التى كانت تستهدف اغتيال الرئيس السادات منها (عملية كيندى) (١) التى ضبطتها أجهزة المخابرات المصرية فى عام ١٩٨١، وقبل اسبوعين فقط من قتل السادات فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ كما كانت هناك عمليات أخرى تستهدف اغتيال المعارضين الليبيين الحاصلين على اللجوء السياسى فى مصر.

■■■

---

(١) كتاب السادات عملية اغتيال مجهولة - للمؤلف (مكتبة مدبولي الصغير) عام ١٩٩٧ .

والسؤال الآن : لماذا أصبحت أجهزة المخابرات تعتمد على هذه الفئات فى عملياتها لتحقيق أهدافها ؟!

ولماذا تفضل الجواسيس محدودى الثقافة والتعليم والخبرات على جواسيسها المعتادين من حملة المؤهلات وأصحاب المراكز المرموقة أو الحساسة فى الدولة والذين يتمتعون بالذكاء والفطنة وسرعة البديهة وغيرها من المهارات الخاصة للعاملين فى أجهزة المخابرات ؟!

الحقيقة أنه ببساطة لم تعد هناك أسرار خاصة خافية على أحد فى العالم الآن فى كافة المجالات التى كانت دوائر التجسس تبذل مجهودا كبيرا فيها فى السابق للحصول على هذه المعلومات ومحاولة كشف الأسرار !!

وفى ظل ثورة المعلومات وتكنولوجيا الإعلام أصبح العالم يعيش فى شبه قرية صغيرة تتطاير فيها المعلومات والأسرار وأدق التفاصيل ليل نهار فى حركة مستمرة لاتتقطع.. وأصبح هناك «الإنترنت» الذى يقدم دفعات هائلة من المعلومات حول أى شىء تطلبه فى لحظات معدودة وبمجرد أن تضغط بيدك على أحد الأزرار الصغيرة دون أن تكلف نفسك عبء البحث والتنقيب !!

كما أن المعلومات نفسها أصبحت لها تجارة وبورصة عالمية تتداول فيها ومن خلالها كل الأسرار فيما يسمى وكالات الأنباء العالمية وشبكات التليفزيون الدولية والمراسلين والمندوبين المنتشرين فى جميع أرجاء العالم يبحثون عن دبة النملة لتسجيلها وتحليلها وإرسالها إلى الصحف والإذاعات والوكالات فور حدوثها !!

وبالتالى فإن مفهوم الجاسوسية فى نهاية القرن العشرين تغير مفهومه وأدواته وأساليبه عن نفس هذه الأشياء فى فترات أخرى سابقة. وقد كانت أجهزة المخابرات تسعى لتجنيد الخبراء والمتخصصين لنقل الأسرار الخاصة بهم فتقوم بتجنيد العسكريين وأقاربهم للحصول على معلومات عسكرية أو تسعى للسياسيين والمقربين منهم لتهريب الأسرار السياسية للدولة أو تتقرب من رجال المال والأعمال لكشف الأسرار الصناعية وأحدث الأساليب الاقتصادية التى سيتم تنفيذها.

لكن الآن أصبحت كل المعلومات السياسية والاقتصادية وأحيانا العسكرية مشاعة ومعلومة للكافة بلا تحفظات !!

وحتى المعلومات العسكرية أصبحت متاحة. حيث تقوم المصانع الحربية بإعداد المعارض لمنتجاتها والإعلان عن المعدات العسكرية والأسلحة الجديدة التى تم تصنيعها أولا بأول. كما تشارك الفرق والجيوش العسكرية بأسلحتها فى الاحتفالات القومية والأعياد الوطنية التى تقيمها الدولة ويدعى إليها الملحقون العسكريون للسفارات الأجنبية وممثلو وسائل الإعلام

للحضور، والكثير منهم يسجل ويصور مايشاهدونه من جديد فى مجال إنتاج السلاح وتسليح القوات المشاركة فى العروض العسكرية.

كما أن إنتاج الأسلحة فى جميع دول العالم أصبح ينشر فى الصحف ويسجل فى برامج الإذاعة والتليفزيون. ويتداول الحديث علانية عن الصفقات التى تم عقدها بين الدول ومصانع الأسلحة والطائرات الحربية والدبابات والمعدات العسكرية الأخرى ويذكر خلال ذلك ماتتضمنه وسائل دفاع القوات العسكرية لكل دولة وما قد تضيفه هذه الصفقات من تميز أو تفوق دفاعى لدولة على دولة أخرى فى إطار التوزيع الاستراتيجى للأسلحة فى المنطقة.

وفى مصر فإن الأسلحة التى تنتجها قد تباع إلى دول أخرى [1] عربية أو غير عربية ويمكن من خلال ذلك الحصول على أقصى المعلومات المطلوبة وتجنب أى مخاطر فى هذا المجال !!

كذلك فإن الاقتصاد المصرى وأدق تفاصيله جميعها مكشوفة ومعروفة لكافة مؤسسات التمويل الدولية مثل صندوق النقد والبنك الدوليين والعديد من الهيئات الاقتصادية العربية والإقليمية الأخرى. بل تقوم بعض هذه الهيئات بمراجعة خطط الاصلاح الإقتصادى وسياسات الخصخصة مع الحكومة المصرية وتصدر شهادات دولية معتمدة حول مدى التزام الدولة بسياساتها فى المجالات الاقتصادية المختلفة سواء بالنسبة لخفض العجز فى الموازنة العامة أو توسيع قاعدة الملكية أو الوصول بأسعار الطاقة والكهرباء للأسعار العالمية وأحيانا تصل دقة التقارير التى تصدرها هذه المؤسسات الدولية إلى أن تستعين بها أجهزة الحكومة فى خططها وبرامج عملها !!

وبدخول الأقمار الصناعية وأقمار التجسس الفضائية لم يعد هناك شىء غير معلوم، حيث تمكن أحد هذه الأقمار من التقاط رقم سيارة تسير فى أحد شوارع مدينة نيويورك المزدحمة بالسيارات ومن على بعد آلاف الأميال. وبالتالى فإن الدول بدلا من أن تجند العملاء وترسل الجواسيس أصبحت تطلق أقمار التجسس الصناعية والتى أثبتت نجاحا هائلا فى القيام بهذه المهمة ونقل المعلومات والصور والأحداث كاملة. وهى تصور المعسكرات وحركات الجيوش وأنواع الأسلحة وأعدادها وتقنيتها ومدى استعداد القوات للحروب ووسائل التدريب واجتماعات مجلس الوزراء وتحركات الوزراء وغيرها من أدق التفاصيل التى لم تعد تخفى على أجهزة المخابرات فى أية دولة الآن.

وكشفت حرب تحرير الكويت فى عام ١٩٩٠ عن مدى التقدم الذى وصلت إليه أجهزة التجسس والمخابرات. حتى أن المخابرات الأمريكية كانت ترصد تحركات الرئيس العراقى

---

(١) مثلما حدث عندما قامت مصر ببيع بعض الأسلحة التي تصنعها محليا إلي العراق خلال الحرب بين العراق وإيران.

صدام حسين داخل مخبأه فى إحدى القواعد العسكرية المحصنة تحت الأرض !! كما تقدمت أجهزة التنصت بصورة مذهلة. وأصبحت أدوات التجسس الحديثة تدار (بالريموت كنترول) من على بعد وباستخدام الميقاتى (التيمر) ويتم التفجير من خلال استخدام المستهدف بالاغتيال لوسائل معيشية عادية أو شخصية مثل التليفون المحمول [1] أو الراديو الترانزستور أو ساعات اليد أو سماعة الأذن وغيرها من الأجهزة التى تكون معبأة بديناميت خاص شديد الانفجار والتدمير، وقد تصمم المسدسات على شكل أقلام حبر وأجهزة التنصت على شكل دبوس بذلة يعلق فى ياقة البذلة دون أن يدرى أحد أنه يسجل شيئا !!

وأصبحت المكالمات التليفونية مهما كانت درجة السرية يمكن اختراقها بسهولة من قبل أجهزة المخابرات حتى لو كانت هذه المكالمات تتم من خلال غرف مغلقة أو أماكن معزولة. فالأقمار الصناعية وأجهزة التحكم عن بعد يمكنها اختراق هذه الإشارات الصوتية ونقل الأحاديث التى تدور فيها كاملة !

وهذا ماحدث بالفعل خلال حادث السفينة الإيطالية (أليكى لورى) والمكالمات التليفونية التى تم تسريبها بين الملك حسين والرئيس جمال عبدالناصر خلال حرب ١٩٦٧ ، وغيرها من المحادثات الهامة بين الرؤساء والزعماء العرب حتى أصبح الحديث فى الأمور الحساسة يتم فى أضيق نطاق بين الرؤساء فى أجهزة التليفونات التى اتضح أنها مراقبة من أجهزة المخابرات حتى عندما تم تغيير أرقامها كل فترة. [1] !!



رغم تغير مفهوم الجاسوسية خلال الـ ٢٥ عاما الماضية. إلا أن أجهزة الضبط ومكافحة الجاسوسية لاتزال تعمل بالمفهوم التقليدى القديم. فقضية الجاسوسية تتطلب شخصا يثير الشبهات يسافر كثيرا إلى الخارج ويزور دولا معينة تمارس فيها أجهزة المخابرات الدولية نشاطها بكثافة.. يحمل معه أو يضبط لديه أدوات تجسس مثل الحبر السرى أو أوراق مهربة أو شفرات خاصة أو أجهزة لاسلكى ويقوم بتسجيل الاتصالات وإجراء المقابلات مع عملاء أجهزة المخابرات الأجنبية.

والحقيقة أن كل ماتبحث عنه أجهزة الضبط ومكافحة الجاسوسية لم يعد موجودا - الآن - ولم يعد الجاسوس هو ذلك الشخص الذى نراه فى الأفلام يرتدى القبعة ويجيد التنكر ويهوى الاختفاء ويحمل معه زنكوغرافات الوثائق والخرائط الحربية ويتحدث بعدة لغات ويفهم كل

---

(١) خلال عام ١٩٩٦ قامت المخابرات الإسرائيلية باغتيال أحد زعماء حزب حركة حماس الفلسطينية بواسطة جهاز (الموبيل) الذي انفجر فيه فور استخدامه.

(٢) هذا مايفسر اللقاءات الثنائية المتكررة بين الرؤساء والملوك العرب في المنطقة والتي لاتستغرق أغلب هذه الزيارات أكثر من عدة ساعات فقط وذلك حرصا علي سرية المباحثات.

شىء ويعرف كيف يراوغ ؟! وكيف يتلصص ؟! وكيف يحصل على المعلومة ؟! وكيف يوصلها إلى أجهزة المخابرات ؟!

لقد انتهى كل ذلك الآن. وأصبح الجاسوس مواطنا عاديا. بسيطا . وأحيانا يكون مغلوبا على أمره.. يعيش مثله مثل باقى فئات الشعب المطحونة منخفضة الدخل. ولم يعد مطلوب منه سوى نشر الأفكار المضللة وبث روح الفرقة واليأس بين أبناء الوطن. وإثارة الفتن داخل المجتمع. والبحث عن ضحايا جدد لإزكاء روح التشدد والتعصب والتمرد. وعندئذ . فقط. تتحقق أهداف أجهزة المخابرات التى تسعى لتحقيقها.

× × ×

الفصل الرابع

جواسيس للبيع



■ أجهزة المخابرات تواجه البطالة والكساد ■ المخابرات الروسية : تقلص عملياتها بنسبة ٤٠٪ وتغلق ٣٠ محطة تجسس خارجية ■ المخابرات الأمريكية : تخفض ميزانيتها وتقلل نشاطها وتنقل ٤٢٥ عميلا إلى إدارات أخرى ■ المخابرات البريطانية : تبحث عن دور يقر المجتمع ضرورته لتدبير ميزانيتها الضخمة ■ التكنولوجيا الأمريكية فى خدمة دوبليرات الزعماء السياسيين ■ المخابرات تستخدم فتيات الليل فى عمليات التجسس بضعف الأجر ■ الإرهاب يعطى أجهزة المخابرات قبلة الحياة ■ عملاء دوليون يتحدون أجهزة التجسس العالمية ■ اعتبار حوادث الإرهاب قضايا أمن قومى فى معظم دول العالم

العمل فى أجهزة المخابرات .. فن وعلم وخطر !

والخطر يواجه العملاء أينما ذهبوا. ومتى تحركوا. وفى كل مكان يوجدون فيه !

هم.. دائما مطاردون.. يواجهون المجهول.. حياتهم مهددة.. ومستقبلهم غامض !

تعتبرهم الدول جهاز الإنذار المبكر والأول.

هم الذين يحذرون من الهجمات والتحركات العسكرية.

وهم الذين ينبهون الدول للأخطار والمخاطر التى تواجهها.

وهم الذين يتجسسون على المباحثات السياسية ويهربون الوثائق والخرائط العسكرية ويسطون على أسرار الصناعة والتكنولوجيا.

إنهم.. يبحثون ويخططون وينفذون.. ولايدرى بهم أحد !

وقد يكونوا أمامك. ولاتراهم !

وقد يكونوا خلفك. ولاتشاهدهم !

إنهم مجهولون حتى لأقرب الناس إليهم.

هم بعيدون تماما عن دائرة الأضواء. ولكنهم كثيرا مايصنعون الأحداث ويحركونها !

قد يعرفهم البعض بأسماء ولا تكون هى أسماؤهم الحقيقية !

قد يتخفون وراء نشاط أو مهنة. ولكنهم يتخذون منها ستارا لنشاطهم وتحركاتهم !

قد يسألونك بخبث وتجيب. أنت. بحسن نية !

إنهم جواسيس مدربون وعملاء محترفون !

معظمهم وطنيون. تسجل أسماؤهم وبطولاتهم فى أنصع الصفحات !

وبعضهم خائنون. تلاحقهم أجهزة الأمن وتنتظرهم أحكام الإعدام !

■■■

رغم تعدد عمليات التجسس التى يعلن عنها بين الحين والآخر فى مختلف أرجاء العالم. إلا أن نسبة كبيرة من عملاء أجهزة المخابرات أصبحوا. فى واقع الأمر. متعطلين يبحثون عن عمل ويعرضون خدماتهم للبيع لمن يطلب أو يدفع أكثر !

وسوف يشهد العالم أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين أصبحت سوق التجسس (١) تعانى من البطالة وتواجه أخطار الكساد حتى بات الكثيرون يخشون على هذه المهنة من الانقراض !

---

(١) تعتبر الجاسوسية أو مهنة (البصاصين) من أقدم وأشهر المهن علي مر التاريخ.

وبالطبع هناك العديد من الأسباب التى جعلت الجواسيس والعملاء الجدد يجلسون على المقاهى كعمال التراحيل فى انتظار من يشير إليهم فيهرعون خلفه.

وهذه بعض العوامل التى أدت لزيادة معدلات البطالة فى سوق التجسس :

أولا : انتهاء الحرب الباردة بين دول الكتلة الشرقية أو مايسمى بحلف (وارسو) ودول الكتلة الغربية أو مايسمى بحلف (الأطلنطى) وأصبحت هناك علاقات ومصالح مشتركة بين الطرفين. (١)

ثانيا : انهيار الاتحاد السوفييتى السابق واستغناء جهاز المخابرات السوفييتية (K.G.B) عن العديد من العملاء فى دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثا : التوسع فى استخدام أقمار التجسس الصناعية فى العديد من الدول والتى تقوم بمهامها التجسسية بدقة وكفاءة عالية.

رابعا : انتشار أدوات التجسس السوفييتية وبيعها فى الأسواق للمواطنين بعد انهيار الاتحاد السوفييتى السابق. حيث تمتلىء الأسواق الأوروبية حاليا بمختلف أدوات التجسس من الكاميرات المعقدة والمخبأة داخل الساعات والأقلام والمظلات وأقراط الأذن فضلا عن أدوات التمويه مثل أوراق الكوتشينة والحبر السرى الذى يستخدم لإخفاء المعلومات السرية والخطيرة.

خامسا : دخول عصر تدفق المعلومات من خلال استخدام أجهزة الكمبيوتر والإنترنت واستقبال الأقمار الصناعية وغيرها من الوسائل الحديثة. كما أن أجهزة الإعلام شهدت طفرة كبيرة بالنسبة للإذاعة والتليفزيون والصحافة جعلت العالم كأنه يعيش فى قرية صغيرة تتدفق خلالها الأخبار وتتبادل المعلومات وتنقل الأحداث لحظة بلحظة فور وقوعها.

سادسا : المشكلات السياسية التى تعانى منها الدولة عند سقوط جواسيسها أو قيام الدول بالكشف عن شبكات التجسس المعادية وما قد يترتب على ذلك من آثار بالنسبة لسعى الدولة لاسترداد جواسيسها أو الآثار السلبية على علاقات التعاون المشتركة.

وقد بدأ العديد من وكالات المخابرات الدولية الرئيسية فى تقليص عملياتها وعدد عملائها فى الدول الأخرى. يذكر يورى كوبالادزه المتحدث باسم المخابرات الروسية : «أننا قررنا خفض نشاطنا فى مختلف مناطق العالم» والحقيقة أن المخابرات الخارجية الروسية قلصت عدد العاملين فى مقرها بنسبة ٤٠٪ وخفضت عدد عملائها المحترفين فى الخارج بنسبة ٥٠٪ بعد أن أغلقت حولى ثلاثين محطة تجسس. كما جرى تقليص حجم ميزانيتها بشكل كبير.

---

(٢) يتجه الآن بعض دول حلف (وارسو) للانضمام في حلف (الأطلنطي) بعد انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي السابق.

ورغم أن ميزانية وعدد رجال مكتب التحقيق الفيدرالى العاملين فى مجال مكافحة التجسس لايزال يحيط بهما الغموض. إلا أنه من الواضح أن الاتجاه السائد - حاليا - فى الولايات المتحدة يتجه إلى خفض عمليات جهاز المخابرات المركزية الأمريكية أيضا. حيث تم نقل ٤٢٥ عميلا من إدارة مكافحة التجسس فى مكاتب التحقيق الفيدرالى إلى إدارات أخرى. وأصبحت عمليات الـ (C.I.A) أقل نشاطا ولايميل رجاله إلى المجازفة.

خلال الفترة التى أعقبت انتهاء الحرب الباردة بدأت المخابرات المركزية الأمريكية فى إعادة ترتيب الأوضاع من حيث ميزانيات تقسيم الموارد. وبعد أن كانت معظم ميزانية الوكالة تنفق من قبل على عمليات تجسسية تستهدف الإتحاد السوفييتى نجد أن أقل من ١٥٪ من ميزانيتها تنفق الآن على التجسس على جمهوريات الإتحاد السوفييتى السابق ، وجرى تركيز بعض الموارد على النشاطات الخاصة بمواجهة انتشار الأسلحة النووية ومكافحة الإرهاب والتصدى للأزمات المحتملة فى العالم الثالث.

ويبدو أن العمليات السرية الكبرى التى كانت تستهدف الإطاحة بالحكومات أصبحت هى الأخرى أثرا من الماضى وأصبحت عمليات الـ (C.I.A) أصغر بكثير وتستهدف معالجة مشاكل محددة.

وفى المخابرات البريطانية عاشت هذه الأجهزة فترة طويلة افتقرت فيها إلى دور واضح وعمل يقر المجتمع ضرورته الملحة منذ أن وضعت الشيوعية أوزارها وانتهت الحرب الباردة وأصبح على شبكة عملاء هذه الأجهزة وقياداتها أن تجد لنفسها وظيفة تنهى بطالتها.

ويضم جهاز المخابرات البريطانى شبكة من الجواسيس والعملاء يقدر عددهم بحوالى ٢٠٠٠ شخص يتحركون فى إطار ميزانية تبلغ ١٥٠ مليون جنيه استرلينى سنويا. وكان من التقاليد المتعارف عليها والأعراف المستقرة فى العمل الحكومى والرسمى البريطانى عدم الإفصاح عن اسم أو شخصية رئيس هذا الجهاز إلى أن أعلن مؤخرا اسم رئيسه الجديد المدعو (دافيد لاندر) ٤٨ سنة والخبير الأمنى فى مواجهة الإرهاب.

وهناك ثلاثة أجهزة مخابرات فى بريطانيا. الأول يدعى (إم . آى . فايف) وهو جهاز مكافحة التجسس والأمن الداخلى، ويعتبر بمثابة الجهاز الدفاعى المنوط به الموضوع الايرلندى ومشاكل الإرهاب التى يقوم بها الجيش الجمهورى.

أما الجهاز الثانى فهو (إم . آى . سكس) وهو جهاز الإستخبارات السرية الذى يطلق عليه (إس.آى.إس) ويضطلع بمهام جمع التحريات والعمل فى الخارج. والجهاز الثالث هو بمقر الإتصالات الحكومية ويشترك مع (إس.آى.إس) فى جمع المعلومات اللازمة لحماية المصالح البريطانية ودعمها.

ويرجع إنشاء جهاز المخابرات البريطانى إلى عام ١٩٠٩ لمواجهة تهديدات التجسس الألمانية وتدعيم وترسيخ السيطرة البريطانية على المستعمرات. وهو الإطار الذى تحرك فيه (لورانس) أشهر الجواسيس البريطانية وأكثرهم ورودا على الذهن العربى. ثم وجه جهاز المخابرات البريطانى نشاطه خلال فترة الحرب الباردة إلى مكافحة أجهزة المخابرات السوفييتية عالية الأداء والتقنية وقوية المصادر وكذلك أجهزة المخابرات الحليفة لها فى دول حلف (وارسو).

الحقيقة المؤكدة أنه كلما اشتدت الأزمات وتصاعدت حدة الخلاف والعداء بين الدول كلما ازدهرت ونشطت أجهزة المخابرات. ولذلك فإن العصر الذهبى لعالم الجاسوسية كان - بلا شك - خلال فترة الحرب الباردة المشتعلة بين قطبى العالم وحلفائها، حيث كانت للجاسوسية أهمية تجعل من يمارسونها يحصلون على كل مايريدون من أموال فى مقابل أسرار تجعل منهم أبطالا أسطوريين بالنسبة لطرف وخونة غادرين للطرف الآخر. (١)

أما اليوم فقد تغير الحال بعد انهيار سور برلين وتفكك الإمبراطورية السوفيتية واختفاء ما كان يسمى بالكتلة الشرقية. حيث أخذت الجاسوسية منعطفا جديدا وأبعادا أكثر اتساعا وأشكالا أخرى غير تلك التى اعتاد عليها العالم أثناء فترة مابين الحرب العالمية الثانية وانهيار النظام الشيوعى.

ولقد تغير الهدف من عمليات التجسس ولم تعد الأسرار العسكرية غاية كل جاسوس بعد أن انتشرت الأقمار الصناعية بصورة جعلت العالم مكشوفا على بعضه البعض، وليس هناك أسرار وغموض سوى تلك المخبأة فى ملفات معنونة «سرى للغاية» أو داخل أجهزة الكمبيوتر بشرائطه وشفراته السرية وهو مايعنى أن مجال التجسس قد اتسع وأصبح يستلزم خبراء متخصصين قادرين على التغلغل داخل المؤسسات والإدارات الهامة والوصول إلى المعلومات السرية وتحليلها وبيعها بعد ذلك لكل من يدفع أكثر.

ومع تغير الهدف من وراء عمليات التجسس تغير - أيضا - مفهوم الجاسوس ورؤية المجتمع له، إما على اعتباره خائنا يستحق الشنق أو بطلا اسطوريا يجب رفعه إلى مستوى الأبطال القوميين. ولكن - حاليا - فقد الجاسوس هذه الأضواء الباهرة التى تسلط عليه كما فقد الألقاب العديدة التى كانت تطلق عليه وأصبح الجاسوس ليس سوى مجرد خبير قادر على الحصول على معلومات خاصة بالتكنولوجيا المتطورة طالما أن الحرب العسكرية قد انتهت ودخل العالم مرحلة جديدة من الحرب هى الحروب التجارية.

وقد يعمل العميل السرى - أيضا - فى مجالات أخرى مثل مكافحة المافيا وتجارة المخدرات. وفى مقابل المكسب المادى يحاول التسلل داخل شبكات المافيا وعصابات المخدرات من أجل

---

(١) عزة سامي - الأهرام - ١٩٩٤/٦/٧ .

معرفة أسرارهم وبيعها للأجهزة الأمنية المختصة وهو بذلك يحقق فائدة للمجتمع الذى يعيش فيه ويجنى ثروة كبيرة دون أن يسمى خائنا كما كان الحال مع جواسيس الأمس.

والحق أن هذا التغير الذى أصاب مهنة الجاسوسية يحتاج إلى نظرة فاحصة إلى أصل هذه المهنة وتاريخ ظهورها بالشكل المعروف. فخلال الفترة مابين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر كانت عملية التجسس تقابل برفض شديد من جانب المجتمع، وقد ظل الحال كذلك حتى ماقبل الحرب العالمية الثانية وكان الشعار المرفوع فى ذلك الوقت أن الرجل المهذب (الجنتلمان) لايقرأ أبدا رسائل غيره. ولكن تلك القيم القائمة على احترام الغير وخصوصياته بدأت تشهد تطورا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخاصة مع تطور فكرة الدولة الأمة مما أدى إلى حدوث انشقاقات بين القيم الخاصة والقيم العامة وأعطى للجاسوسية وضعا جديدا من الشرعية بل والبطولة.

وعلى آية حال فقد شهدت الحرب العالمية الثانية ميلاد هذا الاتجاه الجديد نحو الجاسوسية والذى تأكد تماما بعد عام ١٩٤٥ مع انتشار أجهزة المخابرات بشكل كبير فى الغرب والشرق على السواء فى ظل المناخ الذى كان يرفض السلام ويروج للحرب. وبالتالى احتل العميل السرى مكانة أسطورية مما جعله مادة خصبة للأعمال الأدبية والسينمائية.

ويعتبر كل من (فيلبى - برجاس - ماكلير - بلانت - كيرفكروس) هم أشهر الوجوه فى عالم الجاسوسية وخاصة خلال فترة الحرب الباردة. ورغم أن أعمال هؤلاء الجواسيس البريطانيين الخمسة قد تناولها العديد من الكتاب والمحللين. إلا أن هناك الكثير من الأسرار التى لا تزال خفية عن نشاط هؤلاء الجواسيس والأسباب التى أدت إلى تحول هؤلاء الرجال المحترمين فى المركز والمكانة الاجتماعية إلى جواسيس لصالح المعسكر الشرقى. ويذكر إيفانوفيش مودين رئيس شبكة التجسس التى تضم الجواسيس الخمسة أن النشأة الأولى لهؤلاء الجواسيس هى السبب الحقيقى من دخولهم عالم الجاسوسية. حيث كانوا يعاملون بنظام تعليمى جامد تحكمه قواعد وقوانين متشددة وهو فى الحقيقة يمثل مرآة للمجتمع الخارجى بكل عاداته وتقاليده وطبقيته فى نفس الوقت الذى لايوجد أى مؤشر ينذر بقرب حدوث تغير أو تحول.

هذا النظام كان مرفوضا منهم منذ البداية، فقد كانوا يحلمون بمستقبل أكثر إشراقا وعدلا ومساواة كما كان يدعو (لينين) فى حركته التاريخية. ومن هنا فإنهم عندما وضعوا أنفسهم تحت خدمة الاتحاد السوفييتى، لم يكن لديهم الاعتقاد بأنهم يخونون وطنهم إنما على العكس كانوا مقتنعين بأنهم يعملون لصالحه. ولكن هذه الحجج والادعاءات هى نفس المبررات التى يدعيها كل من تسول له نفسه لخيانة وطنه لصالح أطراف أخرى خارجية.

ورغم أن أجهزة المخابرات الأمريكية تكلف دافعى الضرائب مايقدر بحوالى ٥٠ مليار دولار

سنويا. إلا أن الكثيرين من مسئولى المخابرات يقرون بأنفسهم أن جهاز الـ (C.I.A) لايزال يعانى من تضخم الأجهزة الإدارية واهدار الإمكانيات بينما يعترف آخرون بأن الولايات المتحدة ليست على يقين من ماهية المعلومات الجديدة التى تريدها. فهناك مثلا اجماع على أن الولايات المتحدة ينبغى أن تحرس التقنية الراقية التى تصلح للتطبيقات العسكرية لا من الأعداء القدامى كالاتحاد السوفيتى السابق ولكن أيضا من الأصدقاء كاليابانيين والإسرائيليين. ولكن إذا حدث أن جواسيس أمريكا اكتشفوا أن دولة أجنبية تسعى إلى إقتحام ميدان صناعى مهم كصناعة أجهزة الكمبيوتر المتطورة مثلا. فهل يجوز لهم إفشاء تلك المعلومات للشركات الأمريكية المعنية!!

وإذا كان الجانب الاقتصادى هو أحد محاور الاهتمام لدى دوائر المخابرات اليوم فإن المحور الآخر يتعلق باستطلاع «النوايا»، فأقمار التجسس الصناعية التى تكلف آلاف الملايين من الدولارات قد تكفى لرصد مايجرى فى مكان محدد وفى وقت محدد ولكن العنصر البشرى هو وحده الذى بمقدوره أن يدلك على النقطة التى ينبغى البحث فيها أو التنصت عليها وما ينبغى أن نبحث عنه؟! وفى أحسن الحالات مايمكن أن تتوقعه أيضا. فنظرا لافتقار وكالات الإستخبارات الأمريكية إلى مصادر بشرية فى العراق أبطأت فى إدراك حقيقة النوايا الكامنة فى تحركات قوات صدام حسين على الحدود الكويتية فى أغسطس عام ١٩٩٠ ولم تأخذ الأمر محمل الجد منذ البداية.

ومع ذلك فقد أثبتت أساليب التجسس القديمة فعاليتها أيضا. وعقب الغزو العراقى للكويت انتشر موظفو وكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات الدفاع عبر أوروبا والولايات المتحدة بتجميع الخرائط والرسومات الهندسية الخاصة بعشرات من المنشآت التى أقامتها شركات غربية لحساب حكومة صدام حسين. ولذلك فإن القنابل الذكية التى أذهلت الجميع خلال حرب الخليج كانت معجزات تقنية تم تطبيقها. ولكن الفضل فى معرفة الطيارين للأهداف المراد ضربها على وجه التحديد كان يرجع إلى دقة بيانات التصويب التى جمعها عملاء المخابرات الأمريكية.

وقد اعتادت وكالة المخابرات المركزية منذ فترة طويلة على إلحاق معظم موظفيها فى الخارج بالسفارات الأمريكية وغيرها من المرافق التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية. ولكنها تلقت درسا قاسيا خلال تجربتها فى كل من إيران ولبنان حيث تعلمت أن تركيز كل إمكانياتها بالسفارة الأمريكية بجعل أجهزة المخابرات معرضة لنتائج الثورات والأعمال الانتقامية، وعلاوة على ذلك فإن وزارة الخارجية نفسها أخذت تقلل من أعداد موظفيها فى الخارج مما أرغم وكالة المخابرات المركزية على البحث عن غطاء آخر. كما أن الشركات التجارية والجامعات الأمريكية أصبحت الآن بطبيعة الحال أقل استعدادا للتعاون مع وكالة المخابرات المركزية.

وعلى الرغم من ذلك فإن جهاز المخابرات الأمريكية يحتفظ منذ سنوات بشبكة من عملائها تحت شعار غير رسمى وتحيطها بالتكتم الشديد. فهؤلاء يعملون عادة بمنأى عن السفارات الأمريكية ومراكز وكالة المخابرات المركزية ولايتمتعون بمزايا الحصانة الدبلوماسية التى قد تحميهم من إمكانية القبض عليهم ومحاكمتهم فى البلد المعنى فى حالة اكتشاف أمرهم. وبالتالى فهم - دائما - فى موقف دقيق للغاية.

ولجهاز المخابرات الأمريكية شبكة كبيرة من المكاتب فى الخارج خاصة فى الدول العربية. حيث تستخدم هذه المكاتب كقواعد تنطلق منها عمليات الجهاز الأمريكى، ومعظم هذه المكاتب لاتدخل المخابرات الأمريكية لشرائها بشكل مباشر وإنما يقوم بهذه المهمة أشخاص آخرون يملكونها بصفتهم الاعتبارية كعملاء سريين من الذين يمكن أن يكون لهم وجود وهوية محددة تستغل المنشأة من خلالهم سواء بعلمهم أو بدون علمهم وهم أيضا أشخاص يمكن ألا يكون لهم وجود من الأساس لكن الاسم الخاص بهم يتداول فى المكاتب الرسمية كاسم فقط فى حين أن أحد المحامين فى هذه الدول يقوم دون أن يدرى بالأعمال الاسمية بدلا من موكله الاعتبارى الذى يمكن أن يكون رئيس المخابرات الأمريكية شخصيا.

والحقيقة أن جهاز المخابرات الأمريكية يعتبر من أكبر أجهزة المخابرات فى العالم ويضم عددا ضخما للغاية من العملاء والجواسيس على مختلف الأشكال والأنواع بدءا من رؤساء دول وحكومات (١) وحتى ملاحظى العمال والمقاولين والعاطلين. وكثيرا مايعتمد جهاز المخابرات المركزية على التقارير الدورية التى تصلهم من هؤلاء العملاء، وقد تكون هذه المعلومات بسيطة أو عادية تتداول بين العامة حول أسعار السلع الغذائية ومعدلات ارتفاع الأسعار أو نسب البطالة أو المشاكل الاجتماعية التى تواجه الدولة أو بعض الظواهر الإرهابية والخروج عن القانون وغيرها من الأخبار والمعلومات التى قد تمر أمامنا أو نسمعها ولا نلتفت إليها.. ولكن فى أجهزة المخابرات تدخل هذه الحزمة من المعلومات إلى خبراء ومتخصصين فى فن التحليل ويأخذ كل منهم المعلومة الواحدة مثل الخيط ويقوم بدمجها وبخيوط أخرى من المعلومات السابقة والأرشيفية عن هذه الدولة ويخرج فى النهاية بأحد الأسرار الخطيرة التى يمكن أن تلعب دورا مهما فى مستقبل وتوقعات المخابرات المركزية عن هذه الدولة.

وتقدم المعلومات التى يحصل عليها جهاز الـ (C.I.A) فى جميع أنحاء العالم فى تقرير يومى للرئيس الأمريكى والذى يأخذ عادة هذه المعلومات بجدية خاصة فيما يتعلق بالدول العربية. وكثير من هذه التقارير وما تتضمنه من معلومات سرية تكون لها دور مهم فى تحديد

---

(١) اتهمت تايسو شيلر رئيسة الوزراء التركية السابقة بأنها عميلة لجهاز المخابرات الأمريكية وتحصل علي راتب سنوي يقدر بحوالي ١٠٠ الف دولار سنويا. ولايزال هذا الإتهام محل تحقيق.

الأفكار والخطط والاستراتيجيات الأمريكية تجاه العديد من المشكلات التى تتصل بالمصالح أو تتعلق بالسياسات الأمريكية تجاه الدول الأخرى.

وتوجد فى الولايات المتحدة سلسلة متشابكة من أجهزة المخابرات كثيرا ماتتنافس فيما بينها على مهام جمع وتحليل المعلومات عن الأخطار الخارجية التى يعتقد أنها تهدد مصالح أمريكا وعلى توجيه نشاط المخابرات الأمريكية عموما. وفى بعض الأحيان تتزاحم حتى على تنفيذ عمليات ضد أهداف أجنبية.

ومن المهام التى تتطلب اهتمام وكالة المخابرات المركزية أعمال مكافحة التجسس وجهة الاختصاص الرئيسية المكلفة بإحباط نشاط أجهزة الاستخبارات المعادية فى الولايات المتحدة هى مكتب التحقيقات الاتحادى (F.B.I) ورغم إنشاء مركز مشترك لمكافحة الجاسوسية بين هيئات ومكاتب الـ (C.I.A) إلا أن الجهود الأمريكية فى ملاحقة الجواسيس الأجانب مازال يعوقها ارتباك الروتين الإدارى والمنافسة بين الأجهزة المختلفة. ومن الطرائف فى هذا المجال أن مكتب التحقيقات الإتحادى كان يقوم بعملية مراقبة عادية فى نيويورك فالتقطوا صورا لشخص «مريب» وأخذوا فى مراقبته والتحرى عنه لفترة طويلة ثم اتضح فى النهاية أن هذا الشخص المريب ماهو إلا عميل لوكالة المخابرات الأمريكية والذى كان مكلفا بنفس المهمة أيضا.

الغريب فى الأمر أنه عندما طرحت فى الولايات المتحدة فكرة انشاء وكالة مخابرات مركزية لأول مرة فى عام ١٩٤٤ قوبلت باستنكار شديد نتيجة لظهور سلسلة من التقارير الصحفية المثيرة للمخاوف سربها (جى ادجار هوفر) رئيس مكتب التحقيقات الإتحادى فى ذلك الوقت. وكان التخوف من أن أية دائرة جديدة للتجسس لن تلبث أن تصبح مثل الجستابو الألمانى السيىء السمعة خلال فترة النازية فى المانيا. ولكن مع بداية الحرب الباردة اقتنع الرئيس الأمريكى تورمان بأن حكومته فى حاجة إلى استعادة إدارة للتجسس من نوع مكتب الخدمات الإستراتيجية (OSS) الذى كان قائما أثناء الحرب العالمية الثانية. وهكذا ولدت وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) فى عام ١٩٤٧ وهذه الوكالة والمكتب السابق لها تولى إدارتهما عدد من الشخصيات اللامعة كان من بينهم :

■ وليام دو نوفان ـ مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية خلال الفترة من (١٩٤٢ ـ ١٩٤٥) ويعتبر أعظم رئيس للجاسوسية الأمريكية وقام بتنظيم عمليات سرية فى خمسة من ميادين الحرب نجحت بصفة خاصة فى إدارة حركات المقاومة السرية وحل رموز شفرة القيادة النازية وتوفير الإستخبارات العسكرية المهمة قبل بدء المعارك.

■ آلن دالاس ـ مدير وكالة المخابرات المركزية خلال الفترة (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) وتولى إدارة

المخابرات فى أوج عملياتها السرية بما فى ذلك الإطاحة بالحكومة الإيرانية فى عام ١٩٥٣ وحكومة جواتيمالا فى سنة ١٩٥٤. وكان . أيضا . مسئولا عن المخابرات الأمريكية فى أحلك ساعاتها المشينة وهى عملية خليج الخنازير التى منيت بالفشل الذريع فى كوبا سنة ١٩٦١.

■ جون ماكون . مدير وكالة المخابرات المركزية خلال الفترة (١٩٦١ . ١٩٦٥) وقد قام برفع مستوى كفاءة الوكالة فى تحليل المعلومات مما ساعده على القيام بدور بالغ الأهمية أثناء أزمة الصواريخ الكوبية فى سنة ١٩٦٢. ولكن وكالة المخابرات المركزية فى عهده تآمرت على اغتيال اثنين على الأقل من زعماء العالم. فيدل كاسترو فى كوبا وباتريس لومومبا فى الكونغو. وقامت بعمليات مراقبة غير مشروعة استهدفت أكثر من عشرة آلاف مواطن أمريكى وإن كان لم يتأكد دور ماكون شخصيا فى كل تلك الأحداث.

■ ريتشارد هيملز . مدير وكالة المخابرات المركزية خلال الفترة (١٩٦٦ . ١٩٧٣) وهو أول رجل مخابرات محترف يتولى إدارة الوكالة. وقد أشرف على الحملة التى نظمتها لزعزعة استقرار حكومة الرئيس سلفادور الليندى فى تشيلى فى أوائل السبعينيات ولكنه رفض الخضوع لضغوط البيت الأبيض فى عهد نيكسون لتوريط وكالة المخابرات المركزية فى التستر على فضيحة ووتر جيت.

■ وليام كيسى . مدير وكالة المخابرات المركزية خلال الفترة (١٩٨١ . ١٩٨٧) وهو أكثر كبار الجواسيس اثارة للجدل. وينسب إليه فضل إعادة بناء وكالة المخابرات بعد أن ضعفت معنوياتها. كما أعاد تنشيط عملياتها السرية. ولكنه كان يميل إلى التكتم الشديد وساعد فى جر الحكومة الأمريكية إلى التورط فى فضيحة (إيران والكونترا) ومات قبل أن يكشف النقاب بالكامل عن دوره فى تلك القضية.

■ روبرت جيتس . ٤٧ سنة . نائب مستشار الأمن القومى فى الإدارة الأمريكية أثناء رئاسة جورج بوش يحمل شهادة دكتوراه فى تاريخ روسيا ودول الاتحاد السوفيتى السابق وله خبرة أكثر من ٢٠ عاما فى العمل بوكالة المخابرات المركزية.

الغريب فى الأمر حالة الغموض التى انتهت بها حياة عدد من رجال المخابرات الأمريكية المشهورين. حيث أعاد حادث وفاة (باميلا هاريمان) سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية بباريس فى ١٠ مارس ١٩٩٧ والتى عثر على جثتها فى حمام سباحة فندق (ريتس) فى فرنسا للأذهان ماحدث لعميل المخابرات الأمريكى السابق (جاك بياسلى) الذى عثر عليه مقتولا بأعيرة نارية بعد أن خرج للنزهة بقارب خاص. وفى العام الماضى حدث نفس الشىء لـ (وليام كولى) مدير المخابرات الأمريكية السابق حيث عثر عليه غارقا وسط البحيرة عندما خرج بقاربه الخاص أيضا فى رحلة صيد.

لايدرى أحد حتى الآن. ماهو سر التشابه فى ظروف الحوادث الثلاث السابقة، وخاصة أن الضحايا كانت لهم صلة وثيقة بالمخابرات الأمريكية. فقد التحق كولى بالمخابرات فى عام ١٩٥٠ وبعد عدة عمليات ناجحة فى اوروبا تم ارساله إلى فيتنام ثم تمت ترقيته إلى منصب رئيس المخابرات المركزية الأمريكية فى عام ١٩٧٢. وفى البداية توسع (كولى) فى الدور الذى كانت تلعبه أمريكا تجاه العالم خاصة ماسمى بتجارب السيطرة على الفعل باستخدام عقار (ال.اس.دى) المخدر، وتعرض (كولى) للفصل من منصبه فى عام ١٩٧٦ خلال فترة حكم الرئيس الأسبق جيرالد فورد.

أما الوقائع الجارية على الساحة فهى تؤكد أن هناك محاولات جادة لإعادة تشكيل جهاز المخابرات الأمريكية، خاصة أن مسألة الجاسوسية على درجة من الحساسية وأمريكا حريصة على ألا تتكرر نفس الأخطاء السابقة بالنسبة لكوبا وإيران والمانيا وفرنسا. ولاينسى أحد أزمة فبراير عام ١٩٩٥ عندما اكتشفت فرنسا عملية تجسس اقتصادية ضدها. فقامت بطرد أحد الموظفين بالسفارة الأمريكية فى باريس لتورطه فى هذه العملية التى احتلت عناوين الصحف. وعلى الرغم من الذى قامت به السفيرة الأمريكية فى باريس (باميلا هاريمان) لإعادة الثقة بين فرنسا وبلدها. فإن أصابع الاتهام اتجهت إليها لعلمها بكل ماحدث. وهو الأمر الذي اضطر إدارة الرئيس الأمريكى (بيل كلينتون) إلى تعليق العمليات الخاصة فى فرنسا. لكن فى نفس الوقت وحتى تأخذ فرنسا بثأرها قامت بنقل معلوماتها الخاصة عن عمليات التجسس الاقتصادى إلى جهات أوروبية.

ولايزال البعض يرى فى حوادث قتل عملاء المخابرات الأمريكية وجود فاعل خفى يقوم بعمل تصفيات جسدية للعملاء السابقين بهدف الثأر من عمليات جهاز الـ C.I.A وخاصة أن أسلوب الوفاة للضحايا الثلاث من عملاء المخابرات الأمريكية خلال السنوات الخمس الماضية كانت دائما تتم بأسلوب واحد ويتم اكتشاف جثث الضحايا طافية فوق المياه بعد تعرضها للغرق !!!



فى ظل حالة الركود والبطالة التى بدأت تتفشى فى دوائر أجهزة التجسس العالمية وبين عملائها. جاءت العمليات الإرهابية التى تنظمها بعض الاتجاهات المتطرفة فى مختلف دول العالم لتحتل مركز الصدارة فى اهتمام أجهزة المخابرات. وأصبحت قضية الإرهاب بالنسبة لهذه الأجهزة بديلا عن حالة الفراغ التى تعانى منها وهى بمثابة قبلة الحياة وعودة الروح للعديد من الجواسيس والعملاء السريين لاستعادة دورهم السابق والمفقود بعد انتهاء الحرب الباردة. حيث أعادت قضايا الارهاب هؤلاء العملاء إلى دائرة الاهتمام من جديد بعد فترة طويلة من التسكع والبطالة والمحاولات الدؤوبة للبحث عن دور أو عمل دون جدوى !!

ولم تقتصر حوادث الإرهاب على بعض الاتجاهات الدينية والأصولية المتطرفة فى المنطقة العربية ولكنها امتدت لتشمل العديد من الدول فى أوروبا والغرب. حيث اتسع نشاط جماعات الإرهاب وأفصحت عن وجهها القبيح بشدة خلال أحداث أوكلاهوما وتفجيرات مترو الأنفاق فى فرنسا وتفجير المبنى التجارى العالمى فى الولايات المتحدة الأمريكية ومحاولة تفجير مبنى السفارة الإسرائيلية فى لندن بالإضافة إلى العديد من حوادث الإرهاب والاغتيالات التى تصاعدت بحدة خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات.

وقد واءمت وكالة الاستخبارات المركزية مؤخرا بين الأرقام القياسية التى بلغتها فى المخصصات والمهمات وبين برامجها التى تجمع جهود العملاء مع جهود المحللين وذلك بأن رفعت من سرية تدريب الضباط المتخصصين لعمليات التجسس. ولكن هذا كان لايزال موجها إلى الكتلة السوفييتية ولذلك لم تكن الوكالة تستخدم عملاء يتمتعون بالمهارات اللغوية والخبرة المعرفية التى تجد نفسها بحاجة إليها حاليا. ومع أن اختراق كل جمهورية من الجمهوريات المستقلة أصبح أكثر سهولة إلا أن عددها كبير جدا ولذلك تسعى الوكالة لتجنيد عملاء لها من الجماعات العرقية التى تحيط بالبلد أو من أوساط مواطنى دولة ثالثة قد يكونون راغبين فى العمل معها.

وبدأت تتحول النظرة الإستراتيجية الأمريكية لظاهرة الإرهاب الدولى للانتقال من مرحلة التعامل مع الإرهاب كأحداث عنف إلى اعتباره تهديدا للأمن القومى بديلا عن تهديد الاتحاد السوفيتى القديم. وصدر قانون مكافحة الإرهاب الدولى الذى وافق عليه الكونجرس بعد محاولات دامت حوالى سنة لكى يتبلور موقف محدد حول هذا القانون الهام يدرك الأبعاد السياسية لقضية الإرهاب بالنسبة للولايات المتحدة. والتى تغيرت النظرة إليها من اعتبارها ظاهرة وليدة مجتمعات وثقافات وعقائد بعيدة عن أمريكا إلى كونها ظاهرة أمريكية ودولية خطيرة.

كما تسعى الولايات المتحدة حاليا لعقد معاهدات مع عدد من دول العالم للتعاون فى مجالات مكافحة الإرهاب وكذلك استخدام سياسة تبادل المجرمين باعتبار أن الإرهابيين عناصر إجرامية يجب أن تخضع للقانون.

ويقضى قانون الإرهاب الأمريكى بتخصيص مبلغ مليار دولار لتعزيز استخدام الوكالات الأمريكية المختصة بتطبيق القانون لهذه الأموال فى مكافحة الإرهاب ويمكن السلطات الأمريكية من أن تبعد عن أراضيها أى إرهابيين أجانب بدون اذاعة الأدلة المتوافرة ضدهم وتفويض المحاكم بتقديم أى أشخاص أجانب مشتبه فى أنهم إرهابيون للمحاكمة مع السماح للرئيس الأمريكى باعلان منظمات معينة أجنبية على أنها منظمات إرهابية وتجميد أرصدتها واعتبار تقديم أموال إليها جريمة قانونية.

■■■

فى بعض الأحيان يصبح عميل واحد محترف أقوى من جهاز مخابرات كامل. بل إن أجهزة المخابرات نفسها كثيرا ماتلجأ إليه وتطلب عونه فى بعض المهام التى يصعب عليها تنفيذها.

وقد يتحول العميل المحترف إلى نجم شهير فى عالم المخابرات والجاسوسية. تنسج حوله البطولات والأساطير. وتطارده بعض الدول وتسعى إلى دول أخرى مرحبة بينما تتنافس عليه عصابات المافيا ومنظمات الإرهاب الدولية لكسب وده ورضائه عليها. وهو دائما مجهول المكان لاأحد يعرف عنوانه حتى أقرب المقربين إليه،مجهول الملامح من كثرة الأشكال التى يتنكر فيها والأسماء وجوازات السفر المزورة التى يحملها.

شروط التعامل مع العميل الدولى المحترف تتم فى منتهى السرية والكتمان ويتنقل فى طائرة خاصة وله مساعدون ومكاتب وسكرتارية وأحيانا يكون صداقات مع العديد من رؤساء الدول والحكومات التى تستضيفه مقابل بعض الخدمات التى يؤديها لهم. ولكن خدماته الإرهابية باهظة الثمن وتسدد مقدما إما نقدا أو بالتحويل على حساباته السرية فى البنوك السويسرية.

والعميل الدولى المحترف لاشىء يقف أمامه لتنفيذ عملياته الإرهابية.. فهو دائما مستعدا لأصعب العمليات وأكثرها خطورة بدءا من خطف الطائرات وحتى اغتيال الشخصيات الهامة ورؤساء الدول.

وعندما يعلو نجم العميل المحترف وتبدأ أصابع الاتهام فى ملاحقته فى العديد من حوادث التفجيرات والقتل وسفك الدماء والتعذيب وخطف الرهائن تتنبه إليه الدول وتوجه أجهزة المخابرات الدولية عملاءها لمطاردته والبحث عنه حيا أو ميتا وتخصص المنظمات العالمية مكافأة مالية ضخمة للإرشاد عنه أو تقديم أية معلومات تفيد للقبض عليه. ويدرج اسمه فى المطارات والموانى فى جميع الدول وتعلق صوره فى جهاز الإنتربول الدولى وفروعه فى جميع أنحاء العالم. ولكن رغم كل ذلك يظل العميل المحترف مختفيا ومجهولا للجميع !!

ومن أشهر الأسماء فى عالم الإرهاب الدولى العميل المحترف (كارلوس) والعميل الفلسطينى المحترف (أبو نضال) ومنظمته الشهيرة.

وكارلوس اسمه الحقيقى (اليتش راميرز سانشيز) ولد فى كاراكاس عاصمة فنزويلا وكان يوصف فى طفولته بالبلاهة.. وجهه سمين.. عيناه بنيتان.. شعره فى لون الحنة.. وكان منطويا على نفسه.. بدينا.. دائم البكاء.. يكره اللعب.. لايميل إلى الاختلاط.. وإذا مبدأ فى تناول طعامه يصعب إقناعه بالتوقف. (١)

---

(١) عادل حمودة - روز اليوسف - ١٩٩٤/٨/١٠ .

عمره حاليا حوالى ٤٨ سنة.. وهو من مواليد ١٦ اكتوبر ١٩٤٩ وقد ساهم فى تغيير حياته وشخصيته، والده المحامى الثرى الذى كان فى الوقت نفسه شيوعيا متطرفا.. فقد ورث عنه الحماس للثورات الاجتماعية وقد تحول هذا الحماس إلى عنف بعد أن تدرب على فنون التخريب والانقلابات فى معسكر « مونتانزاس » على التلال المشرفة على العاصمة الكوبية هافانا. وهذا المعسكر كان واحدا من ثلاثة معسكرات للتدريب على حرب العصابات تحت إشراف المخابرات السوفييتية (K.G.B) من أجل تصدير الإنقلابات إلى دول العالم الثالث.

لذلك يصر الفرنسيون على أن كارلوس كان عميلا للمخابرات السوفيتية. لكن رجال المخابرات السوفيتية الذين استقبلوه فى معسكر مونتانزاس كانوا يشكون فيه باعتباره مدسوسا عليهم من المخابرات المركزية الأمريكية. ولعل هذا الشك كان وراء طرده من موسكو التى ذهب اليها للدراسة فى جامعة لومومبا فى عام ١٩٦٨ ولكنه لم يكمل دراسته فى هذه الجامعة التى كانت تستقبل طلبة العالم الثالث.. ووصف بأنه متطرف.. وقبل طرده من موسكو التقى هناك برجل طلب منه المساهمة فى كثير من العمليات الانتحارية ومنها اغتيال أنور السادات. وكان هذا الرجل هو جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمؤمن بالكفاح المسلح على الطريقة اللينينية.

كان ذلك فى عام ١٩٧٠ وقد أقنعه جورج حبش بالسفر إلى عمان للقتال إلى جانب الفلسطينيين ضد الملك حسين ثم اقنع جورج حبش السوفييت بأنه فى حاجة إلى كارلوس لتدريب مجموعة من الفلسطينيين على أعمال المقاومة فى أحد المخيمات الغربية من موسكو. وفى عام ١٩٧٣ نفذ كارلوس أول محاولة اغتيال فى حياته.. كانت ضد رجل الأعمال اليهودى يوسف سييف الذى نجا منها لان كارلوس قرر إصابته برصاصة فى أسنانه. ولأن أسنان المليونير اليهودى كانت قوية فقد نجا من الموت وبعد هذه المحاولة استحق لقب إرهابى دولى.

ورغم أن كارلوس كان يكره اليهود فإن كثيرا من الناس كانوا يعتقدون أنه يهودى.. وكان يقول : «ماذا يمكن أن أفعل إذا كان وجهى يبدو يهوديا !؟ » لكن كارلوس الذى كان يبدو يهوديا لم يكن يتردد فى أن يعلن دائما انه وجماعته جزء من ساعة الثورة العربية.

لذلك كانت إسرائيل تعتبره العدو رقم واحد لها، وكانت الموساد تطارده وتطالب برأسه، أما هو فكان يقول : «إن شيئا واحدا ممكن أن يصيب إسرائيل فى مقتل هو حرمانها من البترول.. » وقد نجحت الموساد فى تجنيد عميل لها من الجبهة الشعبية كان ملازما لكارلوس فى باريس. وقد أبلغت الموساد المخابرات الفرنسية بوجوده فى شقة فى المبنى رقم ٩ من شارع فولبير فى المنطقة الخامسة والمعروفة بحى الطلبة فى باريس. وفتح كارلوس الباب بنفسه وخلال تبادل النار الذى أعقب ذلك قتل المخبر العضو فى الجبهة الشعبية وتمكن كارلوس من الهرب.

وأثناء حرب الخليج كان كارلوس يقيم فى سوريا ولكن بعد انتهاء الحرب طلب منه مغادرة سوريا هو وعائلته فى سلام وسرية تامة. وفى يوليو ١٩٩١ قام كارلوس برحلة إلى الحدود الليبية وكانت معه مجموعة أسلحته ووصل إلى مطار طرابلس لكن لم يسمح له بالإقامة إلا لفترة قصيرة وسافر بعد ذلك إلى عدن لكنه لم يمكث بها سوى اسبوعين أيضا. ثم تسلل هو وزوجته وابنته إلى الأردن. وعاشوا هناك فى هدوء حتى صيف ١٩٩٢. ثم طلبت المخابرات الأردنية منه مغادرة البلاد. فحزم كارلوس أمتعته مرة أخرى وغادر عمان متوجها إلى العراق. لكن صدام حسين رفض استقباله رفضا قاطعا لأن العراق تحت العقوبات الدولية ويكفيه مافيه. فعاد كارلوس مرة أخرى إلى الأردن وبدأت حالته المعنوية فى التدهور.

وفى هذه المرة تعرف على فتاة أردنية عمرها لايزيد على ١٣ عاما وترك زوجته (ماجدلينا) من أجلها وأهمل ابنته وأمه وقد سافرتا إلى فنزويلا فى سبتمبر ١٩٩٢ وأصبح كارلوس بمفرده.

وفى صيف ١٩٩٣ كان الفلسطينيون والإسرائيليون يوقعون اتفاقية السلام وفى هوجة الاحتفال لم يتذكر أحد كارلوس الذى لم يجد أمامه سوى السودان. انها الدولة الوحيدة التى لاتزال ترعى الإرهاب،. لكنه ارهاب باسم الدين لاباسم الثورة، وقد التقى كارلوس بالعديد من المجموعات الإسلامية فى الخرطوم والتنظيمات التى تضم الكثير من المتطرفين من جميع أنحاء العالم.

وتذكر المعلومات أنه وصل إلى الخرطوم فى أغسطس ١٩٩٣ بجواز سفر من اليمن الجنوبية باسم أبوبكر أحمد ناجى وكانت معه زوجته الأردنية الصغيرة لكنه عاش فى الخرطوم تحت اسم على بركات وغطاء أنه رجل أعمال لبنانى، وظل وجوده سرا لبعض الوقت. لكنه سرعان ماعرض خدماته على السودانيين قائلا : «أنا الرجل الذى حير العالم لمدة ٢٠ سنة.. ومن الممكن أن أبدأ من جديد إذا ماطلبت حكومة البشير ذلك».

وفى فبراير ١٩٩٤ أكد مدير المخابرات الفرنسية أن لديه معلومات مؤكدة عن وجود كارلوس فى السودان وطلب من الخرطوم تسليمه وردت الخرطوم بالموافقة قائلة : «انه لايزال يمثل خطرا كبيرا على البلاد حتى ولو كان يعيش بمفرده ودون حراسة ونحن نعرف أنه سكير ولايستطيع التحكم فى نفسه عندما يصل إلى الذروة».

وبالفعل قررت فرنسا أن تتسلمه بنفسها وسافر رئيس المخابرات الفرنسية وعدد من رجاله إلى الخرطوم تحت غطاء أعمال تجارية، وبعد اسبوع كانت المخابرات الفرنسية تهاجم بيت كارلوس وتقبض عليه.

وتنتهى بذلك اسطورة كارلوس العميل المحترف الدولى الذى ظل يمارس العنف والقتل

والخروج على القانون والهروب من أجهزة المخابرات الغربية طوال ٢٠ عاما من حياته. وطوال هذه السنين تسبب فى قتل ٨٣ شخصا، وكان يحلم باغتيال شخصيات بارزة فى العالم وصفها فى قائمة أطلق عليها « لائحة الموت » وكانت تضم الكاتب المسرحى أوزبورت والنجمة المسرحية فيرالين وعازف الكمان اليهودى مناحم والرئيس المصرى السابق أنور السادات.



وفى أحيان أخرى تكون ملامح أحد الأشخاص هى الدافع الأساسى الذى تختار على أساسه أجهزة المخابرات لأداء دور « الدوبلير » لأحد الرؤساء أو الزعماء. وبذلك يكون شكل الشخص أو هيئته هى السبب الرئيسى لدخوله عالم المخابرات والجاسوسية دون أن يسعى أو يحلم هو بذلك طوال حياته !!

ويبدو أن شخصية الدوبلير السينمائى أغرت العديد من الزعماء السياسيين وقادة الدول الذين يتعرضون لمخاطر رهيبة تصل فى بعض الحالات إلى الاغتيال وخاصة حكام العالم الثالث الذين جاءوا للسلطة إما بانقلاب أو بانتخابات مزورة. لذلك لجأت أجهزة المخابرات فى هذه الدول لإعداد البديل أو بلغة أهل السينما « الدوبلير » ليواجه مخاطر محاولات الاغتيال التى أعدت أساسا لهذا الحاكم ! (١)

الغريب أن ظاهرة الدوبلير لم تعد مقصورة على حكام العالم الثالث فقط بل استخدمها رؤساء بعض الدول المتقدمة كأمريكا واليابان وبريطانيا وروسيا والإتحاد السوفييتى سابقا. ورغم اختلاف الأسباب التى دفعت كل حاكم لاستخدام البديل إلا أن جميعهم يتفقون على سبب واحد هو الخوف من الإغتيال.

وفى مصر فكرة « الدوبلير » لم تجد قبولا لدى الرئيس جمال عبدالناصر. حيث رفضها بشدة عندما عرضت عليه من إحدى القيادات الروسية أثناء زيارته إلى الاتحاد السوفييتى خاصة بعد محاولات الولايات المتحدة الإعداد لأكثر من خطة لاغتياله.

أما الرئيس أنور السادات والذى كان يعشق السينما وحاول أكثر من مرة قبل انضمامه للجيش أن يقوم بالتمثيل فإن فكرة « الدوبلير » وجدت عنده القبول. وتذكر شخصية أمنية كبيرة سابقة عملت بالقرب من الرئيس السادات أن بعض قيادات جهاز المخابرات الأمريكية (C.I.A) عرضت بالفعل على السادات عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد استخدام البديل فى تحركاته وأن يتم اختيار رجل شبيه بالسادات ويرسل إلى أمريكا لإجراء عملية تغيير فى ملامحه بجانب تدريبه على جميع حركات السادات وإعطائه عدة محاضرات نفسية وإعداده بشكل يجعله يقوم بدور السادات أثناء تنقلاته داخل وخارج مصر خاصة بعد التهديدات التى

---

(١) خالد صلاح - عبدالفتاح عبدالمنعم - العالم اليوم - ١٩٩٦/١/١٧ .

كان السادات يتعرض لها سواء من دول الرفض (ليبيا ـ العراق ـ سوريا ـ اليمن). (١) أو من بعض عناصر المعارضة فى الداخل بعد معاهدة السلام مع إسرائيل.

ورغم أن السادات وافق على الفكرة إلا أن أجهزة الأمن فى مصر فشلت فى إيجاد البديل كما أن السادات عاد ورفضها لمحاولة اقناع أصدقائه الأمريكان بأن أعداءه قلة صغيرة وأن دفاعه الأول والأخير هو الشعب الذى يؤيده فى جميع سياساته ويقف المصدر الأمنى عند جملة قالها السادات فى جلسة خاصة أثناء طرح الموضوع : أنه ليس دكتاتورا مثل كاسترو ولايخشى الموت !

ويعتبر الزعيم السوفيتى جوزيف ستالين من أشهر الزعماء الذين استعانوا ببدلاء واستخدم لذلك شخصيات تشبهه إلى حد كبير خاصة بعد إجراء عملية جراحية لهم حتى تتطابق ملامحهم مع ستالين. والغريب أن ستالين استعان بعدد من الخبراء الألمان لإعداد البدلاء الثلاثة ولكن تحت اشراف جهاز المخابرات السوفيتى السابق (K.G.B) بعد فشل الخبراء الروس فى إعداد أى بديل لستالين. سبب آخر وراء استعانة ستالين بالألمان أن التكنولوجيا الألمانية فى مجال إعداد الدوبلير كانت متقدمة جدا.

وكشفت مذكرات بعض رجال المخابرات السابقين الذين عملوا فى فترة تولى الرئيس ستالين الحكم أن ستالين كان ينفق مايزيد على ٣٠ مليون دولار سنويا لخدمة بدلائه الثلاثة ورعايتهم. وعن أشهر الحكايات التى ذكرتها المذكرات واستمدت منها الكثير من القصص السينمائية ـ بعد ذلك ـ أن دوبلير ستالين قام بإلقاء خطاب كامل أمام حشد كبير وصل إلى ١٠ الاف شخص فى جمهورية ستونيا. وتكرر ذلك أيضا فى جمهورية الشيشان التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى قبل إنهياره. وأضافت المذكرات أن ثلاث شخصيات فقط كانوا على علم كامل بأن الرجل الذى يخطب لم يكن سوى شبيهه أو دوبلير ستالين.

وبالتأكيد فإن السبب الرئيسى وراء استخدام ستالين لدوبليره فى إلقاء خطابه فى منطقة ستونيا والشيشان هو العداء الذى كان يحمله أبناؤهما لستالين ولجميع رؤساء الاتحاد السوفييتى السابق.

ويأتى هتلر كأشهر من استخدم فكرة الدوبلير والمعروف أن هتلر كان كما وصفته دراسة حديثة بأنه خفيف القلب وكان دائما يعتقد بأ هناك مؤامرة تدبر له. ولذلك لم يكن غريبا أنه كان لاينام فى مكان واحد بل انه كان كثير التنقل بين أكثر من مكان ويفضل الخنادق السرية التى لايعلم أحد من المقربين له عنها شيئا.

ويكشف فيلم تسجيلى بعنوان « هتلر.. الأصل والصورة » عرضه التليفزيون البريطانى

(١) خططت ليبيا محاولة لاغتيال السادات في عام ١٩٨١ ـ كتاب (السادات عملية اغتيال مجهولة) ـ للمؤلف.

مؤخرا أن هتلر استخدم اثنى عشر بديلا له أغلبهم لم يقم بإجراء عمليات جراحية لهم واكتفى بوضع الماكياج لهم والشارب الهتلرى الشهير.

وهناك واقعة معروفة حول بدلاء هتلر وهى أن أحدهم وأثناء تجوله بين وحدات الجيش الألمانى أطلق عليه عدة رصاصات أصابت إحداهما كتفه ونقل إلى المستشفى وفى اليوم التالى ظهر هتلر الحقيقى فى شوارع ألمانيا. ولم يكن عليه أى أثر للإصابة فى كتفه. وهذا ماجعل أجهزة المخابرات التابعة لدول التحالف فى ذلك الوقت تفشل فى أية محاولة لاغتيال هتلر بسبب الصعوبة فى تحديد شخصيته من بين البدلاء الذين يستخدمهم !

السينما العالمية جسدت جميع القصص حول بدلاء هتلر عقب استسلام المانيا واستمدت معلوماتها من اعترافات البدلاء ومذكرات رجال المخابرات الألمانية فى عهده حتى أن بعض الروايات تذهب إلى أن الشخص الذى وجدته قوات التحالف مقتولا مع إيفا براون لم يكن سوى دوبلير هتلر الذى يذهب البعض إلى أنه هرب إلى إحدى دول أمريكا اللاتينية وأنه مات هناك.

ولا يختلف الديكتاتور الإيطالى موسولينى عن هتلر فى استخدام البدلاء. وان كان أتباع موسولينى وجدوا صعوبة فى اختيار الدوبلير المناسب أو بالإستعانة بالمخابرات الألمانية فقاموا بإعداد شبيه موسولينى الذى استطاع أن يكون بارعا فى أداء شخصيته حتى أن موسولينى قام بإرساله إلى ليبيا لمقابلة بعض الوفود الأجنبية هناك. وقد كانت ليبيا فى ذلك الوقت إحدى مستعمرات إيطاليا. ونجح بديل موسولينى فى خداع الوفد الأجنبى.

ومن الطرائف التى نقلت عن شبيه موسولينى أنه كان لايفضل أكل اللحوم والفراخ المشوية وأن أكلته المفضلة هى السمك المشوى الذى كان موسولينى لايأكله أبدا بسبب مرضه بالحساسية. وكادت أكلة السمك أن تكشف الدوبلير. فأثناء قيام البديل بتناول وجبة الغداء مع الوفد الأجنبى فى ليبيا قام دوبلير موسولينى بتناول سمكة إلا أن الرجال المرافقين له قاموا بتدارك الأمر بعد إعطاء الشبيه إشارة بالكف عن تناول السمك خشية أن يكون أحد أعضاء الوفد على علم بكراهية موسولينى للسمك.

وعندما عاد الشبيه إلى إيطاليا وعلم موسولينى بالقصة هدده بالقتل إذا أخطأ فى شىء مرة أخرى. ونفذ بالفعل موسولينى تهديده وقتل شبيهه قبل ٢٤ ساعة من استسلام إيطاليا ليس بسبب السمك هذه المرة بل خوف موسولينى أن يقوم الدوبلير بفضح جميع أسراره الخاصة جدا التى كان يعلمها الدوبلير.

أما قصة الدوبلير مع الرئيس الكوبى « كاسترو » فقد فضح سره السفير السوفيتى السابق فى كوبا بعد نشر مذكراته التى تم نشرها فى أوروبا مؤخرا. حيث أكد السفير أن كاسترو هو

الرئيس الوحيد الآن الذى لايستطيع أن يسير بدون دوبليره. بل إنه أعد غرفة ملاصقة له لينام فيها (البديل) الذى ساهم الاتحاد السوفييتى السابق فى إعداده. وربما كانت المشكلة الرئيسية التى واجهت المخابرات السوفيتية هى لحية (كاسترو) الكثيفة إلا أن المذكرات أكدت أنه تم إعطاء دوبلير كاسترو كما من الأدوية التى تعمل على إنبات لحيته بشكل كثيف.

كما تؤكد مذكرات السفير الروسى (فيلا ويفر شكوارف) أن كاسترو قدم دوبليره أكثر من مرة لإلقاء خطاب وأنه نجح فى ذلك خاصة أن الدوبلير تقمص الشخصية لدرجة أن لزمات ووقفات وابتسامة وتكشيرة كاسترو كان يقوم بها أثناء إلقاء الخطاب.

وبعيدا عن المعسكر الشرقى فإن الدوبلير فى الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم لهدفين إما ليكون بديلا للرؤساء سواء الرئيس الأمريكى أو رئيس أية دولة أخرى. وفى النوع الأول استخدم الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان دوبليرا فى الفترة الأولى من رئاسته. ولكنه لم يقدمه فى أى تجمع بل يستخدم الدوبلير فى عملية كشف المكان قبل وصول الرئيس (ريجان) إليه. ولكن ريجان استغنى عنه فى فترة الرئاسة الثانية وكانت صحيفة « الصنداى تايمز » هى أولى الصحف التى نشرت صورة لريجان وللدوبلير وأكدت أن هناك فرقا واضحا بين الاثنين خاصة فى طول « الذقن ». حيث أن ذقن الدوبلير كانت قصيرة عكس ذقن ريجان التى كانت طويلة إلى حد ما. وبعد هذه الواقعة رفض الرئيس الأمريكى استخدام الدوبلير وقام بإجراء عملية تغيير بسيطة فى ملامح الدوبلير حتى لايكون شبيه ريجان ويستخدم فى أعمال غير أخلاقية.

والتكنولوجيا الأمريكية فى مجال إعداد الدوبلير عالية الدقة حتى أن جهاز المخابرات الأمريكى (C.I.A) يقوم بنفسه فى عملية إعداد الدوبلير وتستخدم لذلك أكبر المستشفيات الموجودة فى مقر جهاز المخابرات. أما أساتذة التجميل والماكيير فهم أعضاء فى جهاز المخابرات. وليست مهمتهم فقط إعداد دوبلير لزعماء أمريكا بل انهم يقومون بإعداد دوبلير لكل الزعماء الذين يقفون موقف العداء لأمريكا ويقومون بعد تغيير ملامحهم ليكون الدوبلير شبيه هذا الزعيم بتصويرهم أثناء أفعال جنسية ويتم ترويج هذه الصور أو أفلام الفيديو. وقد حدث ذلك مع امبراطور أثيوبيا السابق «هيلاسلاسى » الذى صورت المخابرات الأمريكية دوبليرا يشبهه تماما فى أوضاع جنسية وقاموا بترويج هذه الأفلام. وتكرر ذلك مع بعض القيادات فى الدول العربية والإفريقية خاصة الدول التى كانت قياداتها تناصب أمريكا العداء!

ورغم أن أجهزة المخابرات الأجنبية هى التى روجت لهذه البضاعة الجديدة بين زعماء دول العالم الثالث. إلا أنها دابت على فضح بعض الرؤساء والشخصيات السياسية الذين استوردوا هذه التكنولوجيا بعد أن اختلفوا معهم. وقد نشرت أجهزة المخابرات الأمريكية جميع أسرار بدلاء صدام حسين ونجله عدى. كما اذاعت ايضا أسرار عدد آخر من الزعماء السياسيين

ومن بينهم (جون جارنج) زعيم حركة الجنوب فى السودان والذى يستعين ببديلين فى تحركاته و (فيدل كاسترو) الذى يستعين بثلاثة بدلاء منهم شخصان فرنسيان يشبهانه تماما وأجريت لهما عمليات التجميل داخل قصر الرئاسة مع كوبا بتكنولوجيا فرنسية. أما (جارنج) فقد لجأ إلى المخابرات الامريكية عقب تزايد الحركات الانفصالية داخل جبهته وهو لايدفع أموالا كثيرة لهؤلاء البدلاء الذين يتطوعون لخدمته دون مقابل معتبرين أن ذلك شرف وتضحية لزعيم يحترمونه.

أما الرئيس العراقى صدام حسين وابنه عدى وكلاهما استخدم الدوبلير لمدة عشر سنوات سرية حتى على بعض القيادات العراقية. ولم يتم اكتشاف أمرهما إلا بعد هروب (لطيف يحيى) دوبلير عدى صدام حسين إلى النمسا والذى أكد أنه ظل يعمل كشبيه لأبن صدام طيلة ٨ سنوات ويقوم بتعريض حياته للخطر من أجل (عدى) وأنه تلقى أكثر من مرة طلقات الرصاص من خصوم (عدى) بدلا منه. بل ويكشف (لطيف) أنه قام بزيارة للكويت بعد غزو العراق لها تحت زعم أنه (عدى) وتم تصويره تليفزيونيا وبث هذا فى جميع أجهزة الإعلام العالمية.

وفجر (لطيف) قنبلة أخرى فى حديثه وهى أن صدام حسين يستخدم دوبليرا له فى جميع تحركاته ولايقتصر على دوبلير واحد بل يستخدم أكثر من شبيه أشهرهم شخص يدعى (فواز العمارى) الذى أجريت له عملية جراحية فى يوغوسلافيا باستخدام خبراء روس لتحويل وجهه إلى صورة طبق الأصل من صدام. وأن (العمارى) قام أكثر من مرة بزيارة جبهة القتال تحت زعم أنه صدام.

وأضاف (يحيى) أن الصور التى روجتها وسائل الاعلام عن صدام وهو يسبح عاريا فى نهر دجلة عام ١٩٩٢ لم تكن له بل لشبيهه الذى تعرض أكثر من مرة لمحاولة الاغتيال. كما أن صدام حسين استخدم شبيها قبل (العمارى) إلا أنه قتل عام ١٩٨٤ بعد انفجار سيارة ملغومة قرب تكريت مسقط رأس صدام.



معظم أجهزة المخابرات العالمية يعمل فيها النساء ويعتمدن عليهن فى إنجاز العديد من المهام الصعبة التى قد تستعصى على أمهر العملاء وأكثرهم كفاءة. وللمرأة دائما سحر خاص فى التعامل مع الآخرين وهى تدرك بالفطرة كيف تسيطر على المصدر المطلوب ؟ وكيف تستطيع أن تستدرجه ؟ ومتى تقدم له نفسها ومتى تتركه وتهرب ؟!

وكما لأن لكل رجل نقطة ضعف فإن لكل امرأة أسلوبها الخاص فى الوصول إلى قلب الرجل ومشاعره حتى يستسلم لها تماما. وهناك رجال صامتون. متعجرفون. يمتلئون قسوة

وعنفا. ولكن ما إن يتعاملوا مع امرأة جميلة حتى يتبدلون تماما ويصبحون فى منتهى الرقة والعذوبة.

وأجهزة المخابرات بالطبع تدرك كل ذلك وتعلم تأثير المرأة وجاذبيتها فى السيطرة على قلوب وعقول الرجال. ولذلك فإن نسبة كبيرة من العاملين فى المخابرات البريطانية من النساء تقدر بحوالى نصف العاملين ويصل عددهن إلى ١٠٠٠ عميلة وجاسوسة سرية. وتشكل النساء فى جهاز المخابرات الأمريكية نحو ٤٢٪ من إجمالى العاملين فى أقسام الإحصائيات ولكن مجال عملهن يظل دائما محددا فى الدوسيهات وليس فى المغامرات ولكن تعانى النساء العاملات فى جهاز الـ (C.I.A) من اضطهاد الجهاز لهن.

وهناك فئة أخرى من النساء تتعامل مع أجهزة المخابرات بنظام خاص يعتمد على استخدام الجنس بهدف الحصول على الأسرار والمعلومات والوثائق والمستندات الهامة. حيث تقوم أجهزة المخابرات - فى الغالب - بتجنيد بعض فتيات الليل المثيرات جنسيا للعمل فى الجهاز مقابل الحصول على أجر مضاعف عن كل عميل يتم الاتفاق عليه.

ويقوم جهاز المخابرات بتدريب هؤلاء الفتيات على كيفية التعامل مع المصادر المستهدفة واسلوب الحصول على المعلومات وطرق الاتصال بالجهاز وضمانات السرية الكاملة فى التحرك والمراقبة والتصرف فى المواقف الحرجة. ويمكن أن يتم تزويدهن بأسلحة بعد أن يجتزن تدريبات الرماية والتنشين.

والحقيقة أن عميلات أجهزة المخابرات نجحن إلى درجة كبيرة خلال الفترة الماضية فى أداء معظم العمليات التى تم تكليفهن بها وخاصة فى دول العالم النامى حيث الضوابط ومحاذير الرقابة الصارمة على ممارسة الجنس والدعارة.

وأصبح فى كثير من الحالات تبدأ الفصول الأولى من عمليات التجسس داخل غرف النوم وعلى الفراش وفى أحضان امرأة. وتجارب رجال المخابرات تؤكد أن نسبة كبيرة من الجنرالات والوزراء والدبلوماسيين المعبأة رؤوسهم بالمعلومات والكودات الخاصة والشفرات السرية سرعان مايفتحون خزائن المعلومات حين تتم تدفئة جزء خاص جدا من أجسادهم. ويستوى فى ذلك كافة العملاء بلا استثناء صغيرا أو كبيرا !!

كما قد تلجأ أجهزة المخابرات فى بعض الأحيان إلى تجنيد ممثلة مشهورة أو راقصة معروفة أو إحدى نجمات الإغراء فى السينما للقيام بدور جاسوسة سرية بهدف الحصول على بعض المعلومات الخطيرة أو الأسرار الخاصة من إحدي الشخصيات الهامة أو الأجنبية التى تزور البلاد. ويتم إجراء حفلة للضيف تتواجد فيها الجاسوسة وتتقرب من الضيف بابتسامات وغمازات مثيرة حتى يعجب بها ويفاتحها فى لقاء خاص فلا ترفض العرض. وفى الشقة أو

الفندق يغرق الضيف فى بحر العسل وتحصل الجاسوسة على ماتريد من معلومات أو أسرار تكلف بها .

وفى حالات أخرى يمكن استخدام هؤلاء النجمات فى مهام مماثلة خاصة خارج البلاد . وإن كان بعض هؤلاء النجمات يرفضن فى البداية التعامل مع أجهزة المخابرات أو الدخول فى عمليات تجسس. ولكن يتولى المسؤلون فى الجهاز إقناعهن بأهمية هذه المهمة والدور الوطنى الذى يمكن أن يتحقق لبلادهن فى حالة الحصول على المعلومات أو الوثائق التى تسعى أجهزة المخابرات للحصول عليها .

× × ×

الفصل الخامس

□ جواسيس البيزنس



■ مكاتب التمثيل وفروع الشركات فى الخارج أهم أدوات التجسس■ التديات الدولية تفرض على الدول الإهتمام بالجاسوسية الإقتصادية■ لائحة سوداء للجمعيات والمصارف المشبوهة فى العالم■ إنشاء وكالة لتقصى مصادر تمويل الإرهاب ومطاردة التحويلات المالية المشبوهة■ مستقبل الدول فى القرن القادم يتوقف على عبقرية جواسيس الاقتصاد■ التجسس الاقتصادى يشمل كافة مجالات الحياة ويؤثر على جميع المواطنين■ الموساد يسعى لشراء شركات الخصخصة المصرية■ إنشاء ٥٠ شركة إسرائيلية فى مصر تعمل فى مجالات النسيج وتكرير البترول وصناعة الأخشاب

قديما ..

كانت السياسة هى المفتاح السحرى لكل المشاكل.

كانت تحرك الشعوب وتطلق المظاهرات.

كانت تقلب الموازين وتقود الدول.

كان يجرى فى فلكها الفلسفات والأيدلوجيات وتتفرع منها التوجهات الاقتصادية والاجتماعية.

وقديما ..

كانت الدول تحتل الدول بالجيوش والأسلحة.

كانت إرادة الشعوب تواجه بالغزو العسكرى.

كانت الحركات الوطنية مصيرها القهر والقمع والعنصرية.

لكن !!

كل ذلك تغير ـ الآن ـ ولم تعد السياسة هى السياسة !

ولم تعد السياسات هى التى تقود أو تتحكم !

ولم يعد الاحتلال هو احتلال أرض أو غزو عسكرى !

وأصبح من حق الشعوب أن تتحرر !!

وأصبح لكل دولة استقلال وسيادة !

ومع الحرية والاستقلال والسيادة. تغيرت مفاهيم السياسة والاقتصاد !!

وتبدلت الأدوار تماما !

وأصبح الاقتصاد يقود السياسة !

وأصبحت السياسة فى خدمة الاقتصاد !

وأصبحت الدول تغزو الدول بالصفقات التجارية والمشروعات الاستثمارية والشركات متعددة الجنسيات !

وأصبح الاحتلال يزاول بالاستدانة والقروض والديون !

وأصبحت الحروب الجديدة حروبا اقتصادية وقضايا إغراق تجارى واتهامات بالاحتكار !!

وتغيرت لغة الكلام !!

وبدلا من أن تتفاخر الدول بمستعمراتها التى لاتغرب عنها الشمس. أصبحت تتباهى بقوتها الاقتصادية ومنتجاتها السلعية التى تغزو بها العالم !!

وأصبح العرف الدولى الذى يسود العالم هو قوة الدولة الاقتصادية.

وكلما كانت الدولة لديها اكتفاء ذاتى. كلما كانت أكثر قدرة وأكثر حرية فى اتخاذ قراراتها !

وكلما كانت الدولة لاتعتمد على نفسها اقتصاديا. كلما كانت مسلوبة الإرادة. خفيفة القرار. يسهل التأثير عليها !

وأصبحت عناصر قوة الدول الحقيقية فى سعر العملة الوطنية ونسبة البطالة ومعدلات التضخم ومستوى النمو الإقتصادى وحجم الاستثمارات وأعباء الديون المحلية والخارجية وميزان مدفوعاتها!

وفى هذه القواعد الجديدة. أصبحت اليابان التى خرجت من الحرب العالمية الثانية مهزومة وخالية الوفاض تطالب بمقعد دائم فى الأمم المتحدة أسوة بالدول الخمس الكبرى دائمة العضوية. وأصبحت كل دول العالم تعمل لها ألف حساب وحساب بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من أن اليابان - حتى الآن - لاتملك جيشا أو لديها قوات مسلحة طبقا للمعاهدة التى وقعتها عقب انتهاء الحرب العالمية.

■■■

وبعد رحيل شبح الحروب العسكرية وبدء تزايد الدور المؤثر للاقتصاد فى قوة الدولة وتوجيه سياستها. بدأت أجهزة المخابرات فى كل دول العالم فى التخطيط لانشاء إدارات خاصة للتجسس الاقتصادى.

ويقوم عادة علم الجاسوسية الاقتصادية على مفهوم أن القوة الذاتية لاقتصاديات الكيان الإدارى هى الفيصل فى تطوره وإرتقائه أو تدهوره وانحطاطه. ومن هنا تصبح الجاسوسية الإقتصادية سياج أمن وأداة تأمين لمسيرة التنمية والنمو، ومحور هذه الجاسوسية هو توفير البيانات الكافية والشاملة وإجراء التحليلات عليها للوصول إلى المعلومات ووضعها فى الشكل المناسب وبالوسيلة المناسبة التى تمكنه من المعرفة ويصبح معها على بينة من الأمر فيتخذ قراره بشكل سليم. (١)

---

(١) كتاب (الجاسوسية ورجال الأعمال) دكتور - محسن الخضري .

وكثيرا مايلجأ رجال الأعمال الكبار إلى الجاسوسية الاقتصادية لتجنيد أحد العملاء للحصول على المعلومات من الشركات المنافسة وزرع الجواسيس والمجندين فى هذه الشركات لإفشال خططها الإنتاجية وإفساد منتجاتها وإفقادها أسواقها الداخلية والخارجية سواء بتقديم معلومات خاطئة أو باتخاذ قرارات خاطئة. مما يؤدى فى النهاية إلى التأثير على جهاز التفكير لدى متخذى القرار إلى درجة التدمير ويصيب أجهزته وتابعيه بالتضارب والتخبط وقد يصل الأمر إلى الشلل التام فى المنشآت الاقتصادية والجاسوسية الاقتصادية الآن تقوم بعدة أدوار فى مجال الأعمال الاقتصادية. وليس فقط الحصول على المعلومات أو تقديم المعلومات الخاطئة. كما أن التعامل مع الجاسوسية الاقتصادية حاليا يدرك أنها ليست جاسوسية حقائق وموجودات فحسب. بل إنها جاسوسية فكر وعقيدة وجاسوسية سلوك واتجاهات.

الغريب فى الأمر أن تقدم كثير من دول العالم خلال الفترة الأخيرة يعود بصورة أو أخرى إلى الجاسوسية الاقتصادية التى نجحت أجهزتها فى الوصول إلى أسرار التكنولوجيا وخفايا الصناعات والأنشطة الاقتصادية الأخرى وخاصة أسرار الزراعة والتجارة والسياحة وأهم من هذا أسرار البنوك والمصارف التى تملك القوة فى مجال المال واستخداماته ولم يقتصر استخدام الجاسوسية الاقتصادية على الدول بل استخدمتها الشركات والمصارف ورجال الأعمال لتكوين إمبراطوريات حقيقية لاتعرف حدودا.

ويتوقع الخبراء أن مستقبل الدول فى السنوات القادمة خاصة فى المجال الاقتصادى سوف تتوقف على مدى عبقرية الجواسيس ورجال الأعمال الذين بإمكانهم إتقان جاسوسية عالم الاقتصاد. حيث إنه فى ظل تضاؤل مصادر الثروة وازدياد حدة المشكلات الإقليمية وظهور الوفاق بين الدول الكبرى وازدياد حجم التبادل التجارى كما وكيفا بين دول الشمال وتراجع وتدنى مستويات الحياة فى دول الجنوب ومايفرزه هذا كله من تناقضات حادة تصل إلى حد الأزمات العنيفة واستمرار نمو وتعاظم أهمية البحث والاختراع والوصول إلى التكنولوجيا المتقدمة ينشط رجال الأعمال « الجواسيس الاقتصاديون من أجل أن يقدموا لبلادهم صورة حية عما يحدث فى الخفاء داخل الحياة الاقتصادية فى الدول المتقدمة. بالاضافة إلى ذلك فإن مقابلة ومواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية خاصة فى السنوات القادمة تتطلب الاهتمام بشكل جاد ومكثف بنشاط الجاسوسية الاقتصادية للدفاع عن المصالح القومية وتأمينها. وبرغم أهمية هذا النشاط التجسسى فى مجال الاقتصاد فإن هناك ثلاثة قيود رئيسية تقف حائلا دون تنفيذ المهام الموكلة للجاسوس الاقتصادى وهى : أولا : حجم الأموال المتاحة والمعتمدة لممارسة نشاط التجسس. وثانيا : قوة التنفيذ ومداه ومجاله. وثالثا : طبيعة المعلومات المطلوب توفيرها. وعادة مايحاول الجاسوس الاقتصادى تحقيق عدة أهداف

محدودة سواء كان نطاقها العمل على المستوى الدولى أو الشركات أو المشروعات. وتتمثل هذه الأهداف بشكل عام فى مساعدة الدولة أو الشركة أو المشروع على تحقيق أهدافه الاقتصادية وتقدمهم الاقتصادى بشكل خاص فى إطار من الأمن الاقتصادى.

وتقتضى عمليات التجسس الاقتصادى وجود الجاسوس المحترف الذى يعمل لفترات طويلة دائمة وليس لفترات أو مهمة وقتية. ولهذا فإن عملية إختيار المرشحين للعمل كجواسيس تحتاج إلى عناية خاصة لتحديد ماإذا كان هؤلاء الأفراد أكفأ.ويصلحون من عدمه. ولذلك هناك مواصفات لابد من توافرها فى الجاسوس الاقتصادى مثل قوة الملاحظة بأدق التفاصيل، وآخرها القدرة على تخزين المعلومات وتحليلها. ولذلك فغالبا مايكون الحصول على هؤلاء الجواسيس المحترفين تحتاج إلى صبر ووقت طويل !!

ويعتبر عالم رجال الأعمال هو عالم الأسرار والغموض الذى يخضع فيه كل شىء للحسابات الدقيقة التى تبنى على حقائق وبيانات صادقة تتطلبها المنافسة وحدة الصراع الاقتصادى الدولى والمحلى. ولذلك فإن أمهر من يقوم بعمليات التجسس فى ميدان الاقتصاد هم رجال الأعمال أنفسهم !!

وهناك مهام محددة لابد أن ينفذها جهاز المخابرات الاقتصادية مثل مهمة جمع وتأمين المعلومات عن طريق جمع البيانات بالطرق المكتبية ويطلق عليها البعض مصطلح المخابرات المكشوفة أو العلنية. وهى تقوم على الاطلاع أولا بأول على كل ماينشر فى الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الحكومية وغير الحكومية. أما الطريقة الثانية فهى جمع البيانات بالطرق الميدانية وتنشط فى حالة عدم توافر البيانات المنشورة. ولها عدة أساليب ووسائل منها لغة الحوار وموضوع الحوار ثم توقيت الحوار ومكانه والاستقصاء والملاحظة.

وعلى الرغم من أن الجاسوس الاقتصادى يتعامل فى علانية. إلا أن هناك عدة سواتر يتخفى حولها من أجل إنجاح مهمته مثل مكاتب التمثيل التجارى والاتصال العلمى ومكاتب الوكالات التجارية أو الوكلاء أو فروع الشركات الوطنية فى الخارج والتى تعتبر من أهم أشكال الغطاء الذى تعمل تحته الجاسوسية الاقتصادية فى الخارج. ثم هناك ـ أيضا ـ الشركات المشتركة ومكاتب السمسرة وبصفة خاصة سماسرة الأوراق المالية المقيدين بسوق الأوراق المالية.



فى الولايات المتحدة الأمريكية يقوم جهاز المخابرات المركزية الـ C.I.A ومكتب التحقيق الفيدرالى بتكثيف برامج تثقيف وتوعية رجال الأعمال الأمريكيين بأخطار التجسس التى يواجهونها. حيث وضع مسئولو المخابرات الأمريكية قضايا سرقة الأسرار الصناعية

ومواجهاتها فى رأس قائمة الأولويات التى يتعين الأخذ بها.

ويقدر عدد الدول التى تقوم بأعمال التجسس الصناعى ضد الولايات المتحدة بنحو ٢٠ دولة تقريبا ومن أبرز هذه الدول روسيا التى لاتزال تقوم بالتجسس فى المجالين العسكرى والمدنى رغم إنتهاء الاتحاد السوفييتى وسقوط الشيوعية ويبدو أن انهيار الاقتصاد الروسى عزز دور التجسس.

كما أن كلا من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا وهولندا طردت خلال الفترة الماضية الكثير من الجواسيس الروس بعد اكتشاف أمرهم. وتقدر المصادر البريطانية أن حوالى نصف الجواسيس الروس العاملين فى بريطانيا متورطون فى عمليات التجسس الصناعى ومجال التكنولوجيا المتقدمة. ولكن الحكومة البريطانية أجلت عملية الكشف عنهم عدة مرات لتجنب إحراج الرئيس الروسى بوريس يلتسين.

وحول هذه النقطة يقول دبلوماسى بريطانى أنه فى كل مرة نواجه فيها المسئولين الروس بهذه القضية نجدهم يبتسمون بحياء ويعربون عن أسفهم ثم ينشرون أيديهم فى الهواء ويقولون : الجميع يفعلون هذا !!

لكن مايفعله هؤلاء وغيرهم سيتحدد تماما مع اكتمال الدراسة التى يجريها مكتب التحقيقات الفيدرالى حول أخطار التجسس الأجنبى على الشركات الأمريكية.

ويتحدد دور المخابرات المركزية فى ستة مجالات أساسية فيما يتعلق بالأمن الاقتصادى وهى التجسس على مواقف الحكومات الأخرى فى المفاوضات الاقتصادية، ومكافحة الجاسوسية لحماية الأسرار التجارية الأمريكية من الأجانب، والانتباه إلى مايمكن أن يشكل مفاجأة تجارية وتكنولوجية، والاهتمام بالقرارات الاقتصادية للحكومات مثل تحديد معدلات الفائدة وتخفيض العملات ومراقبة القطاعات الاقتصادية، والانتباه للمنافسات غير العادلة التى تستخدم فيها الرشوة أو الإكراه فى التنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وتقوم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بجهود مكثفة لمكافحة التجسس الصناعى من قبل الدول الأخرى. حيث تقدر المبالغ التى توفرها الوكالة للشركات الأمريكية سنويا بعقود تساوى عشرات المليارات من الدولارات. وتحاول - أيضا - الـ C.I.A وقف هجوم التجسس الصناعى الأجنبى الذى يستهدف الأضرار بمصالح الاقتصاد الأمريكى أو الحد من هذا الهجوم على الأقل.

وتعتبر وكالة الـ C.I.A مثلها مثل غيرها من الوكالات الأخرى تقوم منذ زمن بعيد بجمع المعلومات الاقتصادية السرية والأسرار العسكرية - الصناعية. لاستخدامها من قبل صانعى القرار فى الحكومة. كما تقوم فى بعض الأحيان بالتجسس على الأسرار التجارية لإعطائها

للشركات الأمريكية أو تقوم بتنبيهها بأنها مستهدفة من قبل العملاء الأجانب. ولكن وكالة المخابرات الأمريكية تفضل عدم الانغماس فى عملية هجومية لجمع المعلومات التجارية لصالح إحدى الشركات الوطنية. وهى تقوم أيضا وبصورة منتظمة بجمع المعلومات السوية حول مواقف الحكومات الأجنبية فى مفاوضاتها التجارية مع الولايات المتحدة أو حول إنجازات عملية محتملة فى المعامل والمختبرات الأجنبية أو التجسس على القرارات المصرفية والصفقات السرية التى تمس المصالح الأمريكية.

وعلى الرغم من أن الروس يصورون أنفسهم على أنهم غير هجوميين. إلا أنهم يواصلون تمويل مديرية الاستخبارات العلمية والتكنولوجية التى أنشئت فى عام ١٩٢٥. ويسلمون بأنهم يقومون ببعض أشكال التجسس الاقتصادى وأن مثل هذه الاستخبارات الاقتصادية لاعلاقة لها بسرقة الأسرار ولكنها مجرد عمليات تحليل للمعلومات.

والواقع أنها الاثنان معا. فالأسرار القيمة يمكن عادة سرقتها بوسائل تقليدية فقط مثل الرشوة ودخول المبانى خلسة والعملاء الداخليين. بينما يزعم ضباط مكافحة التجسس الفرنسيون أن ٨٠٪ من الاستخبارات الاقتصادية يمكن الحصول عليها عن طريق تحليل المصادر العامة مثل الدوريات الأكاديمية والمنشورات الصناعية ونشرات الشركات ونظم معلومات الكمبيوتر.

وأحيانا يستخدم رجال الأعمال أموالهم فى تمويل الحركات الارهابية فى العالم. حيث أعدت الأجهزة الأمنية فى كل من مصر وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وألمانيا لائحة سوداء تضم عددا من الجمعيات الإسلامية والمصارف التجارية المشبوهة والتى تشير المعلومات إلى تورط القائمين عليها فى عمليات إرهابية. وتشمل اللائحة عددا من رجال الأعمال العرب بعضهم له شهرة دولية فى عالم المال والتجارة بالإضافة إلى عدد من الأسماء مازالت تحت مراقبة هذه الأجهزة الأمنية.

وتضم اللائحة السوداء لرجال الأعمال اسم أسامه بن لادن المتورط فى تمويل الحركات المتطرفة فى معظم دول العالم وتأمين انتقال هذه الجماعات من الخليج مرورا بالصومال والبوسنة ووصولا إلى أفغانستان وباكستان والفلبين وماليزيا وعودة إلى السودان عبر ست من الجمعيات الإنسانية المتعددة الأسماء فى الدول العربية وأوروبا.

وقد تبين لجهاز المخابرات الأمريكية أن أحد رجال الأعمال العرب كان يتعامل مع جهاز المخابرات الأمريكية منذ الحرب الأفغانية ولعب دورا كبيرا فى توثيق العلاقات بين جهاز الـ C.I.A والجماعات الأصولية موفرا لهم الدعم اللازم. وقد حصل بسبب علاقته الأمريكية على عدة عقود بمئات الملايين من الدولارات فى بلد خليجى عقب انتهاء عملية (عاصفة

الصحراء) ، وكان دائم التردد على الولايات المتحدة ويحمل معه حقيبة تحتوى على آلاف الدولارات إلا أن السلطات الأمريكية منعته من الدخول بعد ذلك.

كما اتضح تورط بعض رجال الأعمال العرب والذين يتوقف نشاطهم على المنظمات المتطرفة التى تعمل فى مصر والسودان والأردن والجزائر. وبعض هؤلاء الرجال يحملون جنسيات هذه الدول، وهم يعدون من أكبر الموردين للبضائع إلى دول الخليج. حيث يقومون بأنشطة تجارية وأعمال توريدات توفر لهم أرباحا خيالية ويستخدمون جزءا منها ضد دولهم أو الدول المجاورة لهم.

وتسعى مجموعة الدول التى تضم أمريكا ـ مصر ـ المانيا ـ فرنسا ـ انجلترا إلى إنشاء وكالات خاصة تابعة لأجهزة المخابرات لتقصى مصادر تمويل الإرهاب فى الدول المعنية للمساهمة فى مطاردة التحويلات المشبوهة على غرار مايحدث من عمليات تبييض أموال المخدرات. وستقوم هذه الأجهزة المتخصصة فى التحرى والتقصى عن ممتلكات بعض رجال الأعمال المشبوهين ومسارات تلك الأرصدة التى يملكونها عبر شبكة دولية متعددة الأطراف. وقد تم إعداد لائحة بأسماء الأشخاص والجمعيات والمصارف التى تتولى عمليات تمويل الجماعات الإرهابية على أن يعاد النظر فى هذه اللائحة دوريا أكثر من مرة فى العام. وستقوم هذه الدول بابلاغ باقى دول العالم بأسماء رجال الأعمال والمشروعات المدرجين باللائحة السوداء لتصفية نشاطهم ومنع حصولهم على تعهدات والتزامات مالية وطلب وقف التعامل معهم على أن تتطور العقوبات تدريجيا. وفى حالة التأكد من تورط المشبوهين فى التمويل سيصل العقاب إلى تجميد أرصدتهم ووضع أسمائهم على لوائح المطلوبين فى المطارات والموانىء الدولية.



ويعتبر جهاز الموساد الإسرائيلى من أكثر أجهزة المخابرات ممارسة لنشاط التجسس الاقتصادى فى كافة أنحاء العالم. حتى أن المخابرات الغربية تؤكد أن أنشطة التجسس الإسرائيلية على الولايات المتحدة أكثر نجاحا من تلك التى تقوم بها الصين وروسيا.

وتشير مصادر المخابرات الأمريكية أن إسرائيل تمكنت فى عام ١٩٩٦ من التورط ضمن ٦ دول أخرى فى جرائم تجسس اقتصادى على الولايات المتحدة. وتعتقد المخابرات أن إسرائيل لاتكتفى بسرقة الأسرار الأمريكية بشكل منتظم. ولكنها أيضا تبيع هذه المعلومات إلى دول أخرى خاصة المعلومات المتعلقة بمجال تكنولوجيا الدفاع.

وتعلم المخابرات الأمريكية جيدا أن الموساد يتجسس على الملفات الأمريكية السرية. ويسعى دائما للضرر بالعلاقات الأمريكية العربية. حيث اتضح من خلال قضية شركة (تور

إير) الأمريكية المملوكة للإسرائيلى موريس تحتومى أن بعض طائرات الشركة قد نفذ إليها مجهول. وقام بعملية تخريب إلكترونية واسعة. وأنه كان يقصد اسقاط احدى رحلات الشركة إلى تل أبيب وعند التحقيق اكتشفت المباحث الفيدرالية أن المخرب ضابط بالموساد حاول تخريب أجهزة الطائرات حتى تسقط وتلصق التهمة بالمباحث الفيدرالية. ولكن تمت معالجة هذه القضية بسرية وتكتم خوفا من تأثيرها السلبي على السياسة الأمريكية ضد ليبيا بشأن قضية لوكيربى.

كما اكتشفت أجهزة المخابرات الأمريكية ـ أيضا ـ قضية الضابط الإسرائيلى أريه برنارد (٥٢ عاما) الحارس السابق لرئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير. حيث اتضح أنه تم تجنيده بواسطة الموساد لتزوير وتزييف ١١ مليار دولار أمريكي بهدف إحداث انهيار متعمد في الميزان الاقتصادى الأمريكى عالميا. كما اتضح أن إسرائيل كانت ستغسل تلك الأموال في مختلف دول العالم ثم تعود لشراء أسلحة أمريكية بها.(١) !

وإذا كانت إسرائيل تفعل ذلك مع أقرب أصدقائها وأكبر المساندين لها اقتصاديا وسياسيا وعسكريا. فماذا تفعل مع مصر العدو التقليدي لإسرائيل لسنوات طويلة والتي لاتزال ـ حتى الآن ـ تعتبرها العدو رقم واحد طبقا لما نشرته إحدى الصحف الإسرائيلية (٢) ورغم مضى أكثر من ١٥ عاما على توقيع معاهدات السلام بين البلدين؟!!

الحقيقة أن إسرائيل تسعى إلى ضرب الاقتصاد المصرى وإغراق الأسواق بملايين من الدولارات المزيفة. حيث كشفت أجهزة الأمن في تقرير سرى لها أن ٨٦٪ من جرائم التهريب وتزوير العملات متهم فيها إسرائيليون يتخفون وراء السياحة إلى مصر.

وفى أكتوبر ١٩٨٨ ألقت السلطات المصرية القبض على سائحين إسرائيليين وهما يستبدلان دولارات مزيفة من أحد البنوك فى محافظة الجيزة. كما ألقت القبض فى نفس الشهر على إسرائيلى يروج دولارات مزيفة فى أحد الفنادق الكبرى فى القاهرة. وفى أوائل عام ١٩٨٨ تم ضبط شبكة من الإسرائيليين تضم ١١ فردا ضمن فوج سياحى وفى حوزتهم ٤ ملايين دولار مزيفة. وفى التحقيق اعترفوا بأنهم يعملون ضمن شبكة تهريب دولية مقرها (تل أبيب) ويتزعمها ضابط سابق فى الجيش الإسرائيلى. وأنهم تمكنوا من دخول مصر أكثر من مرة ومعهم دولارات مزيفة ضمن أفواج سياحية. كما تبين من التحقيقات أيضا أن أعمال الشبكة تمت بمساعدة أحد مسئولى الأمن بسفارة إسرائيل ويدعى حاييم بن هارون وأن نشاط الشبكة لم يكن قاصرا على القاهرة فقط. حيث ألقى القبض فى عام ١٩٨٧ على ٦٨

---

(١) جريدة (يديعوت أحرنوت). ٨ مايو ١٩٩٧ .

(٢) صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية ـ ٦ مارس ١٩٩٥ .

إسرائيليا أعضاء فى شبكة تزوير وترويج عملات أجنبية مزورة فى المحافظات المصرية الساحلية منهم ١٨ إسرائيليا قاموا بترويج الدولارات المزيفة لدى صيارفة بورسعيد.

وحسب تأكيدات مصادر أمنية مصرية فقد ألقى القبض على ٦٠ إسرائيليا بينهم مهرب إسرائيلى خطير خلال عام ١٩٨٨. واتضح أن الأموال التي قامت بتزويرها وترويجها داخل مصر بلغت حوالي مليونى دولار.

ولأن مسلسل التزوير يتضمن المزيد فهناك القضية رقم ٣١٨ لسنة ١٩٨٧ المتهم فيها الإسرائيلى (التينا فاين) وكانت مباحث الأموال العامة قد ألقت القبض عليه أثناء محاولته بيع ٢٠٠ ورقة مالية من فئة المائة دولار المزيفة (٢٠ ألف دولار) وهناك أيضا القضية رقم ٥٦ جنايات الإسماعيلية التى ضبط فيها شالوم ميتان السائح الإسرائيلى أثناء محاولته بيع ٤ آلاف دولار مزيفة لأحد الصيارفة.

كذلك القضية المتهم فيها الإسرائيلى عدلى إبراهام الذى ضبط أثناء استبداله لمبلغ ٥ آلاف دولار مزورة من بنك مصر (فرع مينا هاوس) والقضية رقم ١٠٧ لسنة ١٩٨٧ جنايات التى ألقت فيها سلطات الأمن المصرية القبض على الإسرائيليين فرديى تكفون وساهار روسان. كما ضبط - أيضا - حاخامات إسرائيليون وبحوزتهم مبلغ ٣٠ ألف دولار مزيفة فى شارع عدلى بجوار المعبد اليهودى فى القاهرة.

وبالنسبة لرصيد الجرائم الإسرائيلية الخاصة بتهريب المخدرات إلى مصر فهو رصيد ضخم للغاية مادامت إسرائيل تستهدف الشباب المصرى واقتصاد البلاد. ويقدر حجم المخدرات التى تدخل مصر عبر إسرائيل بنحو ٧٠٠ طن سنويا. وهناك شبكة إسرائيلية مقرها تل أبيب يديرها ضابط سابق فى الجيش الإسرائيلى ويدعى روفائيل منشات، ومهمة هذه الشبكة تهريب الهيروين إلى مصر. وكان خمسة من العاملين فى المركز الثقافى الإسرائيلى فى القاهرة كانوا قد اتهموا من قبل ضمن شبكة التجسس الإسرائيلية التى كان يتزعمها الملحق العسكرى السابق والذى طردته السلطات المصرية من البلاد.

وتشير تقارير وزارة الداخلية أن إجمالى القضايا التى ضبطت فى مصر واتهم بارتكابها إسرائيليون قد بلغ نحو ٤ آلاف و ٤٥٧ قضية ضبط فيها أكثر من ٥ أطنان ونصف طن من الحشيش و ٢٠ كيلو جرام هيروين خلال السنوات العشر الماضية بخلاف القضايا التى تم اكتشافها قبل هذه الفترة.

ومن أهم هذه القضايا قضية المهرب الإسرائيلى يوسف أمين طحان الذى ضبط فى عام ١٩٨٤ ضمن مجموعة من الإسرائيليين على رأسهم إبراهام شامير نائب مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة أثناء محاولتهم تهريب ٢,٥ كيلو جرام هيروين عن طريق مطار

القاهرة بإخفائها فى أنابيب معجون الأسنان وحكمت عليه المحكمة بالإعدام ولايزال ينتظر تنفيذ الحكم فى أحد السجون المصرية.

وهناك قضية أخرى وقعت أحداثها فى يوليو عام ١٩٨٨. حيث حاول ١٩ مهربا من بينهم الإسرائيلى مزراحى يعقوب بتهريب ٢٨٩ كيلو جراما من الحشيش الخام كانت محملة على ظهر الباخرة (ريف ستارت) وكانوا يخططون لإدخالها إلى مصر. ولكن تمكنت الإدارة العامة لمكافحة المخدرات من ضبط المحاولة وألقت القبض على ١٣ منهم وتمكن ٦ من أفراد الشبكة من الفرار.

وكشفت أجهزة الأمن عن أسلوب جديد لجأ إليه مهربو المخدرات الإسرائيليون. حيث قام بعض المهربين من حفر أنفاق سرية بطول عشرات الأمتار تحت الأرض بين مدينتى رفح المصرية والإسرائيلية تمر عبر الحدود بين البلدين. حيث يبدأ النفق في أحد المنازل فى رفح الإسرائيلية وينتهى فى منزل مقابل له فى رفح المصرية بعد اتفاق بين المهرب وأحد السيناويين الضالعين في تهريب المخدرات. ولأن سيناء هى بوابة مصر الشرقية يعلم الإسرائيليون كيف يهربون بضاعتهم إلى مصر عبر الحدود بواسطة هذه الأنفاق أو باستخدام الزوارق البحرية. إلا أن سلطات الأمن المصرية تمكنت من إحباط معظم هذه المحاولات سواء فى سيناء الشمالية أو الجنوبية.

وتؤكد تقارير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات أن عدد القضايا التى تم ضبطها فى منطقة سيناء خلال عام واحد (١٩٨٧) بلغت ١٠٤ قضايا القى القبض فيها على ١٣٢ إسرائيليا حاولوا إدخال مخدرات إلى مصر بلغت كمياتها ١٤ كيلو جرام هيروين و ٤ آلاف و ٤٣٦ كيلو جراما من الحشيش كلها مجلوبة من إسرائيل. هذا بخلاف ماضبط من كميات ضخمة مع عدد من بدو سيناء الذين جندتهم إسرائيل لترويج المخدرات فى مصر.



نفس الشىء تكرر خلال فترة الخصخصة التى قررت فيها الحكومة التصرف بالبيع فى بعض شركات قطاع الأعمال العام. بهدف توسيع قاعدة الملكية. وثارت تخوفات وشكوك عديدة حول إمكانية تسرب بعض هذه الشركات أو الأصول المعروضة للبيع إلى إسرائيليين أو عناصر من جهاز الموساد الإسرائيلى!!

وبالفعل صدقت الشكوك. حيث اتضح أن الشركة القومية القابضة للصناعات الدوائية قامت ببيع الشركة العربية للخامات الدوائية إلى شركة هولندية يمتلكها مليونير يهودى. وثبت أن رئيس الشركة القابضة السابق قام بتسهيل عملية البيع بخسارة قدرت بنحو ٦,٥ مليون جنيه فى حين أن صناعة الخامات الدوائية تعتبر من الصناعات الاستراتيجية الهامة التى

لاتحقق عائدا سريعا يغري المستثمرين على الشراء. كما اتضح أن الشركة المذكورة بعد بيعها للمليونير اليهودى قد صدرت بمبلغ ٦٥ مليون جنيه خامات للخارج خلال عام ١٩٩٦ وحققت مبيعات في عام ١٩٩٥ تصل إلى أكثر من ٧٥ مليون جنيه.

والخطير فى الأمر أن الشركة العربية للخامات الدوائية التى تم بيعها تقع في مربع صناعى استراتيجى يمثل الصناعات الحربية بمنطقة أبو زعبل فضلا عن أن أرض الشركة عليها نزاع قضائى مع إحدى شركات الإنتاج الحربى. وبالتالى فقد يكون السبب الأساسى فى شراء الشركة هو التجسس على المصانع الحربية المجاورة والتستر وراء هذا المشروع !!

كما أشارت أصابع الاتهام إلى إسرائيل عندما شهد ميناء بورسعيد عدة حرائق متوالية خلال شهر يوليو ١٩٩٧. ونتج عن هذه الحرائق خسائر تقدر قيمتها بملايين الجنيهات فضلا عن الإساءة لسمعة الميناء نفسه.

وكان ميناء بورسعيد قد استقبل حاويتين إسرائيليتين قادمتين من ميناء حيفا على الباخرة (بلانك) بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٩٧ وأثناء تفريغ الحاوية الثانية شب حريق في محتوياتها التى بها ولاعات إسرائيلية نتج عنه انفجارات سمعت بها كل أنحاء الميناء. وشعر الجميع وكأن الميناء تم الاستيلاء عليه بالقوة وأصيب عدد كبير من العاملين !

وبدأ الكلام يتردد داخل الميناء عن أن هناك يدا خفية تعمل وتساعد على نشوب الحرائق المتتالية لمساعدة إسرائيل على شراء شركة الحاويات وميناء بورسعيد بأقل الأسعار بعد طرحها للبيع فى إطار سياسة الخصخصة. وعزز هذه الأقوال ماذكره شيمون بيريز فى كتابه (نحو شرق أوسط جديدة) والذى قال فيه : «إنه فى حالة امتلاك إسرائيل لميناء بورسعيد من خلال شراء شركة الحاويات فإنها بذلك تستطيع أن تملك خطوط الاتصال العالمية. فهناك قناة السويس.. وميناء إيلات.. وميناء أشدود.. والثلاثة تمثل مثلث تدفق التجارة العالمية».

ولايزال مصير شركة الحاويات المصرية حتى الآن معلقا !! فالشركة حققت إيرادات فى عام ١٩٩٢/٩١ قدرت بنحو ٣٨ مليون جنيه وتضاعفت إلى ١٢٥ مليون جنيه فى عام ١٩٩٦/٩٥ وقدرت الجمعية العمومية قيمة الشركة وأصولها بنحو مليار جنيه. ولكن يظل السؤال مطروحا : هل هناك يد خفية تعبث فى ميناء بورسعيد وتساعد على إشعال الحرائق لحدوث خسائر كبيرة حتى تتمكن جهات أجنبية مثل إسرائيل من شراء الميناء وبأبخس الأسعار ؟!!

وفى ظل معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وإجراءات التطبيع دخل مصر عدد كبير من المستثمرين الإسرائيليين بهدف الاستفادة من قوانين الاستثمار المصرية والعمل فى مصر. وخلال سنوات معدودة بلغ عدد الشركات الإسرائيلية أكثر من ٥٠ شركة ومصنعا قام

الإسرائيليون بشرائها وهى تعمل فى مجالات مختلفة تبدأ من صناعة المنسوجات وبنطلونات الجينز وحتى تكرير البترول وصناعة الأخشاب والسخانات الكهربائية. (١)

ومن الشركات الإسرائيلية الشهيرة فى مصر شركة لصناعة الملابس الداخلية. تعمل منذ مايقرب من عشرة أعوام ومنتجاتها تتسرب إلى الأسواق المحلية ولكنها تحمل الاسم الإسرائيلى فقط ولاتوجد عليها علامة تدل على أنها إسرائيلية. وهى موجودة فى الكيلو (١٧) طريق القاهرة - الإسماعيلية. ومملوكة لإسرائيلى اسمه (دافيد لاوغان) ضابط سابق بالجيش الإسرائيلى شارك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ على خط بارليف.

أما أحدث مشروع إسرائيلى فى مصر فهو فى مجال صناعة الألبان والآيس كريم ويتولى الإشراف عليه دان بروير رئيس مجلس إدارة شركة (أوسم) الإسرائيلية ورئيس اتحاد الغرف التجارية الإسرائيلية مع رجل أعمال مصرى. كما دخلت شركة إسرائيلية أخرى فى مجال شراكة مع شركة مصرية تعمل فى مجال المنسوجات وتقام الشركة المشتركة حاليا على أرض مصنع جديد فى إحدى المدن الصناعية الجديدة.

وقبل هذه الشركات كان هناك دافيد أوفتيس ضابط المخابرات الإسرائيلية الذى تجسس وطرد من مصر وتم وضعه على قوائم الممنوعين من دخول البلاد لأنه عمل على ضرب اسم الأثاث المصرى فى دول أوروبا الشرقية والغربية. وكشف بالصدفة تجار أثاث مصريون سمعوا بما يفعل بهدف ضرب منتج مصرى ذات السمعة العالمية من الأثاث وعاد أوفتيس إلى تل أبيب ليرسل بدلا منه لكى يعمل بنفس الطريقة شخصا يدعى رونحلين بورات والذى كان يعمل فى الماضى فى وظيفة إدارية فى إحدى سفارات إسرائيل بالدول الإسكندنافية وبعدها عاد للخارجية الإسرائيلية ليعمل فى قسم شئون العاملين ثم حصل على أجازة بدون مرتب ليعمل فى مجال القطاع الخاص وكأنه حر يفعل مايشاء بلا ضوابط وظيفية وكان هذا مدعاة للشك فيه. ثم جاء ليعمل فى وظيفة إدارية بسفارة إسرائيل فى القاهرة ثم سرعان ماطلب أجازة أخرى ترك بعدها الخارجية والعمل الرسمى وتوجه للعمل لحساب ضابط الموساد المطرود من مصر دافيد أوفتيس.

وكان بن بورات قد تزوج من سيدة تدعى (توتى) وهى ابنة الحاكم العسكرى لغزة من قبل إسرائيل سابقا. ويعيش حاليا فى قرية (بيت عوفيد) القريبة من قطاع غزة بعد أن حددت إقامته فى مصر ومنع من الحصول على تأشيرة الدخول إلى مصر عقب اكتشاف علاقته بدافيد أوفتيس.

ومن أبرز الأمثلة لاستغلال البيزنس فى أعمال الجاسوسية ماحدث فى قضية الإسرائيلية

---

(١) مجلة (الأعمال) الإسرائيلية - ١١ اكتوبر ١٩٩٦ .

(ديفورا جنانى) التى تذكر المستندات أنها جاءت إلى مصر فى عام ١٩٩٣ وذهبت إلى شركة عمر افندى. حيث قدمت نفسها على أنها ممثلة تجارية لشركة أمريكية تدعى (وارلد وايد فيجين) وللأسف قبلتها إدارة عمر افندى للعمل كممثلة للشركة الأمريكية وادعى رئيس مجلس الإدارة بأنه يعاملها باعتبارها جانب التمثيل الأمريكى وليس لكونها إسرائيلية أو يهودية.

وتمر الشهور وديفورا مقيمة فى فندق شيراتون الجزيرة بصفة مستمرة بشكل كان يكلف الشركة الأمريكية أكثر من ٢٠ ألف دولار أمريكى شهريا طبقا لأوراق الفندق لأنها نزيلة جناح كامل مع إقامة شاملة بما فيها استخدام خدمة رجال الأعمال والمكالمات الدولية المطولة. وذلك بعد الخصم الخاص الذى قدم لها كنزيلة دائمة.

الغريب أن الأوراق الرسمية أكدت أن الشركة المصرية اتفقت مع الشركة الأمريكية التى تمثلها ديفورا على استيراد مصر لبضاعة عبارة عن روائح وعطور عالمية بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه ورد منها بضاعة بمبلغ ٧٥ ألف جنيه فقط وعلى مدى شهور كاملة لم يتم بيع منها سوى ٧٪ من قيمة العقد بقيمة ٢٥ ألف جنيه !!

وتطورت الأحداث بالنسبة لديفورا وقدم أحد رجال الأعمال ذوى الشهرة والسمعة بلاغا إلى الجهات المصرية ضد هذه السيدة وأكد فى بلاغه أنها تعمل ليل نهار على إختراق المؤسسات الاقتصادية المصرية خاصة شركات الغزل والنسيج فى كفر الدوار والعامرية والإسكندرية. وفاحت أخبار تلك السيدة المشبوهة حتى تفجرت القضية فى جريدة معاريف الإسرائيلية عدد ١٤ يوليو ١٩٩٥ حينما نشرت خبرا فى صفحتها الأخيرة قالت فيه : مصر تتهم سيدة أعمال إسرائيلية بالتجسس لحساب إسرائيل وأن المتهمة هى ديفورا جناتى ومع هذا كان لايوجد تحقيق رسمى بالفعل !!

وفيما بعد اتضح أن (ديفورا) ولدت من أسرة روسية يهودية فقيرة بالقدس وأنها كانت ضابطة سابقة بلواء الجولانى الإسرائيلى ثم حاربت عام ١٩٦٧ فى العريش ثم التحقت بمكتب الموساد بعدها وعملت فى وظائف مدنية عديدة منها وظيفة سياحية بميامى فى أمريكا. ولكنها أعلنت - فجأة - عن تركها للعمل بإسرائيل وسفرها للقاهرة للعمل كممثلة لشركة أمريكية. وحضرت للقاهرة فى عام ١٩٩٣ لتكتشف أرضية العمل ثم تسافر لتعود عام ١٩٩٤ بجواز سفر رقم (٥٦١١٦٩٧١) صدر من سفارة إسرائيل بالقاهرة. ومن عملها كممثلة لشركة أمريكية بدأت تفتح أمامها خزانات الأسرار الاقتصادية. ومن خلال عملها مع احدي الشركات المصرية الوطنية بدأت تنتشر فى مجتمع الاقتصاديين ورجال الأعمال المصريين مع أن هدفها من البداية محدد وهو محاولة اختراق الاقتصاد المصرى. ولكنها فضلت اللعب على الجانبين معا. فهى تحصل على راتب شهرى يبلغ ١٥ ألف دولار شهريا من الشركة الأمريكية وتكتب فى

نفس الوقت خطابات وهمية للشركة الأمريكية لكى تقنعهم بأن المصريين مرتشون ويجب دفع الرشاوى لهم من أكبرهم إلى أصغرهم !

وتصدق الشركة الأمريكية فى البداية وترسل لها أموال الرشاوى لكنها تضعها فى جيوبها بالكامل فى الوقت الذى تلوث فيه سمعة عشرات الموظفين الحكوميين الكبار دون علمهم طبعا. وتتكشف الخطابات السرية لديفورا ويتضح أنها تعمل لحساب إسرائيل وأنها تسعى - أيضا - لإفساد سمعة المنتج المصرى فى أوروبا وأمريكا. حيث كانت تقوم بإقناع الشركات المصرية بأنها ستفتح لهم مجالات للتصدير إلى أوروبا ويرسلون لها عينات ونماذج المنتجات المصرية المختلفة ولكنها كانت تقوم بتبديل هذه العينات فى الطريق قبل أن تصل إلى أوروبا وأمريكا بعينات أخرى فاسدة بهدف ضرب الاسم المصرى فى الأسواق الخارجية. حيث سيجدون هذه العينات غير مطابقة للمواصفات. ثم تعود وتعرض منتجات أخرى على شركات أوروبا وأمريكا لنفس المنتج ولكنها إسرائيلية الصنع. وهذا يعنى ببساطة أن إسرائيل بواسطة (ديفورا) كانت تضرب سمعة مصر وحيدتها تماما فى مجال المنافسة التجارية لدول العالم بدعوى أن العينات المصرية غير مطابقة للمواصفات الصناعية العالمية. ولا أحد يعلم فى مصر حقيقة مايحدث فى الخارج !



ولا تقتصر حروب التجسس فى مجال البيزنس على أسرار الصفقات التجارية ومعرفة أحدث التطورات التكنولوجية والاكتشافات الجديدة. ولكنها تتعدى ذلك إلى الإعتداء على تراث الدول والتشكيك فى تاريخ الشعوب وحضارة الأجداد ولامانع أيضا من نهب الكنوز الأثرية وتهريب أغلى ماتعتز به الدول من آثار وتحف ومقتنيات لايمكن تعويضها ولا تقدر بثمن!

فعلت ذلك إسرائيل مع مصر عدة مرات. ادعت فى البداية أن أجدادهم شعب إسرائيل المختار هم الذين قاموا ببناء الأهرام المصرية الشهيرة. وعندما لم يصدقهم أحد اتخذوا من الأهرام شعارا للعديد من المراسلات والمكاتبات الرسمية وأخيرا اختارت إحدى محطات التليفزيون الإسرائيلى الأهرام الثلاثة شعارا لقنواتها الفضائية!

وخلال احتلال إسرائيل لسيناء فى الفترة من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٨٢ استباحت كل غال ورخيص. وأخذت تنقب عن الآثار المصرية فى باطن رمال سيناء بالمخالفة لكل الأعراف والقواعد الدولية التى تحكم احتلال اراضى الغير. وكان موشى ديان وزير دفاع إسرائيل الأسبق خلال احتلال اسرائيل لسيناء استغل منصبه لتنظيم بعثات تنقيب ضخمة فى صحراء سيناء زودت بعتاد ضخم من المعدات والرجال وأجهزة الكمبيوتر والليزر والطائرات الهليوكبتر.

بالإضافة إلى قيامه بتشكيل جهاز خاص من بدو سيناء وبعض المتعاملين المصريين للحصول على الآثار بأية وسيلة وهذا المعنى يؤكده ديان نفسه فى مذكراته بقوله : «لطالما كنت مجذوبا بهاجس نبش الأنقاض واستخراج الروائع المدفونة تحتها. وأعترف بأننى قد أكون فعلا اعتمدت على أساليب ملتوية فى الحصول على مرادى هذا من رجال مصر !! ».

وبالفعل نجح ديان فى تحقيق هوايته وحول منزله إلى متحف للآثار المصرية المنهوبة. حيث كان يصدر أوامره للجنود بحمل الآثار المصرية التى يتم اكتشافها فى. منطقة سيناء إلى منزله مباشرة. وبعد وفاته باعت زوجته جزءا كبيرا منها إلى المتحف المقدس بقيمة تساوى أكثر من مليونى جنيه استرلينى. كما قام المتحف الإسرائيلى بشراء مجموعة أخرى من زوجته تضم ٣٥ قطعة أثرية فريدة. ورغم ذلك لايزال منزله متحفا أثريا لاينضب أبدا !!

وأهم مافى مجموعة ديان الأثرية التى حول بها منزله إلى متحف الـ ٤٠ تمثالا الحجرية والبرونزية والفرعونية التى تعود إلى عصر رمسيس الثانى. والتى يجمع علماء الآثار المصرية على أنها ثانى أهم اكتشافات أثرية بعد اكتشاف كنوز مومياء (توت عنخ آمون) الشهيرة. وهذه التماثيل عثر عليها ديان فى منطقة دير البلح التى تمثل كنزا حقيقيا لما تحتويه من كميات كبيرة من الحلى الذهبية والمجوهرات التابعة لها من عقود وأساور وخواتم وحلقان وغيرها. وأجمل مافى هذه المجموعة تمثال (عامونيت) المنحوت فى صخر صلصال. كما يوجد بالمجموعة صحن فولاذى مستدير وواسع محمول فوق رأس جارية فرعونية تعود إلى العام الألف الأول قبل الميلاد. على أن أعمق وأهم مافى المجموعة هو ذلك القناع الحجرى العائد إلى العصر الينوليتى الذى يبدو كما يؤكد الخبراء أنه كان يستخدم كمادة أولية فى نحت وجوه ورؤوس التماثيل والمومياوات الفرعونية.

وبالإضافة إلى التماثيل الأربعين تضم مجموعة دير البلح المكتشفة عام ١٩٧٢ عددا كبيرا من الأوعية والأواني الزجاجية المصقولة ويعتبر أهمها وأجملها الإبريق البلوري الملون الذى يعود إلى العصر البيزنطى القديم. وقد أمكن لموشى ديان أن يجمع أكثر من ٩٠٠ قطعة وتحفة أثرية فرعونية احتفظ بها لنفسه وباعت راشيل زوجته نسبة كبيرة منها بعد وفاته !

وبعد معاهدة السلام وعودة سيناء إلى مصر ظلت إسرائيل تماطل فى رد الآثار المصرية وقدرت هيئة الآثار المناطق المنهوبة بنحو ٤٠ منطقة و ١٣ موقعا أثريا ونقلت إسرائيل هذه الآثار عبر خط جوي استمر لمدة ١٦ عاما متواصلة. وقد تم تحديد ٥٧ موقعا أثريا فى سيناء تم نهبها بواسطة جامعات ومعاهد تل أبيب منها ٦٠ عملية لجامعة بن جوريون تحت غطاء الأبحاث العلمية وعبر ٢١٣ مجسة ومعها معاهد آثار جامعة تل أبيب والجامعة العبرية ومتحاف هارش والقدس رووكفلر. وهذه الآثار مسجلة بدقة وتفاصيل كاملة عبر التقارير الرسمية.

ورغم أن إسرائيل موقعة على اتفاقية مع مصر فى بداية عام ١٩٩٣ يتم بمقتضاها استعادة مصر لآثارها المسروقة فى إسرائيل خلال عامين. إلا أن ماتم استرداده بالفعل لم يكن سوى مجرد مجموعة من الآثار الفخارية والقطع الصغيرة ولم تكن ذات قيمة كبيرة. وظلت الآثار المصرية الأخرى تحتفظ بها اسرائيل وترفض عودتها أو عودة آثار الجيزة المصرية التى سرقت بشهادة المراجع الرسمية للحكومة الإسرائيلية فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وهى نفسها الآثار التى لاتزال تعرضها متاحف إسرائيل حتى الآن ومنها آثار عثمانية وقبطية وإسلامية تم تهريبها من مصر على فترات متتابعة !!

ومنذ عدة سنوات ضبطت أجهزة الأمن شبكة يتزعمها حاخام إسرائيلى فى مدينة (بيت لحم) أثناء محاولته تهريب مجموعة من الآثار المصرية والأحجار الكريمة من مصر إلى إسرائيل واستغلت هذه الشبكة الطابع الدينى فى مستهل مهمتها. حيث وفد إلى مصر مجموعة من الحاخامات مكونة من ٢٥ شخصا برئاسة الحاخام إيتان صبيح كبير حاخامات بيت لحم بدافع زيارة الأماكن والمعابد اليهودية فى القاهرة والإسكندرية لمدة ١٥ يوما وخلال هذه الفترة استطاعوا جمع عدد كبير من القطع الأثرية واللوحات الثمينة. ولكن أثناء سفرهم عبر المطار انكشف أمرهم وتبين استبدال ١٢ حاخاما منهم بعدد مماثل من رجال المخابرات الإسرائيلية وبعض العاملين فى المعبد اليهودى فى القاهرة بعد تزوير جوازات سفرهم بجوازات مزيفة بمساعدة السفارة الإسرائيلية فى القاهرة حتى يتمكنوا من تهريب ونقل مايحملون من آثار من مصر إلى إسرائيل !!

وقديما .. قالوا عندما تريد أن تدمر أمة. ابحث عن حضارتها فهى أعز ماتملك !!

وقالوا ـ أيضا ـ « اعرف عدوك » !!

ولكن لم يقولوا « اسرقه أو انهبه » !!

وهذا هو الفرق بين إسرائيل وغيرها !!!

× × ×

الفصل السادس

□ جواسيس الصحافة!



■ صراع المخابرات والجاسوسية على صاحبة الجلالة■ الصحافة لم تسلم من تسلل الدخلاء وتطفل الجواسيس■ المخابرات تستخدم الصحافة فى التمويه على الخطط لابعاد الشكوك حول طبيعة نشاطها ■ عملاء ينتحلون صفة صحفيين ليمارسوا مهامهم بعيدا عن اثارة الشبهات ■ وكالات المخابرات العالمية تستعين بالمحللين لرصد الأخبار وتحليلها■ حسابات أجهزة المخابرات تضع كل الاحتمالات وتهتم بكافة المعلومات ■ العملاء السابقون بأجهزة المخابرات يكشفون أسرارا عملهم بعد إنشقاقهم ■ المخابرات تكلف عملائها بالبحث عن حقيقة المعلومات التى تنشرها الصحافة

الصحافة والمخابرات... علاقة فريدة من نوع خاص !!

هما فى سباق حميم.. غير معلن.. من أجل المعلومة والخبر والبحث عن الأسرار!!

تتفق وتختلف.. تتقابل وتتنافر.. تتشابه وتتباين.. ويظل الهدف دائما الحصول على أكبر قدر من المعلومات وأكبر قدر من الأسرار وإن اختلفت المعايير والوسائل!!

عين الصحافة دائما على الناس. تنظرإلى أحوالهم وتناقشها. تذهب إلى المسئولين وتستجوبهم. تراقب الفساد وتحمى منجزات الدولة ومكاسب الشعب !

عين المخابرات دائما على الصحافة. تبحث فى كل ماينشر فيها وتدرسه وتحلله وتربط بين الأحداث وبين المواقف والظروف. وتتساءل وتجيب على التساؤلات. تقدم رؤية شاملة للموقف والأبعاد المحيطة داخليا وخارجيا!

وإن كانت الصحافة تسعى إلى كشف الأسرار وتقديمها للقراء وتنفرد بتحقيق ضبطات صحفية. فإن أجهزة المخابرات تسعى - أيضا - للحصول على المعلومات ولكنها تحفظها لنفسها أو تستخدمها لتحقيق مصالحها ونجاح العمليات التى تكلف بها !!

وعيون المخابرات لاترى الصحف كما يراها الآخرون. ولكن لها عين مدربة ترى الخبر وتأخذ منه معلومة وتضيفإليه معلومة وتخرج منه بأحد الأسرار التى يصعب الكشف عنها !!

وفى المقابل قد تستفيد الصحافة من المخابرات وتخصص العديد من صفحاتها لنشر قصص ومغامرات الجاسوسية الواقعية والشيقة التى تجد اهتمام القراء على اختلاف مستوياتهم ومراحلهم العمرية!

وأحيانا تستخدم أجهزة المخابرات الصحافة لتحقيق أهدافها. فنجد عملاء وجواسيس يتخذون من مهنة الصحافة عملا يتخفون وراءه ليحصلوا على مايريدون من معلومات. وبدلا من البحث بطرق سرية غير مشروعة تصبح مهمتهم رسمية ووسائلهم مشروعة وإن كانت أهدافهم تختلف بالطبع !!

وتستعين معظم وكالات المخابرات - الآن - بأشخاص ذوى كفاءة خاصة يطلق عليهم اسم «المحللون» وهؤلاء تكمن خطورتهم فى النتائج التى يتوصلونإليها والتى تكشف الأسرار وتحل الألغاز وتجيب عن الأسئلة المبهمة !!

ويتعامل المحللون مع كافة الأخبار والمعلومات التى تبثها وكالات الأنباء العالمية طوال اليوم. كما تقدمإليهم تقارير العملاء والمراسلين السريين من مختلف أنحاء الكرة الأرضية. ويقوم هؤلاء بالتعامل مع هذه الأخبار مثلما تفعل السيدات بكرات التريكو الصوف والإبر الطويلة. ومن خلال بضعة خيوط من الأخبار تتم صياغة قماشة صوف كاملة يمكن تفصيلها طبقا للأحداث والمفاجآت والتوقعات المستقبلية !!

والتوقع فى أجهزة المخابرات عنصر أساسى من نشاطها. ولابد أن تقدم هذه الأجهزة تقارير دورية عن توقعاتها بمجريات الأمور ومستقبل الأحداث بالنسبة للمشكلات المثارة داخل الدولة أو بالنسبة للتهديدات الخارجية أو مناطق التوتر فى العالم أو مصالح الدولة داخل الدول الأخرى .

وفى كثير من الأحيان تصيب توقعات هذه الأجهزة. وأحيانا تخيب. ولكن عندما تفشل التوقعات يكون موقف القائمين عليها فى منتهى الحرج وموقف الدولة فى منتهى السوء !!

ولذلك فإن حسابات أجهزة المخابرات تضع دائما نصب أعينها كل الاحتمالات مهما كانت درجة بساطتها وتراقب كل الأحداث مهما كانت درجة خطورتها !!

وعلى الرغم من ذلك فشلت أقوى أجهزة المخابرات العالمية - ونقصد بها وكالة المخابرات الأمريكية - فى التنبؤ بالمصير الذى انتهى إليه عهد شاه إيران صديق وحليف الولايات المتحدة، ولم تستطع إقصاء حكم الخمينى وآيات الله الذى يعتبره الكثير من المراقبين من أكثر التهديدات الخارجية التى تواجه السياسة الأمريكية فى مجال مواجهة الإرهاب الدولى !!

كما فشلت - أيضا - توقعات وكالة المخابرات الأمريكية فى تحليل المعلومات الصحيحة التى وصلتها عن احتمالات قيام صدام حسين بغزو دولة الكويت. وما صاحب ذلك من أحداث مؤسفة انتهت بحرب تحرير الكويت والتى قادتها قوات الدفاع الأمريكى ودول التحالف.

وفى السودان لم تتوقع أجهزة المخابرات العالمية المصير الذى سيؤلإليه نظام الحكم هناك بعد سقوط حكم الرئيس جعفر نميرى وهوية كافة الأنظمة التى أعقبته بعد ذلك حتى جاء نظام الترابى الحالى الذى يسيطر على مجريات الأمور من خلال الرئيس البشير حاكم السودان. بل إن هذا النظام قد واجه فى بداية الإعلان عن الانقلاب الذى جاء به ترددا كبيرا فى الموافقة والاعتراف به من جانب العديد من الأنظمة وبخاصة فى المنطقة العربية والإفريقية المجاورة لها. ولولا قيام الرئيس حسنى مبارك بزيارة رسمية للسودان فى أعقاب الأيام الأولى من هذا الانقلاب - رغم خطورتها - والالتقاء بقائد الانقلاب (البشير) ومساندته لما كان هذا الحكم وجد قبولا منذ البداية فى العديد من دوائر الحكم التى كانت تشك فى النوايا الخفية لهذا الانقلاب، والذى اتضح بعد ذلك بالفعل أنه يتخذ من بعض الضباط القائمين عليه مظهرا عسكريا. ولكنه فى الواقع كان اتجاها أصوليا متعصبا يسعى إلى تصدير الإرهاب وخلق المشاكل مع الدول المجاورة وتبديد ثروات الشعب السودانى المغلوب على أمره !!

وأحيانا تستخدم المخابرات الصحافة فى التمويه عن خطة أو إبعاد الشكوك عن نشاط معين تقوم به الدولة ولاتريد الإفصاح عنه. وخلال فترة حرب اكتوبر تعمدت مصر نشر بعض الأخبار يو ٥ اكتوبر ١٩٧٣ ذات مغزى خاص لإخفاء نيتها والتأكيد على عدم استعدادها للقيام

بحرب مضادة على إسرائيل. (١) وبالفعل التقطت أجهزة المخابرات الإسرائيلية الطعم وجاء القصف الجوى للطيران المصرى فى الساعة الثانية من ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣م مفاجأة كاملة للجيش والحكومة وأجهزة المخابرات الإسرائيلية !



ولم تسلم صاحبة الجلالة طوال السنوات العديدة الماضية من تدخل الدخلاء والجواسيس على مهنة الصحافة. سواء ممن تم اتهامهم من داخل المهنة فى قضايا تجسس أو من عملاء انتحلوا صفة الصحفيين ليمارسوا مهامهم التجسسية بعيدا عن إثارة الشبهات حول طبيعة عملهم السرى !!

ومن أشهر قضايا التجسس فى الوسط الصحفى قضية اتهام مصطفى أمين فى فترة الستينيات بالتجسس لحساب المخابرات الأمريكية وبالتحديد يوم الثلاثاء ٢٠ يوليو ١٩٦٥، عندما أرسل رئيس هيئة الأمن القومى إلى رئيس نيابة أمن الدولة العليا المستشار أحمد موسى خطابا يقول فيه نخطر سيادتكم بأن السيد/ مصطفى أمين - مصرى الجنسية - يعمل رئيس تحرير الأخبار ويقيم ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك. دلت تحرياتنا السرية أن المذكور يقوم بالتخابر لحساب المخابرات الأمريكية فى القاهرة. والعمل ضد أمن وسلامة الدولة ويعاونه فى ذلك آخرون. وسيجتمع المذكور مع مندوب المخابرات الأمريكية الحالى فى القاهرة سعت ١٤٠٠ يوم الأربعاء الموافق ١٩٦٥/٧/٢١، وبرجاء التكرم باتخاذ اللازم قانونا لضبط هذا الاجتماع. وتفتيش منزله ومكتبه فى مؤسسة أخبار اليوم وضبط أى أوراق أو مستندات تفيد التحقيق. (٢)

وكجزء من الصراع بين المخابرات المصرية والمخابرات الأمريكية سقط مصطفى أمين. ولم يكن هو فى حد ذاته هدفا. فقد كان الهدف هو ملحق بالسفارة الأمريكية تخفى تحت ستار العمل الدبلوماسى ليمارس نشاطه. وعندما علمت المخابرات المصرية بحقيقته وضعته تحت أنظارها. ووفقا لتقارير المتابعة فقد لوحظ أن «بروس أوديل» يذهب إلى الزمالك يوم الأربعاء من كل أسبوع ويترك كل مدة سيارته فى مكان مختلف ثم يسير بضعة أمتار أو يقطع مشوارا طويلا ويتلفت وراءه قبل أن يدخل عمارة بعينها ويصعد فى كل مرة طابقا مختلفا بالمصعد. وأكدت تقارير المتابعة أنه يدخل شقة مصطفى أمين. حيث تسدل الستائر وتكررت اللقاءات كل يوم أربعاء من الثانية حتى الرابعة مساء.

واستطاعت المخابرات العامة أن تدخل بوسائلها وتمكنت من سماع وتسجيل هذه اللقاءات

---

(١) نشرت الصحف في ذلك اليوم أن الرئيس السادات ذهب إلى استراحته في قرية (ميت أبو الكوم) بالمنوفية للعبادة والاستجمام خلال شهر رمضان.

(١) قضية جاسوسية مصطفى أمين - عبدالله إمام.

التى تتم فى الصالون. ولكنها لم تستطع أن تدخل غرفة الطعام فكانت التسجيلات مقصورة على جلسات ماقبل الطعام. ولم تبلغ النيابة للقبض عليه إلا بعد أن حصلت على كل مايثبت أن مصطفى أمين يهرب أموالا عن طريق (بروس) وسمحت بتهريب النقود. بل سمحت بأن يهرب وثائق لأن القضية لم تكن قد اكتملت أركانها وكان التدخل قبل الوقت المناسب يعنى إجهاض القضية. وبالفعل تم التحقيق مع مصطفى أمين وحكم عليه بالسجن ولكن قام الرئيس أنور السادات بالإفراج عنه فى عام ١٩٧٤ لظروف صحية بعد وساطة وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر وتقدم بعدها مصطفى أمين للمدعى العام الاشتراكى بطلب لإعادة التحقيق فى قضيته وانتهى المدعى الاشتراكى إلى أن مصطفى أمين برىء !!

وعندما سؤل مصطفى أمين قبل وفاته عن هذه القضية التى اتهم فيها بالتجسس ومضى بسببها سنوات طويلة داخل السجون قال : عندما جاء رجال الأمن للقبض علىّ فى منزلى بالاسكندرية ورأيت الحراس يملأون حديقة المنزل تصورت أن الرئيس جمال عبدالناصر قد حضر لزيارتى. وقد سبق أن قبض علىّ مرة فى أول الثورة. ومرة أخرى بعد بضعة شهور منها بدون علم الرئيس عبدالناصر. ولكن عندما علم فى المرتين بأمر القبض علىّ وعلى أخى على أمين أمر بإطلاق سراحنا. ولكن عندما رأيت أن القوة التى جاءت تقبض على اصطحبت معها مصورا لالتقاط صورى تأكدت أن المسرحية مدبرة. وضحكت عندما علمت أن المخابرات العامة قدمت بلاغا للنائب العام بعد القبض علىّ قالت فيه إننى أؤلف عصابة من إبراهيم صالح ومصطفى سنان ومحمود عوض المحررين فى أخبار اليوم. وأن مهمة هذه العصابة خدمة أمريكا وتقديم أسرار البلد لها. ولقد قلت لكل من تحدث معى فى هذا الموضوع، وفى مقدمتهم محمد حسنين هيكل (١) بأننى أعتبر الحكم قد صدر علىّ فعلا يوم القبض علىّ ويوم صدرت التعليمات وتنسب لى إعترافات غير صحيحة لم تصدر منى. وأعتبر الحكم قد صدر ضدى يوم حذف اسمى كمؤسس لأخبار اليوم والأخبار، ويوم توقفت (فكرة) عن الظهور، ويوم تقرر ألا أقدم إلى محكمة جنايات عادية بل إلى محكمة برئاسة الفريق «الدجوى» الذى أعلم عنه أنه لايحكم ولكنه يتلقى الحكم بالتليفون.

ويضيف مصطفى أمين فى اعترافاته بعد الإفراج عنه : لقد أخذونى إلى زنزانة فى المخابرات ونزعوا ملابسى وأصبحت عاريا تماما وسلطوا على وجهى المصابيح الكاشفة حتى كادت تعمى عينى. وراحوا يضربوننى بقسوة !!

ولم تكن قضية مصطفى أمين هى قضية الجاسوسية الوحيدة فى عالم الصحافة. ولكن كانت هناك اتهامات أخرى لصحفيين بالعمالة لدول أخرى. ويذكر محمد حسنين هيكل فى

---

(١) قام هيكل بعد ذلك بتأليف كتاب عن هذه القضية بعنوان «بين الصحافة والسياسة» هاجم فيه مصطفى أمين بشدة.

كتابه (سنوات الغليان) أن أحمد وحسين أبو الفتح الصحفيين الشهيرين وأصحاب جريدة المصرى تعاونا مع المخابرات الفرنسية ضد المصالح المصرية وأن لهم دورا رئيسيا فى تحريض الملحق العسكرى المصرى فى بيروت المقدم زغلول عبدالرحمن على الهرب وإفشاء أسرار عسكرية !!

كما أن هيكل نسب إلى محمود أبو الفتح أنه حرر وثيقة معنونة بلجنة الأحرار العرب وموقعة منه وأنه قام بتسليمهاإلى رئيس وزراء بريطانيا (أنتونى إيدن) فى ذلك الوقت عبر السفارة البريطانية فى واشنطن. وأنه طلب أموالا من الولايات المتحدة وبريطانيا لإنشاء إدارة للدعاية لهما وأنه طلب من الغرب استعمال القوة ضد مصر. وقد نشر هيكل النص الكامل لهذه الوثيقة التى تحمل رقم ٣١١ ـ ١٨٨٢٣ ـ ١١٧٣٦٤ .

ومن جانبه دافع أحمد ابو الفتح عن نفسه وقال : نعم أسسنا إذاعة مصرية فى الخارج باسم «مصر الحرة» فى عام ١٩٥٤ ثم ذهبناإلى دمشق فتم تكريمنا، والصحافة اللبنانية انضمت إلينا فى مواقفها من عبدالناصر. وقد سافر محمود أبوالفتح إلى أوروبا بينما بقيت أنا فى بيروت لاستكمال المهمة. ثم انتقلناإلى باريس والحياة كانت شاقة جدا هناك. ثم قررنا أن نعيش فى مونت كارلو فى ١٩٥٥. وقد ظللت حتى عام ١٩٥٧، والحقيقة أنا كنت قد تركت أم أولادى مع والدتى فى القاهرة وقد تركناهم على أساس أن حركة الجيش سوف تنتهى فى فترة ثلاثة أو أربعة أشهر كما كنا نعتقد إلا أن الوضع استمر !

ويضيف أحمد أبوالفتح مدافعا عن اتهامه بالعمالة لحساب المخابرات الفرنسية قائلا : لقد تم تأسيس إذاعة مصر الحرة فى يوليو ١٩٥٧ وبالفعل كانت هناك إذاعة تبث من فرنسا أيام (جى موليه) ضد مصر، وكان الذى يقوم بالإذاعة فيها يذيع بقبح شديد جدا أى يلعن الأب والأم. وهذا لم يكن أسلوبنا بالقطع فإذاعتنا لم تكن من الحكومة الفرنسية. وإنما خصصها لنا الجنرال ديجول الذى رأى أن مصر ارتمت فى أحضان الروس ولذلك كان موقفه معنا، وفى هذه الإذاعة (مصر الحرة) كنا نهاجم سياسة فرنسا فى الجزائر لنثبت أننا مستقلون وأن قضية الجزائر قضية قومية عربية واستمرت الإذاعة حتى قام الأمريكان بوقفها فى عام ١٩٦٢. وكنا قد اخترنا فرنسا بالتحديد لإنشاء الإذاعة لأنها الدولة الوحيدة التى سمحت بذلك، ويجب أن نفرق بين ديجول والحكومة الفرنسية. وهناك أمثلة كثيرة للاجئين أجانب اتخذوا من فرنسا وغيرها مقرا للمقاومة. وقد كان كفاحنا من أجل الديموقراطية والكل يعرف ذلك، ثم إن عبدالناصر كان يسهر أسبوعيا لدىّ فى بدايات الثورة. بل إن أول خطبة لعبدالناصر أنا الذى كتبتها له وكانت كلها دفاعا عن الديموقراطية. وبعد ذلك أراد ديجول أن يعيد العلاقات مع مصر فأرسل ثلاثة من الدبلوماسيين التجاريين لإعادة العلاقات مع فرنسا فكانت النتيجة أنهم القوا القبض عليهم فى مصر واتهموهم بالتجسس لحساب إذاعة (مصر الحرة) !!

وحتى الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل لم يسلم من الاتهامات بالعمالة. وظلت وساطته بين ضباط الثورة والسفارة الأمريكية محل نقد وتشهير فى كثير من الحالات حتى استخدم الرئيس أنور السادات فى هجومه على هيكل لفظ «عميل». (١) ومن الطبيعى ألا يتهم رئيس الدولة واحدا من عمالقة الكتاب بأنه عميل يخدم جهاز مخابرات أجنبيا دون أن يكون حصل على معلومات بشأن هذا الإتهام إما عن طريق جهاز المخابرات المصرى الذى يتبع رئاسة الجمهورية مباشرة أو عن طريق جهاز مخابرات صديق. ولكن من المؤكد أن جهاز المخابرات المصرى - المخابرات العامة - لم تحرر أى مذكرة للرئيس السادات بهذا الخصوص. وحتى لايتشكك أحد فى صدق هذا التأكيد فإن جميع رؤساء جهاز المخابرات المصرى قرروا ذلك منهم ثلاثة مديرين والرابع شغل منصب المشرف على الجهاز. (٢)

والواقع أنه لايمكن لأى جهاز مخابرات أن يقدم على اتهام أحد دون أن تكون هناك أدلة ووثائق وأسانيد كأشرطة التسجيل الصوتية والصور الفوتوغرافية وأشرطة الفيديو والرسائل المكتوبة بخط اليد مع بيان شامل لتحركات العميل من لحظة اكتشافه إلى لحظة القبض عليه. ومن هنا جاء ذلك التعريف الطريف للمخابرات بأنها «علم معرفة الأجوبة قبل توجيه الأسئلة»(٣) ويتضمن هذا البيان تحديدا وتوصيفا دقيقا للنقاط التالية :

أولا : مكان ووسيلة وتاريخ تجنيده : أين جندوه ، وكيف تم تجنيده، ومتى كان ذلك بالضبط ؟!

ثانيا : وسائل وسبل ومواعيد الاتصال : كيف كان العميل يتصل بجهازه . وهل بالاتصال الشخصى أم بوسيلة تراسل كاللاسلكى أو الرسائل السرية. ومتى كان هذا الاتصال يحدث بالدقيقة والثانية مع أدق التفاصيل.

ثالثا : نوع الواجب الذى كان مكلفا به. فالعملاء لايجندون لتبادل الأحاديث الودية. لكنهم يجندون لتلبية احتياج ما، وكلمة «احتياج» كلمة يستخدمها المحترفون للدلالة على نوع الغرض الذى جند العميل لتحقيقه. وعند هذه النقطة لابد أن يكتشف أى جهاز للمخابرات مهما كان الثمن والحجم الذى نفذه العميل من هذا الواجب حتى لحظة وقوعه تحت الضوء.

وفى بعض الأحيان أنهت أجهزة شهيرة للمخابرات بعض العمليات التى كانت تجرى تحت

---

(١) «عميل» هو لفظ فضفاض لايعطي توصيفا علميا محددا. لأن العميل هو كل من يتعامل مع جهاز للمخابرات حتى لو كان دوره أن يزود هذا الجهاز بأدوات للنظافة.

(٢) ابتكر الرئيس جمال عبدالناصر لقب «المشرف علي جهاز المخابرات» ليمكن السيد / أمين هويدي من إدارة جهاز المخابرات العامة. ومن حضور جلسات مجلس الوزراء في نفس الوقت. لأن مدير المخابرات لايسمح له بحضور هذه الجلسات رغم أنه يعتبر بدرجة «وزير».

(٣) ماهر عبدالحميد - روز اليوسف - ١٩٨٧/٣/٩ .

السيطرة ـ أى تحت الرقابة الكاملة ـ لأن حجم الواجب الذى كان العميل بصدد تنفيذه قد اقترب من حد الخطر. وعندئذ تصبح فوائد متابعة العملية أتفه من أن تقارن بالضرر الذى سينجم عن استمرارها.

أما بالنسبة لاتهام هيكل بالعمالة فقد أخذ يملقه الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة ماذكره هيكل نفسه فى كتابه «مدافع آية الله» والذى يصف فيه كيف طلبت منه أمريكا عن طريق وكيل وزارة خارجيتها أن يقوم بعملية خداع وتضليل للإيرانيين باسم مبادىء الإسلام حتى يفرجوا عن رهائن السفارة الأمريكية المحتجزين منذ عام ١٩٨٠. كما يحفل كتاب (ملفات السويس) بإشارات إلى الاجتماعات العديدة التى كان كبار رجال المخابرات الأمريكية يعقدونها مع هيكل مثل كيرميت روزفلت صانع الانقلاب الرجعى ضد مصدق لحساب شركات البترول وكان دائم التردد على مصر خلال السنوات الحرجة الواقعة بين ١٩٥٢ و ١٩٥٦ وكانت اجتماعاته السرية مع عبدالناصر تعقد فى بيت هيكل.

ويقول الدكتور فؤاد زكريا : إن مايلفت النظر تلك الصلات الوثيقة التى كانت بين هيكل وأيكلبرجر الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية والتى وصلت إلى حد أن يتصل هذا الأخير بهيكل فى الساعة ١,٢٠ صباحا يوم ١٩٥٥/٩/٢٧ ليسأل عما إذا كانت صفقة الأسلحة الروسية قد عادت بالفعل. فمجرد قيام مسئول أمريكى بسؤال شخص مقرب إلى الرئيس المصرى عن موضوع كانت الدولة فى مصر تحرص حتى ذلك الحين على أن يظل سرا هو فى ذاته أمر يدعو إلى الاستغراب !!

ورغم الإتهامات التى وجهت إلى هيكل إلا أنها جميعا لم تكن ذا شأن أو تأثير فالجميع يعلم أن هيكل كان دائما على خلاف مع جهاز المخابرات المصرى. لا من حيث أنه جهاز يحمى الوطن. ولكنه كان على خلاف ما رأى أنه أخطأ فى ممارسات هذا الجهاز فى فترات معينة من التاريخ. وكتب هيكل فى الأهرام سلسلة مقالات عن « زوار الفجر» وكان بذلك أول من نقد بعض ممارسات هذا الجهاز فى وقت كانت له فيه سطوة وحظوة. ولم يمنع هيكل من النقد أن تلك السطوة لم تكن من فراغ ولكن لأن الجهاز استطاع أن يحقق إنجازات وانتصارات مذهلة.

وبالتأكيد أن مقالات هيكل حول (زوار الفجر) أغضبت جهاز المخابرات المصرية. كما أن صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات المصرية فى ذلك الوقت [1] كان قد طلب من الرئيس جمال عبد الناصر أن يسمح له بمراقبة كل المقربين منه ومنهم بالطبع وأولهم ـ على حد تعبير صلاح نصر ـ محمد حسنين هيكل. وقد وافق عبدالناصر على مراقبة كل المقربين منه ولكنه رفض بشدة أن يسمح بمراقبة أفراد أسرته. وهذا دليل آخر على أن هيكل لم يكن بمنأى عن رقابة المخابرات !!

(١) تمت محاكمة صلاح نصر فيما بعد خلال حكم الرئيس جمال عبدالناصر وحكم عليه بالسجن.

والحقيقة التى أريد أن أقررها أن معظم قضايا التجسس واتهامات العمالة التى ظلت تلاحق عددا كبيرا من كبار الكتاب ونجوم الصحافة خلال الفترات الماضية لم تكن تستند على حقائق موضوعية بقدر ماكانت تعبر عن حالة من حالات عدم الاستقرار وتشابك المفاهيم بين ماهو وطنى ؟! وما هو عميل ؟! وكانت فى بعض الأحيان تحسم طبقا للتوجهات والتوازنات، وخاصة أن معايير التجسس ومواصفات العمالة كانت غير واضحة. وكانت القوانين يمكن أن تجرم فى الكثير منها اتصال المصرى بغير المصرى أو تحظر التعامل مع السفارات الأجنبية وتعتبر كل ماهو أجنبى يمثل عدوا للثورة أو مبادئها !!



ولما كانت الصحافة هى مهمة البحث عن المتاعب واستقصاء المعلومات. لجأت أجهزة المخابرات إلى استغلال هذه المهنة والتستر من خلالها على تجنيد عملائها. وباسم الصحافة ارتُكب العديد من الشرور. ومن خلال الصحافة تسلل العديد من الدخلاء والجواسيس!!

ويشير تقرير لجنة الدفاع والأمن القومى بمجلس الشعب الى انه تم القبض فى عام ١٩٩٦ على الإسرائيلى (دومنيك نتوبى) بتهمة محاولة جمع معلومات عسكرية مستغلاً عمله الصحفى كمراسل لصحيفة إسرائيلية فى القاهرة.. غير أن التحقيقات التى اجريت لم تثبت تورطه لعدم كفاية الادلة وتم إطلاق سراحه بمعرفة النيابة وتمكن من مغادرة البلاد إلى إسرائيل قبل ان تتوصل اجهزة الأمن الى دلائل تثبت تورطه فى عمليات تجسس!!

كما حكمت محكمة أمن الدولة العليا فى عام ١٩٨٩ على الجاسوس سامى يوسف وشقيقه سمير يوسف بالسجن لمدة ١٠ سنوات وغرامة ١٠ آلاف جنيه لكل منهما .. وكان سامى يقوم بالعمل كصحفى فى جريدة أمريكية تصدر فى القاهرة باسم (القاهرة اليوم) (Cairo - To - Day) ، وثبت من التحقيقات أن الجاسوس استغل عمله كصحفى بالقطعة فى الحصول على المعلومات وجمعها وكتابتها وإرسالها إلى المخابرات الأمريكية حيث اتضح أنه ما كان يقوم به لا صلة له بالعمل الصحفى أو الإذاعى أو أى وسيلة من وسائل الإعلام المختلفة!!

وفى بداية التسعينيات ألقت أجهزة الأمن القبض على أحد الصحفيين بجريدة الاهرام ولكن تم الإفراج عنه بعد أن ثبت أن الاتهامات الموجهة ضده بالتجسس لا تستند إلى دلائل أو وقائع محددة!!

وفى بعض الأحيان يكون الصحفيون - أنفسهم - هدفا لأجهزة المخابرات أو المنظمات الإرهابية التى تستهدف من يعارضونهم او يهاجمون سياساتهم - ويعتبر اختطاف الصحفى اللبنانى الكبير سليم اللوزى فصلا فى سلسلة جرائم الاغتيال الكبرى للصحفيين العرب. حيث عثر على جثته فى ٢٥ فبراير ١٩٨٠ راعى غنم فى منطقة (عرمون) بلبنان. وكان اللوزى يمثل

سنوات طويلة من النضال بالكلمة والمطاردة بين العواصم فى أيام القهر العربى. وكان اللوزى يعرف مصيره جيداً وكأنما يقرأ طالعه من فنجان ناصع البياض. وكان يعرف أيضا أنه سوف يدفع ثمن مواقفه وحروف كلمته فادحا حتى بعد أن قتلوا شقيقه مصطفى قبل اغتياله بشهور قليلة على أحد شواطىء طرابلس فى عز الظهيرة.

وكان سليم اللوزى قد قرر أن يخوض معركته إلى النهاية رغم التحذيرات المتعددة التى كانت تصل إليه سواء من خلال أصدقائه وزملائه أو من خلال مجهولين، وكانت الرسائل تقول له وهو فى منفاه الثانى (لندن) لاتذهب إلى لبنان لأن قرار الاعدام قد صدر. وهو الأمر الذى قابله اللوزى بالتحدى الكامل عندما كتب فى مذكراته «من يريد قتلى فليتفضل..» لقد قرر سليم اللوزى - كما قال لزوجته لاحقا - أن يموت على صهوة جواد قلمه. وعندما توفيت والدته حاول الجميع إثناءه عن السفر لبيروت خوفا عليه. لكنه قرر السفر رغم تحذيرات رجال المخابرات من دول عديدة له.

وفى ٢١ فبراير ١٩٨٠ وصل سليم اللوزى الى بيروت لاستقبال المعزين فى وفاة والدته، وبعد ذلك بأربعة أيام فقط لم تقو زوجته (أمية) على تقبل العزاء فى زوجها بعد قتله. وفى ٤ مارس عام ١٩٨٠ أصدر المدعى العام لجبل لبنان تقريره الذى كان مختصرا للغاية قال فيه: إن مجهولين قد اقدموا على اختطاف سليم اللوزى صاحب مجلة الحوادث فى الفترة من ٢٤ فبراير حتى ٤ مارس ١٩٨٠ بقوة السلاح وقتلوه بإطلاق النار عليه. وفى تقريره أكد الطبيب الشرعى ان يد سليم اللوزى اليمنى تلك الجسورة التى كان يكتب بها قد اجبر على وضعها فى سائل فتاك (ماء نار مركز) حتى تهرأت اليد تماما قبل الإقدام على اغتياله كنوع من التعذيب والإذلال المضاعف!!

وبعد اغتيال سليم اللوزى بعدة سنوات قليلة سقط رسام الكاريكاتير الفلسطينى الشهير ناجى العلى برصاصة فى رأسه على أحد أرصفة لندن بعد أن تسبب فى صداع مزمن فى رؤوس كل الانظمة العربية الفاسدة. وكشفه للعديد من التجاوزات حتى داخل منظمة التحرير الفلسطينية. ولعل الغريب فى الأمر أنه لا يعرف أحد على وجه التحديد من الذى اغتال ناجى العلى حتى الآن !! لكن الاغرب هو أن الذين قتلوه لو كانوا يعرفون أن رسوماته - خاصة شخصية حنظلة - لن تموت ما كانوا قد أقدموا على جريمتهم بهذه الصورة.

ومن فلسطين إلى مصر انطلقت نفس الرصاصات إلى صدر المفكر الكبير الدكتور فرج فودة ليسقط قتيلاً فى تصعيد خطير من قبل بعض الجماعات المتطرفة . ومن مصر إلى الجزائر تجرى شلالات الدم لاغتيال الصحفيين العرب. حيث سقط خلال ثلاث سنوات فقط ما يقرب من ٦٥ صحفيا بدأتها الجماعات فى الجزائر باغتيال الصحفى محمد ميقات المحرر

بجريدة المجاهد وانهتها الجماعة بعد أن أخذت فى طريقها العشرات من الصحفيين الجزائريين!!



وفى ظل ثورة تدفق المعلومات أفرز التطور العلمى الهائل فى أجهزة التنصت عن تهديد كبير لأسرار الدولة ولأسرار الأفراد. فأصبح كتمان هذه الأسرار والحفاظ عليها أمرا بالغ الصعوبة وقد اختفت طرق حماية الأسرار. فمن ناحية اتخذت الدولة الاحتياطات التقنية والتكنولوجية المناسبة لمنع تسرب هذه المعلومات، ومن ناحية اخرى سارعت الدولة بسن التشريعات الكفيلة بهذه الحماية جنائياً. ويمكن تقسيم الأسرار المشمولة بالحماية الجنائية إلى نوعين .. الأول: طائفة الأسرار العامة. والثانية طائفة الاسرار الخاصة. أما بخصوص الأسرار العامة فهى متمثلة فى المصالح العليا للدولة وعلى ذلك لم يتوان المشرع عن رصد الآثار الناجمة عن إفشاء هذه الأسرار والتى يمكن تقسيمها إلى أسرار أمن الدولة مثل المعلومات السياسية والعسكرية والاقتصادية والصناعية والعلمية. وتتضمن فى المقام الاول المعلومات الدبلوماسية المتعلقة بتكوين البعثات الدبلوماسية للدولة. كما تتضمن ماهية القوى السياسية فى الدولة واتجاه زعماء الدولة وتوجهاتهم السياسية. أما بخصوص المعلومات العسكرية فإنها تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لأمن الدولة ويدخل تحت تقسيم أنواع الأسرار العامة أسرار التحقيقات الجنائية. حيث تعتبر السرية ضرورة لازمة لإحكام حلقات التحقيق. وعلى ذلك سمح للخصوم بحضور التحقيق فيما يخص التحقيق الابتدائى ثم الملتزمين بكتمان أسرار التحقيق مثل القضاة وأعضاء النيابة العامة والكتبة والمحققين والخبراء ثم مأمور الضبط القضائى والمحامين وهناك أيضا حظر نشر الأخبار الخاصة ببعض التحقيقات. ويقع تحت طائلة القانون كذلك هؤلاء الذين بحكم وظائفهم يعرفون الكثير من المعلومات والوثائق والبيانات. والأساس القانونى لالتزام الموظف عندما يباشر مهام وظائفه او القيام بدور الوسيط بين الفرد والدولة بالإضافة إلى ذلك هناك من الأسرار الأخرى مثل الأسرار البرلمانية إذا قرر المجلس التشريعى نظر أعماله فى جلسة سرية فانه لا يجوز نشر مادار فيها والأصل أن القوانين التى يقرها البرلمان ليس فيها سرية.. ولكن يجوز الاستثناء فى عقد بعض الجلسات السرية. (١)

وبالنسبة للأسرار الخاصة فهناك نوعان منها: أسرار المهنة ثم أسرار المراسلات والاتصالات الهاتفية. ويتصل بهذه الأسرار الملتزمون بكتمان أسرار المهنة والمسؤلية الناشئة عن إفشاء هذه الأسرار.

---

(١) الحماية الجنائية لأسرار الدولة - تأليف الدكتور مجدي حافظ - ١٩٩١ .

وقد ازدادت دائرة أسرار الدولة واتسع نطاقها نتيجة للتطور العلمى والتقنى فى جميع المجالات. ولقد كان المشرع سباقا للاحتياط من إفشاء اسرار الدولة ضمن التشريعات الكفيلة بحماية هذه الأسرار وإبقائها فى طى الكتمان، وكان من نتيجة اتساع نطاق أسرار الدولة أن أصبح من الواجب تحديد مفهومها، وحتى يمكن تحديد مفهوم أسرار الدولة يجب تعريفها واستعراض موقف التشريعات المقارنة من هذا التعريف الذى يختلف طبقا لتعدد أنواع الأسرار.

وإذا كانت المصلحة العامة تقتضى المحافظة على أسرار الدولة فإن ذلك لن يتم الا بفرض بعض القيود بقصد الوصول إلى هذا الهدف. والمشكلة الحقيقية التى تواجهنا أن أكثر المجالات التى يتم فرض القيود عليها هو مجال المعلومات. ولاشك أن التوفيق بين حماية أسرار الدولة وحرية المعلومات مطلبان متناقضات لان قضية المعلومات قد احتلت مكانا مرموقا فى العصر الحديث وأصبحت القضية المثارة الآن ليست هى حماية المعلومات. ولكن الحق فى الحصول على المعلومات، وكان لابد من التفرقة بين المعلومات التى يحتاجها الإنسان وبين المعلومات الخاصة بأسرار الدولة. ويدخل فى نطاق هذا الحديث حرية الصحافة وكفالة احترام أسرار الدولة.

وفى مجال الحديث عن المقصود بأسرار الدولة فى مجال الإعلام والصحافة والمعلومات فإنه إذا كان إفشاء الأفراد لأسرار الدولة فإن خطورة هذا الإفشاء تكون أكثر وضوحا فى حالة وقوعه من خلال وسائل الإعلام وسرعة ذيوع الأخبار والمعلومات وبالتالى فإن إضرارها بالأمن القومى سيكون أكثر فداحة. ولذلك يثور التساؤل حول معنى السر فى مجال الإعلام. وهناك اتجاهان قد عالجا هذا الموضوع.. الأول يدور حول فكرة عدم الحاجة إلى مفهوم خاص لأسرار الدولة فى مجال الإعلام وذلك اكتفاء بمفهوم أسرار الدولة فى مجال القانون العام لذلك يخضع كل العاملين فى مجال الإعلام لنفس القواعد والإجراءات المطبقة فى قانون العقوبات فى حالة إفشائهم لأسرار الدولة. أما الاتجاه الثانى فيستند على أن أجهزة الإعلام تنشر المعلومات بسرعة بالغة مما يؤدى إلى أضرار كبيرة للأمن القومى. ولذلك فإن إفشاء الأسرار بمعرفة الإعلاميين يؤدى إلى أخطار أبعد مدى مما يحدث إثر إفشاء الأفراد للأسرار.

وتخصص أجهزة المخابرات إدارات كاملة داخلها للتعامل مع المصادر المكشوفة للمعلومات أو ما يطلق عليه فيض المعلومات الخام المتوافر لكل شخص من إذاعة وتليفزيون وصحف ومجلات وكمبيوتر وانترنت. ويعانى ضباط المخابرات - فى العادة - من الانطباع بأن

المعلومات ليست ذات قيمة إن لم يسرقوها أو يدفعوا ثمنها. لكن المهم فى الأمر أن يكون هناك متخصصون فى فن التحليل. والمسألة الرئيسية هى إن كنا نقوم بالاستفادة من الكمية الهائلة من المعلومات غير السرية فإن هناك كثيرين ممن يعرفون أكثر مما تعرفه الحكومة نفسها!!

وفى العادة تكلف أجهزة المخابرات عملاءها بالبحث عن معلومات حول موضوع أو مشكلة من القضايا العامة المطروحة والتى تنشرها الصحف وتتداولها وكالات الأنباء. ولكنها تستقبل هذه المعلومات من عملائها وتعالجها بشكل مختلف باعتبارها معلومات خام يجب أن تعاد مراجعتها وتحليلها ثم تعرض بعد ذلك على خبراء ومتخصصين ليضعوا تصوراتهم وتوقعاتهم المستقبلية للأحداث تجاه هذه المشكلة والبدائل التى يطرحونها حتى يمكن التعامل مع مثل تلك التوقعات فى حالة حدوثها. وبالتالى فإن بإمكان أجهزة المخابرات أن تشكل أداة مهمة بالنسبة لصانعى القرار تجاه العديد من القضايا والأحداث. ولكن تكون هذه الأداة فى صورة معلومات أو نصائح أو توقعات وليس أكثر من ذلك ويعود الأمر فى النهاية إلى القادة والسياسيين - أنفسهم- لكى يتخذوا القرار المناسب وفق كل الطروحات التى تحقق المصلحة العامة!!

ويعتبر الرئيس أنور السادات من أكثر رؤساء مصر اهتماما بدور أجهزة المخابرات، وكان معجبا بشكل خاص بالمخابرات المركزية الامريكية عن قناعة وإدراك بأهمية دورها كواحدة من قنوات الاتصال مع الإدارات الأمريكية وصانعى القرار فى الكونجرس.. ومع ذلك فإن علاقة السادات بجهاز الـ (C I A) كانت غريبة ومثيرة إلى حد كبير حتى أنها تعد نموذجا للتشابك والتعقيد فى العلاقة بين رئيس دولة كبيرة فى الشرق الاوسط وجهاز استخبارى ضخم له أذرع طويلة وعديدة داخل مصر وخارجها.. ورغم أن جهاز المخابرات المركزية الأمريكية كان يبدو على السطح راضيا عن تعاون السادات مع السياسة الأمريكية واتفاقه مع مصالحها فإن الصورة كانت جد مختلفة تحت الجلد. فمن ناحية كان السادات قادراً فى أوقات كثيرة وغير متوقعة على أن يفاجىء الإدارات الأمريكية بقرارات ومواقف تعجز المخابرات المركزية بكل عملائها وأجهزتها عن رصدها مبكرا أو تفسيرها بوضوح لاحقا. ومن ناحية أخرى لم تكن تقارير الـ (C I A) كلها قصائد شعر فى السادات بل كان بعضها يذهب إلى حد انتقاده والإشارة إلى حالات السخط الشعبى على مواقفه وخاصة خلال أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧.

ومن خلال الصحافة يعرف الناس أسرار أجهزة المخابرات ومايدور بداخلها وحقيقة العمليات الخاصة والعملاء المجهولين الذين يتبعونهم. وغالبا ما تتسرب هذه الأسرار بقيام عميل سابق انشق على الجهاز بنشر تفاصيل العمليات التى كلف وقام بها أو من خلال تسجيل

مسئول كبير اعتزل العمل فى مجال المخابرات وتفرغ لكتابة مذكراته.

ومعظم كتب الجاسوسية الدولية الشهيرة كتبها عملاء أو جواسيس سابقون ومن هذه الكتب كتاب بعنوان (لعبة المخابرات: الصراع السرى للتجسس الدولى) والذى قام بتأليفه الجاسوس السابق نايجل ويست ويدرس مؤلفه حاليا فى ستة اجهزة مخابرات دولية وهى المخابرات المركزية الأمريكية (C I A) والمخابرات السوفيتية (KG B) والمخابرات البريطانية (S I S) بشقيها الداخلى (MIG) والخارجى (M O C) والمخابرات الفرنسية (SDECE) والمخابرات الإسرائيلية (الموساد). ويناقش الكتاب الصراعات السرية التى تدور داخل أجهزة المخابرات فى كل دولة وكذلك مع بعضها البعض. فرغم التعاون المفترض بين أجهزة المخابرات الغربية البريطانية والأمريكية والفرنسية والإسرائيلية إلا أن هذه الاجهزة كانت ترمى إلى تحقيق أهداف خاصة بها وتمثل مصالحها فكانت وجهات النظر المختلفة وبعض العمليات المضادة حتى للمخابرات الحليفة.

ويدرس فى المقابل نشاطات المخابرات السوفيتية لتوجيه الصراع ومحاولاتها إحكام الطوق ومنع تسلل المخابرات الغربية إليها ومحاولاتها اختراق أجهزة المخابرات الغربية ومقدار النجاح والفشل الذى حققته هذه الأجهزة التى يدعى الغرب أن ميزانيتها السنوية تتجاوز ١٠ مليارات دولار. والتى فقدت العديد من جواسيسها. ولكنها فى المقابل حققت إنجازات كبيرة فى صراعها الكبير مع المخابرات الغربية. ويلاحظ ان المخابرات الأمريكية التى تسخر أحدث منتجات التكنولوجيا لخدمة أغراضها التجسسية حققت بدورها نجاحات عديدة وخسرت جولات كبيرة وفشلت فى تحقيق مهمات صعبة.



أحيانا يكون جواسيس الصحافة صحفيين يتجسسون على صحفيين، أو بمعنى آخر صحفيون مزدوجو الولاء لعملهم وجهات أمنية اخرى. يتولون كتابة التقارير ورصد تحركات واتجاهات زملائهم أو رؤسائهم فى الصحف والمجلات مقابل بعض المزايا أو الامتيازات.

وجواسيس الصحف لا يختلفون كثيراً عن غيرهم من الجواسيس. فهم يتلصصون ويتهامسون ويتآمرون على زملائهم وأصدقائهم. وفى كثير من الحالات تكون تقاريرهم خاضعة للأهواء والمصالح الشخصية أكثر من خضوعها للموضوعية والصالح العام!!

وهؤلاء.. منبوذون حتى من أقرب المقربين إليهم. معروفون تفوح رائحتهم من بعد. ويهجرهم الجميع. وهم عادة يفتقدون الموهبة والكفاءة ويلجأون إلى مثل هذه الافعال ليعوضوا فشلهم. وهم - دائما - يبحثون عمن يحميهم أو يساندهم فى أعمالهم الصحفية بطرق أخرى غير صحفية أو مهنية!

ويذكر الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين أنه عندما ذهب إلى اللواء ممدوح سالم وزير الداخلية خلال عهد الرئيس السادات ليبحث معه مشكلته ومشكلة الصحفيين الذين تم تحويلهم للعمل فى هيئة الاستعلامات فى ذلك الوقت. (١)

يقول أحمد بهاء الدين : لا أنسى خلال هذه المقابلة ما قاله لى ممدوح سالم من أن كل التقارير التى تتلقاها أجهزة الأمن ضد الصحفيين يكتبها صحفيون منكم!!

وقلت له: هذا طبيعى فأدق التقارير عن الطلبة لابد ان يكتبها طلبة. وهكذا الشأن فى كل مجال. ونحن نعرف الصحفيين الذين يحترفون كتابة التقارير السرية لاجهزة الأمن ضد زملائهم. ولكنكم لو تحريتم عنهم قبل أن تأخذوا بكلامهم لعرفتم أنهم من أردأ نوعيات الصحفيين الفاشلين المملوءة قلوبهم بالضغينة ضد كل صحفى ناجح.

ورد علىّ ممدوح سالم رداً لا أنساه لطرافته وصدقه معا، ولعلى مضيت فى هذا الاستطراد لكى أذكر هذا الرد بالتحديد: فقد قال لى على الفور: طبعاً ونحن نعرف ذلك. ولكن هل تتوقع من صحفى مستقيم حسن الأخلاق ابن ناس.. وناجح فى عمله.. أن يكتب تقارير للمباحث نظير أجر؟! هات لى عشرة من هؤلاء ولو كانوا من متخرجى جامعات اوكسفورد ويرضون ان يكتبوا تقارير للمباحث وسوف تستغنى المباحث فوراً عن النوعية التى تكتب التقارير عادة!!

واغرقنا فى ضحك طويل!

× × ×

(١) كتاب (محاوراتي مع السادات) أحمد بهاء الدين - دار الهلال .

الفصل السابع

□ جواسيس التطبيع!



■ حرب الجواسيس لا تعترف باتفاقيات السلام ■ ضبط ٢٥ شبكة تجسس اسرائيلية في مصر خلال خمس سنوات ■ مهمة صائدى الجواسيس اكثر صعوبة فى ظل التطبيع واتفاقيات السلام ■ جلب المخدرات وترويج العملات المزورة وتهريب السلاح.. أهم أنشطة شبكات التجسس الاسرائيلية فى مصر ■ ضباط الموساد يقومون بتصوير المناطق الممنوعة ورسم خرائطها خلال زيارتهم ■ مصر تستحوذ علي معظم عمليات الموساد داخل الدول العربي ■ خطة الموساد السرية لفرض التطبيع بين مصر واسرائيل ■ المركز الاكاديمي الاسرائيلي الغطاء الشرعي للاتصال بالباحثين والجامعات المصرية

مصر وإسرائيل..

حالة الحرب أو اللاحرب يمكن أن تنتهى.. نعم!!

توقيع معاهدة سلام يمكن أن تتم .. نعم!!

إجراءات تطبيع يمكن أن يتم الاتفاق عليها.. نعم!!

لقاءات مشتركة سياسية بين الزعماء فى البلدين.. نعم!!

بروتوكولات وصفقات تجارية حكومية مشتركة.. نعم!!

ولكن!!

حرب الجواسيس.. لا تزال مستمرة!

وأجهزة المخابرات .. لا تزال مترصدة.... بل أصبحت أكثر نشاطاً!

عملاء الموساد يتساقطون تباعا واحدا وراء الآخر!

وكل يوم يمر يكتشف المصريون أن التطبيع الرسمى شىء والتطبيع الشعبى شىء آخر!

وأن توقيع اتفاقية سلام لا يعنى انتهاء العداء!

وأن الأوراق والاتفاقيات والبروتوكولات لا تغير ما بداخل النفوس ولا تمنع نشاط اجهزة المخابرات ولا توقف عمليات التجسس!

واكتشف المصريون أن إسرائيل تردد شيئا وتفعل شيئا آخر تماما!

تعلن أنها تتفاوض.. ولكنها فى الحقيقة تعرقل المفاوضات!

تظلم وتقتل وتعتقل وتدعى أنها (المجنى عليها)!

ومنذ عام ١٩٧٩ ومع بداية التطبيع اكتشف المصريون أنه من الأفضل عزل إسرائيل!

لا تطبيع شعبى.. رغم توقيع اتفاقيات التطبيع الحكومية!

لا زيارات ولا سفر.. رغم قوافل السياح الإسرائيليين التى تتوافد على مصر. (١)

لا مفاوضات سلام جديدة إلا بحلول عادلة للأطراف العربية والفلسطينية.

■ ■ ■

منذ تأسيس جهاز المخابرات المصرية فى فترة اوائل الخمسينيات وجهاز الموساد الإسرائيلى- دائما - فى مقدمة الأولويات التى تشغل اهتمامات رجال المخابرات المصرية..

---

(١) الرئيس حسني مبارك نفسه لم يقم بزيارة اسرائيل ولا مرة منذ توليه الرئاسة فى أكتوبر ١٩٨١ رغم الضغوط الإسرائيلية والأمريكية العديدة في هذا المجال !!

وبالطبع الأمر كذلك بالنسبة لرجال الموساد الذين يعتبرون مصر هى مفتاح المنطقة بأكملها وأن التجسس على مصر يغنى عن التجسس على الدول العربية مجتمعة، وأن إثارة القلاقل فى مصر يعنى تهديد الأمة العربية كلها وضياع مفهوم القومية العربية وأحلام الوحدة والتكامل الاقتصادى وحتى السوق العربية المشتركة!

هم يعلمونأن مصر هى قلب العروبة وهى الزعيمة فى المنطقة وأن العرب لن تقوم لهم قائمة بدون مصر ورجالها وقواتها المسلحة!

وهم يعلمون - جيداً - أن مصر لن تتخلى عن دورها العربى والقومى والإفريقى وأن لها كلمتها المسموعة والمحترمة فى الأوساط والمجتمعات الإقليمية والدولية انطلاقا من مواقفها وسياساتها وتاريخها الطويل.

لذلك شبكات التجسس الإسرائيلية ضد مصر لا تهدأ ولا تتوقف!

وتكاد تكون مصر تستحوذ على معظم عمليات التجسس التى يقوم بها الموساد الإسرائيلى فى المنطقة.. ويكفى أن نذكر خلال السنوات العشر الاخيرة فقط أنه تم ضبط أكثر من ٢٥ شبكة تجسس إسرائيلية فى مصر وحدها.. منها ٧ شبكات تم ضبطها خلال العام الأخير (١٩٩٦) وبلغ عدد جواسيس الموساد الذين تم تجنيدهم والدفع بهم داخل البلاد حوالى ٦٤ جاسوسا بنسبة ٧٥٪ مصريين و ٢٥٪ جواسيس إسرائيليين!

ومن كثرة العمليات والعمليات المضادة بين جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وجهاز الامن القومى المصرى طوال السنوات الماضية. أصبحت عمليات التمويه والتخفى والتطوير فى حاجة إلى تغيير مستمر.. ولكن يبقى التفرد والصفات الأساسية المميزة لعمل كل جهاز مهما تغيرت الأساليب أو الشخصيات.

وطوال الـ ٢٥ عاما الماضية لم تضبط أجهزة الأمن المصرية سوى شبكات تجسس كلها إسرائيلية باستثناء حالة واحدة تم ضبطها فى عام ١٩٨٩ لحساب المخابرات الأمريكية!

وقد اندهش البعض من قيام اسرائيل بالتجسس وهى ترفع رايات السلام، ولكن هذه الدهشة لا مبرر لها لأنها تعبر عن السذاجة وعدم فهم قواعد اللعبة التى تحكم تحرك اللاعبين فى غابات السياسة الماكرة التى تحتاج من اللاعب ان تكون لديه قوة الأسود وبطشها ودهاء الثعالب ومكرها.. لأن أجهزة المخابرات والتجسس من بين آلياتها العديدة تختلف عن القوات المسلحة فى عدة أشياء فهى فى حرب دائمة لا تعرف وقتا للسلام أو القتال بعكس القوات المسلحة التى تقاتل وقت الحروب وتتدرب وتستعد وقت السلام علاوة على أن القوانين الدولية تنظم كثيرا من قواعد القتال والأسر والموت. وهو الامر الذى يفتقر إليه رجال

المخابرات الذين اذا سقطوا لا يجدون من يحميهم إلا بعض القواعد التى يتم عليها التفاهم عن طريق الممارسة ومن تحت المائدة. (١)

وبناء على ذلك علينا أن نتوقع أن تقوم إسرائيل سواء وهى تستعد للحرب أو وهى تساعد فى بناء السلام بالتجسس علينا وعلى غيرنا للحصول على المعلومات التى تريدها والتى تكفل لها تحقيق أمنها أو مساعدتها فى اتجاهاتها العدوانية، سواء كانت هذه المعلومات حربية مثل حجم القوات ومن يقودها والقواعد العسكرية ومناطق الحشد والتسليح وكفاءة التدريب والصناعات الحربية أو المدنية مثل المعلومات السياسية والمواصلات والتخزين والنشاط الزراعى والصناعى والتجارى والمفاعلات الذرية ومحطات تحلية المياه وغيرها وبمعنى آخر علينا أن نعتبر كل مساحة الجمهورية مسرحا لنشاط جواسيسها وغرضا تريد أن تستكشفه بصفة دائمة لمعرفة ما هو جديد سواء من ناحية النوايا المستقبلية أو من ناحية ما يجرى من تطور، لأن المعلومات هى بمثابة الضوء الذى ينير الساحة أمام اصحاب القرار حتى يصدروا قراراتهم التى تلائم ما هو قائم وإلا تصبح القرارات كالطلقات الطائشة لا تصيب الأغراض المستهدفة.

وبالتالى فإن الحديث عن السلام أو المجهودات التى تبذل لبنائه لا تحول دون حصول إسرائيل على المعلومات التى تريدها، بل إن رايات السلام تلقى على (صائدى الجواسيس) أو رجال مقاومة التجسس أعباء إضافية لأن فتح الحدود وإجراءات التطبيع وحرية التنقل والعمل وذهاب بعض المصريين إلى إسرائيل والعيش هناك هربا من البطالة وحدوث زيجات مشتركة بينهم تجعل من السهل على أجهزة المخابرات الإسرائيلية بناء قواعد نشاطهم فى يسر وسهولة فهى تيسر وجود الأماكن الآمنة وبناء السواتر اللازمة وتنمية العلاقات المطلوبة وتيسر عمليات التمويل وفتح الحسابات وتغطية التحركات السرية بمظاهر نشاط مكشوفة كالمشروعات المشتركة والمعارض والمحلات التجارية وعمليات التصدير والاستيراد وغيرها. ومعنى ذلك أن زيادة التطبيع تتناسب طرديا مع زيادة الأعباء التى تلقى على صيادى الجواسيس. ولكنها فى نفس الوقت تفتح أمامهم الطريق على الجانب الآخر لتعزيز جهودهم فى الدفاع والمقاومة.

ولاتزال إسرائيل تدير شبكة تجسس فى مصر يخطط لها الموساد وينفذ مخططاتها عملاء تضمهم شبكات منظمة تعمل فى كل اتجاه بدءا من أعمال التجسس وتهريب الآثار والأموال مرورا بشبكات جلب المخدرات وترويج العملات المزورة ثم تهريب السلاح. وكل هذه الجرائم ترتكب تحت ستار التطبيع السياحى الذى صاحب اتفاقية (كامب ديفيد) الموقعة بين مصر

---

(١) أمين هويدي رئيس المخابرات المصرية الأسبق. الأهرام ١٩٩٦/١٢/٧ .

وإسرائيل عام ١٩٧٩ ومنذ ذلك التاريخ وإسرائيل ترسل عصابات موكلة بمهام محددة إلى مصر.. وتقارير سلطات الأمن المصرية أكدتا أن ٨٦٪ من جرائم التهريب وتزوير العملات فى مصر ارتكبها إسرائيليون فى حين بلغت أعداد قضايا المخدرات المتهم فيها إسرائيليون أيضا خلال ١٠ سنوات فقط نحو ٤ آلاف و ٤٥٧ قضية، مما يدل على ذلك اعتراف مصدر إسرائيلى بأن مصر يدخلها نحو ٥٠٠ طن مخدرات سنويا عن طريق إسرائيل.

كما استغل بعض الإسرائيليين السياحة إلى مصر لتنفيذ مخطط تجسس على مصر لزعزعة الاستقرار فيها وإغراق البلاد بالمخدرات والعملات المزيفة. ولأن الإسرائيليين لهم حق بموجب اتفاقية كامب ديفيد فى دخول سيناء بدون جوازات سفر او تأشيرات دخول لمدة اسبوعين أصبحت عملية التسلل إلى داخل البلاد امراً سهلاً. ومن ثم تعددت الحوادث التى خطط لها الموساد. وفى تقرير لمصلحة الأمن العام عن السياحة الإسرائيلية فى مصر كشف عن وقوع ١٣ حالة تسلل من إسرائيل إلى مصر فى العام الماضى فقط. كما ضبطت السلطات المصرية ٥ قضايا جلب مخدرات وهيروين و١٧ حالة ترويج دولارات مزيفة و١٦ حالة تهريب سلاح بواسطة إسرائيليين وفى نفس العام أيضا، وهذه القضايا لا تمثل سوى ١٠٪ من المحاولات الحقيقية التى تمت بالفعل!!



أوراق التحقيق الرسمية تؤكد أن إسرائيل لم تتوقف عن التجسس على مصر. بل إن معدلات التجسس فى تصاعد مستمر وذلك طبقا للقضايا وشبكات التجسس التى يتم كشفها. والتى كان آخرها قضية عزام عزام وقبلها الجاسوسان عبدالملك عبدالمنعم ابن قرية نوسا الغيط وسمير عثمان وكل منهما كان يدير شبكة مستقلة للتجسس وإن كانا يشتركان معا في كونهما رقيبين سابقين فى القوات البحرية بالجيش وشاركوا خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣. كما شارك الجاسوس سمير عثمان فى عملية تدمير المدمرة الإسرائيلية (إيلات).

وخلال اعترافات سمير فى نيابة أمن الدولة امتدح معاملة الإسرائيليين له وأخذ يكرر قائلا: لم أعامل بشكل محترم إلا من الإسرائيليين. واتضح خلال التحقيقات أن الإسرائيليين الذين يمتدحهم الجاسوس هم الذين باعوه وسلموه إلى مصر بمجرد أن شكوا فى أن المخابرات المصرية علمت بأمره. والذى حدث أن الجاسوس سمير تعرض لحادث أثناء الغوص من مصر إلى إسرائيل وارتطمت ساقه بإحدى الصخور. ولما خرج إلى الشاطىء وذهب إلى الجانب الإسرائيلى لعلاج ساقه رصدته وحدات المراقبة المصرية وبادرت إسرائيل بتسليمه إلى مصر لأنه أصبح فى نظرهم ورقة محروقة !

وكانت نيابة أمن الدولة عقب انتهاء التحقيقات مع الجاسوس سمير عثمان قد احالته إلى المدعى العام الاشتراكى لمحاكمته أمام القضاء العسكرى باعتبار أنه من العسكريين السابقين

وأن المعلومات التى أدلى بها معلومات عسكرية. ولكن المدعى العسكرى أعاد أوراق الجاسوس إلى نيابة أمن الدولة مرة أخرى وبرر ذلك بأن المتهم خرج من الخدمة منذ فترة طويلة وأن المعلومات التى أدلى بها للمخابرات الإسرائيلية تتعلق بوحدته البحرية السابقة وأن هذه الوحدة تغير مكانها عدة مرات. وبالتالى لم يعد ما نقله الجاسوس إلى الإسرائيليين يندرج تحت بند الأسرار العسكرية. وبالتالى ينتفى اختصاص القضاء العسكرى بهذه القضية.

وعقب ذلك وجهت النيابة تهمة السعى إلى دولة أجنبية للجاسوس بقصد التخابر حيث يعاقب القانون المتهم على مجرد السعى إلى دولة أجنبية لتقديم معلومات وأسرار ضارة بمصر حتى لو لم يقدم هذا الساعى أية خدمة.. بل حتى لو رفضت الدولة الاجنبية - نفسها - العرض الذى تقدم به.

ومن أشهر قضايا التجسس الاسرائيلية علي مصر - ايضا - قضية فارس صبحي مصراتي وشبكته التي ضبطت في فبراير ١٩٩٢ وكان يتزعم (مصراتي) الشبكة التي تضم ابنته فائقة (١٧ عاما) وابنه (ماجد) وعميل الموساد (دافيد اوفيتس).

ومصراتي يهود يمن اصل عربي ينتمي الي الجالية اليهودية في ليبيا والتي كانت موجودة هناك حتي عام ١٩٤٨ ولم يتبق منها سوي عدد محدود للغاية منهم جو (فارس مصراتي) الذي كان يتمسك بالبقاء في الصحراء الليبية لارتباطه بالحياة البدوية وبلغ عمره حوالي ٩٠ عاما شأنه شأن اليهود الاخرين. وعندما ألقي القبض علي (فارس) زعمت اسرائيل - عندئذ - ان مصراتي يعمل لحساب ليبيا. ولكن لم يلتفت أحد إلى الزعم الاسرائيلي الذي كان مناورة اسرائيلية للهروب من المأزق. وبعد اعتقال (ماجد) ابن فارس مصراتي أثناء محاولة عبور الحدود المصرية الليبية قادما من ليبيا اعترف بأنه يعمل مع والده وشقيقته لحساب الموساد وانه كان يبحث في ليبيا عن بقايا عائلته التي هاجرت منذ فترة طويلة!

كما اعترفت (فائقة مصراتى) بأن ما كانت تسعى إليه هو اصطياد عريس مصرى لتحصل على هوية تمكنها من التنقل باستمرار إلى ليبيا لحين الاستقرار فيها بشكل نهائى. ويتضمن سجل فارس مصراتى العديد من الجرائم والمخالفات التى ارتكبها فى شبابه فى مدينة (رام الله) وإن كان تحول بعد ذلك إلى مجال العمل البحثى وكون علاقات وطيدة مع زعماء الحركة الإسلامية داخل إسرائيل . كما حاول خلال إقامته فى مصر الاتصال بأعضاء جماعة الإخوان المسلمين المنحلة بهدف الانضمام إليهم والاندساس وسطهم إلا أن محاولته اكتشفت وطرد على إثرها من مصر قبل عودته إليها مرة أخرى بعد أكثر من عشر سنوات.

وفى عام ١٩٨٥ ضبطت أجهزة الأمن شبكة تجسس مكونة من ٩ إسرائيليين تابعين لجهاز الموساد جاءوا إلى مصر ضمن فوج سياحى توجه منهم ٤ إلى الاسكندرية و٥ إلى منطقة القناة

وهؤلاء ضبطوا فى مدينة بورفؤاد فى محافظة بورسعيد أثناء تصويرهم لأماكن ممنوعة ورسم خرائط لها وضبطت بحوزتهم مجموعة من الأفلام التصويرية ثم تبين أنهم ضباط فى جهاز المخابرات الإسرائيلى.

وكانت السلطات المصرية قد رفضت بشدة مساعى (إبرهام تامير) مدير الخارجية الإسرائيلية حال زيارته للقاهرة للإفراج عن الجواسيس. وفى أغسطس ١٩٨٦ ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على شبكة أخرى تضم عدداً من العاملين فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة وأمريكيا فى هيئة المعونة الأمريكية وآخر سويديا مقيما فى مصر و٣ يهود مصريين. وكانت هذه الشبكة تستخدم محطة لاسلكية داخل مبنى السفارة الإسرائيلية فى القاهرة وأمكنها - بالفعل - التقاط صور لوحدات من الجيش المصرى أثناء الليل باستخدام أشعة الليزر.

وفى آواخر الثمانينيات ضبط ٤ جواسيس إسرائليين أثناء مرورهم من إحدى نقاط المراقبة الخاصة بقوة حفظ السلام الدولية فى قطاع شرم الشيخ وبحوزتهم ٧ وثائق سفرية و١٩ شريط ميكروفيلم تتضمن معلومات مهمة عن المنشآت العسكرية المصرية. وتبين أنهم يحملون رتبا عسكرية وضمنهم موظف مدنى فى الموساد.

وفى بداية التسعينيات ضبطت شبكة تجسس من السياح الإسرائيليين اثناء زيارتهم لمدينة شرم الشيخ يخططون لدراسة عن مياه سيناء الجوفية ونقلها إلى صحراء النقب وأخذ عينات من التربة لتحليلها تحت ستار ممارسة رياضة الغوص.

وقبل هؤلاء سقطت شبكة التجسس الإسرائيلية الشهيرة بعملية (سوزانا) والتى أصدرت المحكمة العسكرية حكمها بإعدام كل من موسى ليتو مرزوق وشموئيل باخور عازار وبالأشغال الشاقة المؤبدة لفيكتور موين ليفى وفيليب هيرمان ناثازون وبالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما على كل من مارسيل فيكتور رينونينو وروبير نسيم داسا وبالأشغال الشاقة لمدة سبعة أعوام على كل من مائير يوسف زعفران ومائير صموئيل موياحاس. وقد أثار ضبط هذه الشبكة محاولات عديدة من جانب الموساد الإسرائيلى للإفراج عن أعضائها.

ومع تزايد جواسيس إسرائيل فى مصر سواء من تم ضبطهم بالفعل أو من لم يتم ضبطهم أو من ضبطوا وتم تسليمهم لإسرائيل فى صفقات ما يسمى (تبادل الجواسيس) فقد وافق جهاز المخابرات الإسرائيلية - مؤخرا - على ما سمى بالمؤتمر الأول لجواسيس إسرائيل فى الدول العربية. وقد حضر الحفل عدد من الذين عملوا لحساب الموساد فى القاهرة. (١) وخلال الاحتفال أعلنت المخابرات الإسرائيلية عن افتتاح (نادى جواسيس إسرائيل بالقاهرة)

(١) توحيد مجدي . روز اليوسف . ١٩٩٦/١٢/٩ .

وهذا النادى الذى يعد الاول من نوعه للجواسيس فى العالم خصص التليفزيون الإسرائيلى حلقة كاملة للتعريف به فى إطار برنامج بعنوان (حياة كهذه).

فى المؤتمر أقامت المخابرات الإسرائيلية ذكرى وفاة رؤوفين شيلواح الأب الروحى ومؤسس الموساد الذى كان قد أعلن عن تأسيسه من قبل بالقاهرة. وفى سياق الاحتفال عرض جهاز الموساد الإسرائيلى والذى تأسس فى ابريل ١٩٥١ أول فيلم وثائقى لتاريخ المخابرات الإسرائيلية يشرح بالتفصيل قصة إنشاء مؤسسة المخابرات والمهام الخاصة المعروفة باسم (الموساد)، وبعد عرض الفيلم الذى أنتجه مركز تراث المخابرات الإسرائيلية أزاح الموساد الستار عن أول ناد من نوعه بالعالم يتخصص لجواسيس إسرائيل بالقاهرة.

ثم بدأت بعدها المخابرات الإسرائيلية طبقا لسيناريو الاحتفال الرسمى الذى بثه التليفزيون الإسرائيلى كاملا تقريبا فى إحياء ذكرى جواسيس إسرائيل بالقاهرة ممن أعدموا بعد سقوطهم بمصر أو من هؤلاء الذين ماتوا فى إسرائيل. وقام الموساد بتكريم اسم شيلواح مؤسس الجهاز. وكرمت المخابرات الحربية الإسرائيلية عددا آخر من جواسيسها فى القاهرة ومنهم اسم مائير بنيت الشهير بماكس بنيت الذى أقدم على الانتحار فى سجن الاستئناف بالقاهرة فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٤.

وكرم الجهاز اسم مائير شموئيل ميوحاس الذى توفى فى سبتمبر ١٩٩٤ بسويسرا أثناء تنفيذه مهمة لحساب الموساد طلب منه خلالها لقاء رئيس الكاميرون. كما كرم اسم الدكتور موشى ليتو مزروق وشموئيل باخور عازار اللذين أعدما فى سجن باب الخلق بالقاهرة فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٥٥ وحصل اسم جاك ليون توماس الذى أعدم فى مصر فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢ على حقه من التكريم.

أما إبراهام دار الشهير بـ (جون دارلنج) الذى دعته المخابرات الحربية الإسرائيلية فلقد حضر خصيصا من أمريكا وقام بتجنيد عملائه القدامى للمرة الثانية وحضر أعضاء شبكة فضيحة لافون بالقاهرة. ومنهم مارسيل فيكتورينو وروبير نسيم داسا وفيكتور موين ليفى وفيليب هرمان وناثان زون الذين أطلق سراحهم من مصر فى عملية تبادل أسرى كبيرة فى عام ١٩٦٨. وقد ظهر فى احتفال المؤتمر الأول لجواسيس إسرائيل بالدول العربية إريه لوفا الياف الذى قاد عملية تهريب يهود مدينة بورسعيد بمصر فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٦ مستغلا هجوم العدوان الثلاثى على المدينة. وجاء موردخاى كيدار الذى جند فى صيف ١٩٥٦ لكنه لم يسافر للقاهرة. وحضر الحفل رئيف جور اربيه الذى عرف من قبل بجاسوس الشمانيا، وجاءت بعدهم انشراح على موسى من مواليد المنيا عام ١٩٣٧ أو المعروفة حاليا باسم دينا بنت دافيد ومعها ابنها رافى بن دافيد او نبيل ابراهيم سعيد شاهين وهو من مواليد القاهرة ١٩٥٢.

وانشراح أو دينا هـى زوجة الجاسوس إبراهيم سعيد الذى شنق فى سجن الاستئناف فى مصر عام ١٩٧٧ والتى افرج عنها الرئيس أنور السادات بعد كامب ديفيد وسمح لها باللجوء السياسى إلى تل ابيب. حيث غيرت اسمها وتحولت إلى اليهودية.

ويضم النادى - مع كل هؤلاء - عددا كبيرا من جواسيس إسرائيل فـى الدول العربية منهم المشاهير مثل دافيد قمحى ويعقوب نمرودى وشيمعون سوميخ ابن عائلة سوميخ اليهودية العراقية الشهيرة وجاسوس اسرائيل الكبير ببغداد وآخرون. وقام البرنامج الاسرائيلى (حياة كهذه) بتشفير صور وجوههم حتى لا يتم التعرف عليهم. وربما هذا لأن قضاياهم مازالت حديثة وممنوع النشر فيها أو أنهم على أقرب تقدير من ضباط المخابرات العاملين حتى الآن بالخدمة.

وبعد الاحتفال الذى نقله البرنامج تكلم كبار جواسيس إسرائيل بالقاهرة ومنهم أبطال عملية (سوزانا) ومعهم رؤساء المخابرات الإسرائيلية فى فترة الخمسينيات ممن عايشوا وهم فى الخدمة سقوط الحاضرين بالمؤتمر فى أيدى المخابرات المصرية. وتكلم إيسار هارائيل الشهير بإيسار الصليبى وهو رئيس الموساد من ١٩ سبتمبر ١٩٥٢ الى ٢٥ مارس ١٩٦٣ ومن بعده تكلم مائير عاميت رئيس الجهاز من مارس ٦٣ إلى سبتمبر ١٩٦٨. أما بنيامين جبيلى رئيس المخابرات الحربية الإسرائيلية من ١٩٥٠ الى ١٩٥٥ وهو رئيس الجهاز الذى شهد عملية فشل وسقوط أعضاء شبكة (سوزانا) بمصر فقد كرموا اسمه لأنه توفى فى عام ١٩٩٤ ونقل البرنامج مراسم إضافة الأسماء الجديدة لجواسيس إسرائيل بالدول العربية إلى النصب التذكارى لعملاء المخابرات الإسرائيلية الذين سقطوا أو ماتوا بالخدمة وهو النصب التذكارى الموجود بتل ابيب بداخل مقر الموساد والذى سجلت عليه أسماء ٣٦١ عميلا كتب أنهم سقطوا بالدول العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن!

وفى احتفال تأسيس نادى الموساد حكى ضابط المخابرات الحربية الشهير مردخاى بن تسور قائد الوحدة ١٣١ عمليات خاصة الملحقة بالمخابرات الحربية قصة اختياره لجون دارلنج ليقوم بتكوين شبكة عملاء لاسرائيل بالقاهرة والإسكندرية. وكشف بن تسور عن عدم اقتناعه المبدئى بجون دارلنج لدى اختياره للعملية لانه معروف عنه الفساد وتجاوز التعليمات واستغلال الأجهزة التى يعمل لحسابها لمصالحه الشخصية فى القيام بعمليات تهريب المخدرات والعملة وخلافه.

واكد بن تسور على أن سبب اختياره لدارلنج هو إجادته لعدة لغات وخبرته بالدخول والخروج إلى مصر وهيئته الشرقية لأنه حفيد أسرة يمنية من عدن ولكونه يحمل الجنسية البريطانية، فقد دخل دارلنج بسهولة كممثل لشركة بريطانية تعمل فى مجال الإلكترونيات بالقاهرة. وكشف دارلنج عن سبب اختياره لاسمه الحركى (دارلنج) لكى يتخفى وراءه والسبب

كان لوجود ضابط بريطانى كبير بمصر يحمل نفس اسم عائلة (دارلنج) وقد بلغ به أن أقنع هذا الضابط البريطانى بوجود علاقة قرابة بينهما. وحكى دارلنج عن بداية اختياره لأعضاء شبكة جواسيس عملية (سوزانا) وأكد على أن القصة كلها بدأت بعد تعرفه على مارسيل فيكتورينو التى كانت على علاقة بعدد كبير من الضباط الإنجليز وكانت تعرف معظم شباب يهود القاهرة والإسكندرية. أما موضوع سقوط الشبكة بعد ذلك فقد أكد دارلنج أنه لا علاقة له بفشلهم لأنه ترك قيادة الشبكة فى ديسمبر ١٩٥٣ للضابط إفرى إلحاد.

وتضم قائمة جواسيس الموساد فى مصر بعض الأسماء اللامعة فى عالم الجاسوسية منها مارسيل نينو (٦٦ عاما) والتى اتهمت دارلنج بأنه ضحك عليها باسم الحب واستغلها فى تجنيد بقية اعضاء شبكة عملية (سوزانا). وهناك روبير نسيم داسا (٧٤ سنة) والذى قام بتفجير أكبر عدد من الأهداف التى وضعتها إسرائيل فى مصر ضمن شبكة عملية (لافون). وكان داسا قد حكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما لكنه خرج فى عام ١٩٦٨ مع بقية أفراد الشبكة وعمل بعد عودته لإسرائيل موظفا فى بلدية تل أبيب حتى خرج على المعاش.

أما فيكتور موين ليفى (٦٣ عاما) فقد حكم عليه بالسجن المؤبد فى مصر ولكن تم ترحيله لإسرائيل مع فيليب ناثان (٦٣ عاما) وهو المسئول فى نظر مجموعة عملية (سوزانا) عن سقوطهم فى قبضة أجهزة الأمن المصرية وتضم الشبكة أيضا مائير شموئيل ميوحاس وهو الوحيد من أعضاء هذه العملية الذى ظل يخدم الموساد بعد خروجهم من مصر فى عام ١٩٦٨، حيث كان يعمل فى سويسرا فى مهمات خاصة لحساب الموساد وهو من أغنى جواسيس إسرائيل ممن بقوا على قيد الحياة ولكنه مرض فجأة ودخل إلى مستشفى خاص فى جنيف حيث مات به فى ٣ أكتوبر ١٩٩٤ عن عمر يناهز التاسعة والستين.

ومن الأسماء اللامعة فى الموساد أيضا (ماكس بنيت) الذى ضبط فى فضيحة سقوط ضباط مخابرات إسرائيل فى مصر خلال عام ١٩٥٤ ولكنه انتحر بعد ذلك فى سجنه يوم ٢١ ديسمبر من نفس العام وقد تسلمته السفارة الالمانية كجثة - فى ذلك الوقت - باعتباره ألمانى الجنسية وتم نقله إلى إيطاليا لدفنه بناء على طلب أسرته. وفى عام ١٩٥٩ نقلت رفات (ماكس) سرا إلى إسرائيل حيث دفن فى المكان الذى نقل إليه جثمان كل من موسى لينو ومرزوق وشموئيل باخور عازار بعد ذلك بالقدس.



وتعتبر أكبر عمليات تغيرات داخل جهاز الموساد تمت عقب حادث اغتيال رئيس الوزراء الاسرائيلى الأسبق إسحق رابين برصاص متطرف يهودى. حيث قدم رئيس الأمن الداخلى (الشباك) استقالته لإخفاق رجاله فى حماية رابين. وكان رئيس هيئة الأركان أمنون شاحاك

قد استبعد ذلك باستبدال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أورى مساغى بالجنرال موشى يعلون وبالتالى كان من اللازم على شيمون بيريز - الذى تولى رئاسة الوزارة بعد وفاة رابين - أن يقوم بتعيين رئيس جديد للموساد وهو الجهاز المكلف بتنفيذ العمليات الخاصة فى الخارج خصوصا فى تلك الدول التى لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إرائيل. حيث اتضح فشل الموساد خلال السنوات الاخيرة فى جمع المعلومات (وهى مهمته الأساسية إلى جانب تنفيذ بعض عمليات الاغتيال) وبالتحديد حيث عجز رجاله عن توقع اجتياح العراق للكويت.

وفى ذلك الوقت (١) لم يجد شيمون بيريز رجلا قادرا على إعادة الهيبة إلى الموساد سوى الجنرال دانى يتوم. فهذا العسكرى المتخصص فى الفيزياء وعلوم الحاسوب هو خير من سيتلافى التخلف الذى يعانى منه جهاز المخابرات الخارجية فى ملاحقة ثورة المعلومات فى العالم.

لقد جرت العادة ألا تكشف إسرائيل أسماء رؤساء الأجهزة الأمنية وألا تسقط الحجاب عن وجوههم إلا بعد مغادرتهم هذه المناصب لكن هذه المرة كشفت إسرائيل عن شخصية رئيس أكبر جهاز أمنى لها بدون تحفظات وعلى استحياء، فما هو السر وراء هذا التغير المفاجىء فى السياسة الأمنية الإسرائيلية ؟!

المعلومات المؤكدة لدينا تشير إلى أن السر يكمن فى شخصية دانى يتوم الرئيس الجديد للموساد.. فمن هو دانى يتوم ؟!

ولد «يتوم» فى عام ١٩٤٥ لأب يهودى متدين هاجر من رومانيا إلى فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية. وافتتح حانوتا لبيع الأسماك فى نتانيا. وفى هذه المدينة البحرية ولد دانى الذى اكتشف منذ دراسته الابتدائية تفوقه الملحوظ فى الرياضيات والعلوم. ولعل الاهتمام الكبير الذى أبداه بائع السمك المهاجر بولده المتفوق هو الذى رسم منذ فترة مبكرة الملامح المستقبلية لذلك التلميذ الطويل القامة الذى كان لا يرفع رأسه عن كتب المدرسة إلا لممارسة الرياضة. وقد حافظ يتوم على لياقته البدنية دائما واعتاد جيرانه على رؤيته يهرول على شاطىء البحر فى ساعة مبكرة من كل صباح.

وعندما انهى دانى المدرسة الثانوية تردد بين دراسة الطب او الالتحاق بالقوات المسلحة، ففى دولة مثل إسرائيل يكتسب الجيش جاذبية خاصة لأنه عصب الحياة والسبيل إلى ألمع المناصب. وحسم تردده فى النهاية لصالح الخدمة الدائمة فى الجيش وانضم إليه فى عام ١٩٦٣ مختارا سلاح القوة المختارة فى سلاح المظلين. وفى الوقت ذاته التحق بالجامعة العبرية

---

(١) جريدة الحياة اللندنية . ١٦ يونية ١٩٩٦ .

فى القدس لدراسة الرياضيات والفيزياء والكمبيوتر ويعتبر الوحيد بين كبار الضباط الإسرائيليين الذى اختار دراسة علوم لم تكن مطلوبة منه فى تكوينه العسكرى.

وبعد تسع سنوات من الخدمة والدراسة تدرج دانى إلى أن أصبح نائبا لإيهود باراك قائد شعبة هيئة الأركان التى تعتبر الطريق إلى رئاسة تلك الهيئة، واعتاد اصدقاؤه فى الشعبة أن يقولوا إن (باراك) كان صاحب الأفكار اللامعة، أما دانى فهو منفذها. وجنبا إلى جنب قام باراك ودانى بتنفيذ الهجوم على مطار بيروت عدة مرات كما قاما سويا بإنقاذ ركاب طائرة «سابينا» التى اختطفها الفدائيون. وعندما انفصل دانى عن باراك وانتقل إلى قوات الدروع أصر على أن يبدأ من الصغر فأصبح قائد سرية ثم قائد كتيبة ودخلت كتيبته تلك حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقاتل رجالها على الضفة الغربية للقناة ولم يشارك دانى فى عملية الليطانى فى عام ١٩٧٨ لأنه كان فى بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لكن عند عودته تم تعيينه رئيسا لوحدة الأبحاث والتطوير فى وزارة الدفاع الإسرائيلية.

وفى عام ١٩٨٣ عندما استدعى موشى أرينز سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة ليخلف ارييل شارون فى وزارة الدفاع اختار دانى مستشارا عسكريا له ووجدا لغة مشتركة جعلتهما متفاهمين تماما، فقد ساعد المستشار وزيره الذى لم يكن كثير الإحاطة بشئون الجيش وفى عام ١٩٨٧ أصبح دانى رئيسا لشعبة التخطيط فى القيادة العامة وفى ١٩٩١ تم تعيينه قائداً للمنطقة الوسطى بتوصية من رئيس هيئة الأركان انذاك دان شمرون أما ايهودا باراك الذى كان نائباً لشمرون فلم يتحمس لذلك التعيين.

وخلال حياته اعتاد سوء الحظ. حيث كان سيعين قائداً فى عام ١٩٨٩ للمنطقة الوسطى ولكن رابين فضل عليه الجنرال إسحق مردخاى ثم بدأ دانى يضع عينيه على رئاسة الاستخبارات العسكرية لكن اورمى ساغى فاز بالمنصب وفى ١٩٩٠ عندما سعى لأن يصبح قائداً لمنطقة الشمال جعلوه قائداً للمنطقة الوسطى ونقلوا إسحق مردخاى قائداً للشمال. ولكن ظل دانى يحاول طوال فترة خدمته التى استمرت أكثر من ٣٠ عاما على أن يبنى لنفسه سمعة جيدة وبالفعل فإن زملاءه يذكرون أنه كان مستقيما كالمسطرة ولكن الحقيقة على عكس ذلك.

فى صيف ١٩٩٢ وخلال الانتفاضة الفلسطينية سقط أحد عناصر (الفهود السود) قتيلا فى الضفة الغربية على يد قوات الاحتلال، يومها منع دانى عائلة الضحية الفلسطينى من دفنه فى قريته. وهو الأمر الذى آثار غضب السكان والقادة المحليين وهدد فيصل الحسينى وحنان عشراوى بعقد مؤتمر صحفى يكشفان فيه أن إسرائيل تخاف حتى من الموتى الفلسطينيين، وانتهت القضية بتدخل بعض الوزراء لدى رابين الذى سمح للعائلة بدفن ابنها فى قريته خلافا لتعليمات دانى.

كما أشرف دانى على عمل وحدتى (المستعربين) التى تم تشكيلهما لضرب شباب الانتفاضة، وقد وسع من صلاحيات الجنود فى إطلاق النار حتى لو لم تكن حياتهم مهددة فعلا كما تقضى التعليمات كما أنه أقر بحق الجندى الإسرائيلى فى إطلاق النار على أى فلسطينى يلبس قناعا من دون انذار أو مطالبة بالاستعلام. وبعد توقيع اتفاقية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين أصبح دانى ملحقا عسكريا لدى رئيس الوزراء الإسرائيلى واحتفظ بمنصبه حتى تم تعيينه رئيسا لجهاز الاستخبارات للمهمات الخاصة الشهير بالموساد، وبهذا أصبح سابع رئيس فى تاريخ هذا الجهاز الذى تزداد مسئولياته وتتعدد فى ظل تولى نتانياهو المهووس بالأمن رئاسة الوزراء فى إسرائيل!!

وقد فجر تعيين دانى صراعات كثيرة داخل جهاز الموساد بينه وبين بعض كبار الضباط الذين يرون أنهم الأحق لتولى هذا المنصب. كما يرفض الآخرون أن يتم تعيين رئيس لهم من خارج الجهاز، وقد سبق أن حدثت أزمة مماثلة فى عام ١٩٨٢ عندما قام بعض المسئولين الكبار فى الموساد بإصدار تعليماتهم باغتيال اللواء بوكنائل آدم اللواء بالجيش الإسرائيلى بسبب معارضتهم لتعيينه رئيسا للموساد وقد تم تنفيذ العملية من جانب بعض رجال المدفعية الإسرائيلية الذين قصفوا المنزل الذى كان يقيم فيه. (١)



منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد واهتمام إسرائيل الأول فى علاقتها مع مصر هو التطبيع. وقد حدث بالفعل تطبيع من جانب إسرائيل تمثل فى وفود السياح الإسرائيليين الذين يزورن مصر كل عام. حتى أن عددهم طبقا لتقديرات أحد الباحثين فى جامعة حيفا والتى نشرتها جريدة (دافار) الإسرائيلية بحوالى ٢,٥ مليون سائح سافروا من إسرائيل إلى مصر خلال الفترة من ٧٩ حتى ١٩٩٦ أى مايزيد على نصف سكان إسرائيل.

وفى المقابل معدلات سفر المصريين إلى إسرائيل منخفضة إلى أدنى حد وهى لا تتعدى زيارات بعض وفود رجال الأعمال أو بعض الشباب الذين جذبتهم الأحلام المزيفة والوعود الخادعة لزيارة إسرائيل. وحتى الزيارات الدينية التى يقوم بها الأقباط لكنيسة القيامة والآثار المسيحية فى القدس انخفضت بشكل كبير بعد قرار البابا شنودة بمنع زيارة القدس ورفض التطبيع مع إسرائيل إلا بعد عودة الحقوق العربية والفلسطينية كاملة.

ولكل ذلك تحاول إسرائيل إغراء الباحثين والعلماء المصريين للسفر إليها بهدف استغلالهم فى الدعاية لتجميل وجهها القبيح وتحسين صورتها العدوانية ويعتبر المركز الأكاديمى

---

(١) كشف هذه الواقعة عميل سابق للموساد يدعي هواري منشة والذي قام بتأليف كتاب بعنوان (أرباح الحرب) يفضح فيه الموساد وسياسة تل أبيب بعد اختلافه معهم.

الإسرائيلى بالقاهرة الذى تم افتتاحه فى نهاية الثمانينيات - الغطاء الشرعى للاتصال بالباحثين والجامعات المصرية عن طريق إغراء عدد من المصريين للعمل معهم ومساعدتهم فى إجراء الاتصالات ورغم رفض جميع الجامعات والأساتذة لأى تعاون أو حتى مقابلات أو مشاركة فى المحاضرات. إلا أن الحلقة الضعيفة التى يستغلها المركز - حاليا - هى الطلاب الدارسون للغة العبرية فى الجامعات المصرية، خاصة أن معظم هؤلاء الطلاب نشأوا فى ظل معاهدة السلام ولم يعايشوا الظروف الصعبة التى عاشتها مصر منذ قيام الدولة الإسرائيلية. ومع أن كل ما يقدمه المركز الأكاديمى للطلاب عبارة عن الصحف العبرية وبعض المؤلفات المختارة بعناية لاستقطاب وغسيل مخ الطلاب إضافة إلى توزيع الهدايا التذكارية على بعضهم خاصة المترددين بصفة دائمة ويطلق عليهم المسئولون بالمركز (أصدقاء إسرائيل)، وهذه الهدايا تكون عبارة عن أطباق تحمل صورة لمدينة القدس العربية مكتوبا عليها بالعبرية (أورشليم) .

ورغم أن أول محاضرة يتلقاها الطلاب الدارسون للغة العبرية بجامعة عين شمس تتركز حول التحذير من توجههم للمركز الأكاديمى الإسرائيلى ومخاطر ذلك على مستقبلهم بعد التخرج. ولكن مع تزايد عدد الدارسين للغة العبرية والذى بلغ أكثر من ٤٠٠ طالب فى جامعة عين شمس سنويا فإن الأمر الخطير يتعلق بهؤلاء الشباب قليلى الخبرة والذى يرجع لرغبتهم الأساسية فى تعلم ودراسة اللغة العبرية هى العمل بالسياحة والكسب. بينما كان طلاب هذا القسم فى مرحلة الستينيات يدرسون العبرية باعتبارها لغة العدو، وكان يتم توزيع خريجى قسم اللغة العبرية على القوات المسلحة فى الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ بمجموعات من الخريجين المقاتلين الذين قاموا بدور بارز فى حرب الاستنزاف ونصر أكتوبر حيث كانوا مكلفين بالتنصت والتجسس على الأوامر وتحركات قوات العدو ضمن فرق الاستطلاع العسكرية.

وليس المركز الأكاديمى الإسرائيلى وحده الذى يحاول استقطاب المصريين، ولكن أصبحت السفارة الإسرائيلية بالقاهرة - أيضا - مركزا نشطاً لمد أجهزة الاستخبارات بالمعلومات التى تريد الحصول عليها من خلال نظام حديث للتجسس. حيث تم تجهيز السفارة الإسرائيلية مؤخراً بكاميرات تثبت على سطح السفارة كالتى تستخدمها إسرائيل فى مراكز الانذار المبكر على هضبة الجولان. ويمنح هذا النظام للسفير الإسرائيلى حماية رقابية تليفزيونية لصيقة بموكبه فى حيز طولى يصل إلى ٢٠ كيلو مترا طالما كانت المبانى المحيطة بالسفارة لا تمنع رؤية عدسة الكاميرات وبوضوح صورة من مساحة متر إلى ٨ امتار بعيداً عن العين البشرية تقوم الكاميرات مثلا بتصوير شخص يقف على بعد ٢٠ كيلو مترا وهى تقرب صورته لتصبح الصورة وكأننا نراها بالعين المجردة تقف على بعد ٨ أمتار فقط.

■ ■ ■

وهكذا..

تحاول إسرائيل الترويج أن لديها أفضل المراكز الطبية للعلاج على مستوى عالمى متقدم ومستعدة لاستقبال المرضى المصريين !!

وأن لديها العديد من فرص العمل المفتوحة أمام الباحثين عن فرص عمل فى الخارج وتحقيق أحلامهم الوردية !!

وأن لديهاجامعات مفتوحة للدراسة وإعطاء الشهادات ومنح الدرجات العلمية وتعطى حوافز للبعثات الدراسية !!

وأنها ترحب برجال الأعمال المصريين وتقدم لهم أفضل الفرص الاستثمارية وصفقات الاستيراد والتصدير !

وأنها تعطى مزايا وتسهيلات عديدة لسفر الرحلات والأفواج السياحية المصرية وبخاصة الزيارات الدينية للأماكن المقدسة فى القدس !!

وهكذا..

تحاول إسرائيل - أيضا - الادعاء بأنها دولة ديمقراطية تحترم القانون وتعطى الحرية للمعارضين. ولكنها تمارس القمع وانتهاك حقوق الإنسان يوميا ضد الفلسطينيين !!

وتحاول الترويج بأنها دولة علمانية تحترم الأديان ولكنها شديدة التعصب لمعتقداتها اليهودية حتى ضد الإسرائيليين أنفسهم !! (١)

ولكن..

وكما يقولون فإنه من السهل أن تخدع البعض. ولكن من الصعب أن تخدع الكل كل الوقت!!

وكفى !!

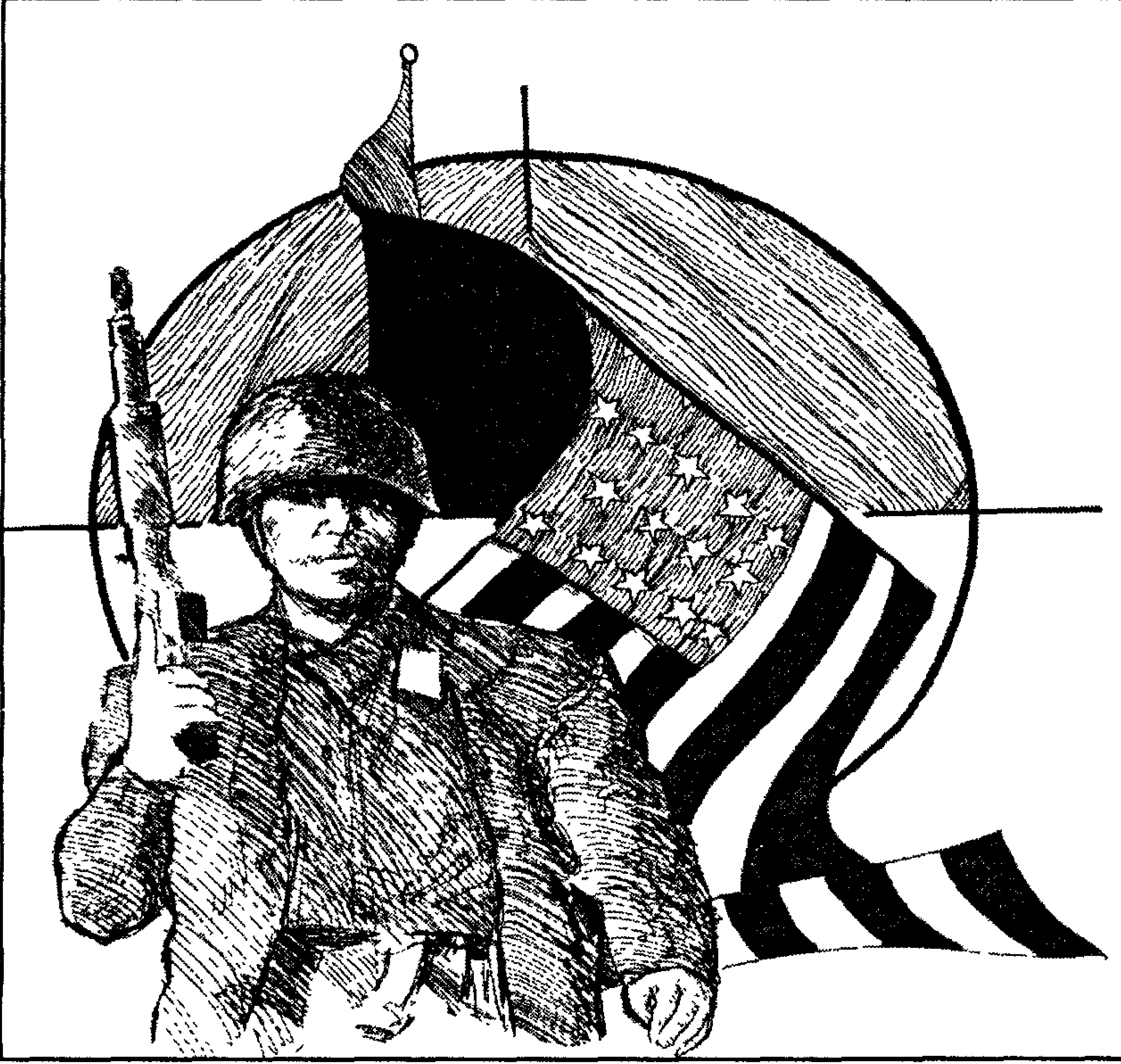
× × ×

---

(١) تبذل اسرائيل - حاليا مساعي لتهجير ٣ آلاف يهودى تحولوا إلى الديانة المسيحية على أن يتم احضار ٣ آلاف أثيوبى يهودى يعيشون فى مخيمات مؤقتة في أديس أبابا إلى إسرائيل.

الفصل الثامن

❑ جاسوس أمريكا فى مصر؟



■ وقائع قضية تجسس أمركية ضد المصالح المصرية■ المخابرات الأمريكية تخطط لإرسال أحد مندوبيها للإشراف على شبكة تجسس فى القاهرة■ دورات تدريبية فى أعمال التجسس لعميل المخابرات الأمريكية فى واشنطن■ اختيار طالب بكلية الطب يحمل جنسية مزدوجة لتجنيده لحساب الـ سى أى إيه■ تخصيص ميزانية أمريكية للإنفاق على أوضاع الدول الحليفة■ أدق بيانات الاقتصاد المصرى تصدرها تقارير هيئة المعونة والسفارة الأمريكية■ الولايات المتحدة تبحث سرا الموقف تجاه جماعات الإسلام السياسى فى مصر■ المخابرات الأمريكية تكلف عملائها بجمع بيانات عن ارتفاع الأسعار ومشاكل البطالة والجماعات المتطرفة

هذه القضية لم يكن يتوقعها أحد!!

لا الحكومة.. ولا الشعب.. ولا أجهزة الأمن والمخابرات.

ولم يعرف أحد سببها ولا دوافعها ولا من المستهدف منها؟!

كانت مجرد قضية جاسوسية مبهمة.. أخفت أكثر مما كشفت وألقت بالأسئلة أكثر مما طرحت من أجوبة. وتركت خلفها سحابة من الغيوم مازالت ظلالها ممتدة على علاقة خاصة بين دولتين لم يكن بينهما ما يدعو إلى التجسس أو اللعب خلف الستار!!



فى صيف عام ١٩٨٨ كانت العلاقات بين مصر وأمريكا تبدو على أحسن مايكون.. زيارات رئاسية على أعلى مستوى تتم بين المسئولين فى كلتا الدولتين.. وأمريكا تعلن مساندتها للاقتصاد المصرى والتزامها بتقديم برنامج المساعدات الأمريكية المخصصة لمصر متطلعة لتعاون أكثر وأكثر.. ومصر تؤيد الدور الأمريكى فى حل النزاع العربى - الإسرائيلى فى منطقة الشرق الاوسط.. وتؤكد متانة العلاقات المصرية - الأمريكية وتناميها بشكل مستمر!

وسط هذا المناخ المتناغم من علاقات الصداقة بين البلدين.. اكتشفت مصر قضية تجسس أمريكية ضد المصالح المصرية!!!

واستقبل الناس الخبر بدهشة بالغة.. وبدأ كل شخص يردد بينه وبين نفسه ويسأل الآخرين: لماذا تتجسس أمريكا علينا؟!

ورغم سذاجة السؤال: إلا أن أحداً - فى ذلك الوقت - لم يستطع أن يقدم تفسيراً واضحا لما حدث؟!

لكن الوقائع السابقة واللاحقة كشفت الأسباب الحقيقية والدوافع وراء عملية المخابرات الأمريكية وتجنيد جواسيس لها فى مصر.

والولايات المتحدة الأمريكية مثلها مثل أية دولة عظمى لا يهمها سوى تحقيق مصالحها مهما كانت السبل أو المبررات التى تتخذها أو السياسات التى تنتهجها لتحقيق هذا الهدف!!

وهى دائما مشغولة بأوضاع منطقة الشرق الأوسط.. تسعى لتشجيع الأطراف المتنازعة للتفاوض وتبذل قصارى جهدها لتحقيق السلام وتقدم المساعدات والمعونات لضمان تحقيق سياساتها فى المنطقة المتوترة على خريطة العالم.

ومصر- بالطبع - تنال جانباً كبيراً من اهتمام الدوائر الأمريكية.. فهى كما أنها حريصة على توطيد علاقتها بها.. فهى تريد الاطمئنان إلى مستقبل الأوضاع الداخلية التى قد

تنعكس على السياسات الخارجية.. وتريد أمريكا أن تعرف بطريقتها الخاصة حقيقة الموقف بالنسبة لجماعات الإسلام السياسى أو ما يطلق عليها بجماعة الأخوان المسلمين أو التنظيمات المتطرفة مثل الجماعات الإسلامية.

كانت أخبار حوادث الارهاب فى مصر تتصدر الصفحات الأولى فى كبريات الصحف الأمريكية ووكالات الأنباء العالمية.. وبدأ المحللون الأمريكان فى رصد الظاهرة والتعليق عليها وتقديم المقترحات الواجب على الادارة الأمريكية اتخاذها حيال المد الإسلامى المتشدد فى مصر كما وصفته تعليقات وسائل الإعلام الأمريكية!!

أرادت الإدارة الأمريكية الحصول على كل المعلومات اللازمة عن ما يطلق عليه (الجماعات الإسلامية فى مصر) سواء كانت هذه المعلومات تصل إليها عن طريق إعلامى من خلال الصحف والمجلات وما تبثه الوكالات والاذاعات أو عن طريق دبلوماسى من خلال السفارة الأمريكية بالقاهرة أو سفاراتها الأخرى فى بعض الدول العربية أو عن طريق سياسى من خلال اللقاءات المشتركة والمتبادلة بين المسئولين المصريين والأمريكيين أو عن طريق اخر خاص تشرف عليه وكالة المخابرات المركزية!

كانت المعلومات المطلوبة كلها تتركز حول نشاط الجماعات الإسلامية وحوادث الإرهاب وتتلخص فى الآتى:

- من هم عناصر هذه الجماعات بالتحديد؟
- من هو زعيمهم؟ ومن هم أهم رموز هذا التيار فى مصر؟
- ما هو حجم هذه الجماعات وماهى أفكارهم ومبادئهم؟
- وهل تلقى هذه الجماعات قبولا بين فئات الشعب المصرى؟
- ولماذا لم تتمكن الحكومة المصرية من القضاء عليهم حتى الآن؟
- وكيف يتم تمويل هذه الجماعات؟! ومن الذى يخطط لهم؟
- وما هى الاهداف التى يسعون إلى تحقيقها؟
- وهل وراء هذه الجماعات قوى أخرى خارجية؟ ومن تكون؟
- وماذا تريد هذه القوى الخارجية إذن؟
- وما هى فرص وصول هذه الجماعات إلى الحكم فى مصر؟
- وما هو وضع الأقباط المصريين فى هذه الحالة؟
- وما السياسة التى ستنتهجها هذه الجماعات تجاه الولايات المتحدة؟

- وهل يمكن إقامة جسور علاقات أمريكية مع هذه الجماعات أو أحد زعمائها؟

- وما هى وسائل الوقاية اللازمة لتأمين المصالح الأمريكية فى ظل الاحتمالات المختلفة فى الفترة المقبلة؟

وكان هناك اكثر من مائة علامة استفهام مفتوحة تنتظر الإجابة وكانت أمريكا - كعادتها - لا تقبل الانتظار للتعامل مع ردود الأفعال المطروحة أمامها.. بل كانت تعمل حسابا لكل صغيرة وكبيرة يمكن أن تهدد مصالحها، ليس - فقط - فى الوقت الراهن بل حتى فى المستقبل القريب!!

وهذا ليس مستغربا على أمريكا التى تخصص ميزانية مستقلة للإنفاق على البحوث والدراسات وإعداد التحليلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على العديد من دول العالم التى ترى أن تحالفاتها أو علاقاتها معها تحقق المصالح الأمريكية. ولذلك فإنه كثيرا ما نجد أن أفضل الدراسات المتاحة عن مشاكل مصر قامت بها دول أخرى أجنبية أو أمريكية. وأدق بيانات وأوضح إحصائيات تنشر عن الاقتصاد المصرى تصدرها تقارير السفارة الأمريكية أو هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة.

بعد كل ذلك كان من الطبيعى أن تقوم المخابرات الأمريكية بتجنيد عملاء لها فى القاهرة!!

وفى الوقت الذى صدرت فيه التعليمات للسفارة الأمريكية بالقاهرة فى اتخاذ قرارها بدعوة بعض رموز جماعة الإخوان المسلمين - المحظور نشاطها - وبعض عناصر الجماعات الإسلامية للتفاوض بمقر السفارة كانت عناصر أخرى من جهاز المخابرات الأمريكية (C I A) فى واشنطن تخطط لإرسال أحد مندوبيها إلى القاهرة للإشراف على شبكة التجسس الأمريكية التى تم تجنيد عناصرها بهدف تقديم المعلومات السرية حول حقيقة تنامى نشاط الجماعات الإرهابية فى مصر!!

وبالفعل وقع الاختيار على شاب مصرى أمريكى يحمل جنسية مزدوجة مقيم بالقاهرة ينتمى لعائلة قبطية يدرس بكلية الطب يسافر كثيرا إلى أمريكا لزيارة اسرته التى هاجرت جميعا بعد حصولهم على الجنسية الامريكية.

فما هى قصة هذا الجاسوس؟!!

■ ■ ■

فى محكمة أمن الدولة العليا بمنطقة باب الخلق ووسط إجراءات أمن مشددة توافد عدد كبير من وكالات الأنباء ومندوبى الصحف المصرية والأجنبية فى شبه مظاهرة إعلامية لتغطية وقائع محاكمة الجاسوس الأمريكى فى مصر.

كان سامى يوسف ابراهيم المتهم بالتخابر لحساب المخابرات الأمريكية يجلس داخل القفص الحديدى بقاعة المحكمة وحوله عدد من الحراس وضباط الأمن وقد حضرت جلسة محاكمته واقتربت منه ووجدته شاباً فى العقد الثالث من عمره نحيف ، طويل ، يرتدى بنطلون جينز ازرق وفانلة تى شيرت بيضاء وحذاء كوتشى ويلبس نظارة طبية سميكة.. كانت حركته سريعة داخل القفص فهو يتكلم مع محاميه وسرعان ما يجرى للجانب الآخر ليتحدث مع أحد اقاربه.. وقد حضرت والدته من أمريكا لمشاهدته وظلت طوال الجلسة تتحدث معه بالإنجليزية وتطمئنه بإشارات خاصة بيديها.

وقبل بداية الجلسة التقيت بالجاسوس ووجهت حديثى إليه قائلا: هل هناك شيء تريد أن تتحدث عنه؟!

اجاب بلهفة على الفور: الموضوع ده كله لا علاقة لى به.. وهو يتعلق بطبيعة عمل جهاز المخابرات المصرية.. حيث يريدون أن يقوموا بعملية تبادل مع جهاز المخابرات الأمريكية للحصول من خلالها على سجين مصرى هناك يدعى (عبدالقادر حلمى) (١) وبالطبع أنا سوف أكون المقابل فى هذه الصفقة حتى تتم العملية وهى يطلق عليها فى أجهزة المخابرات عملية تبادل الجواسيس.

وأسأل: لكن أنت متهم بالتخابر مع أمريكا وإرسال معلومات سرية عن مصر؟

يرد الجاسوس:كل الموضوع إننى كنت أقوم بمراسلة جريدة عربية فى أمريكا تدعى (كايرو - توداى) وهى جريدة لها مكتب فى القاهرة.. وكانوا يطلبون منى فى بعض الأحيان معلومات عامة وليس بها أى نوع من السرية. مثلا أخبار عن أحداث الشغب فى الجامعات المصرية وارتفاع الأسعار ومشاكل البطالة فى مصر وكل هذه المعلومات تملأ الصحف المصرية والأجنبية عن آخرها وليس بها أى نوع من السرية!

قلت: ولكن تم ضبطك ومعك أجهزة ووسائل تجسس فمن أين حصلت عليها؟

قال: فى شهر نوفمبر الماضى كنت قد أعددت نفسى للرحيل من مصر بعد أن أنهيت دراستى فى كلية الطب بقصر العينى.. وبعد أن حجزت تذاكر السفر وأعددت كل شيء حيث إنى احمل الجنسية الأمريكية منذ مدة طويلة وكذلك (اخى سمير) (٢) المتهم معى فى

---

(١) عبدالقادر حلمي مهندس مصري يحمل الجنسية المصرية الأمريكية. وألقت أجهزة المخابرات الأمريكية القبض عليه في يونيه ١٩٨٨ بتهمة الحصول علي معلومات تمس أسرار الدفاع الأمريكي. وقد سعت الحكومة المصرية لدي الإدارة الأمريكية للإفراج عنه دون جدوي !!

(٢) شمل قرار إتهام نيابة أمن الدولة في القضية ثلاثة متهمين آخرين هاربين هم : سمير يوسف ابراهيم شقيق المتهم الأول - ونيوكلاس ادوارد (أمريكي) وفيفيان ماهر زكي زوجة المتهم الأول.

القضية.. والمفروض أن موعد الطائرة كان فى الساعة الخامسة صباحا.. ولكن فى مساء اليوم السابق حضر بعض الأشخاص وقاموا باصطحابى معهم بعد أن ذكروا أن المخابرات المصرية سوف تسألنا عن بعض الأشياء وهناك اكتشفت أننى متهم فى قضية تجسس.



إلى هنا ينتهى كلام الجاسوس المصرى لأمريكا.. وطبيعى أن يدعى كل ذلك ولكن لكى ندرك أبعاد هذه القضية لابد أن نعود إلى بداية الأحداث وبالتحديد فى عام ١٩٨٨ عندما اخبر (سامى) شقيقه (سمير) بأنه على صلة بأحد الأفراد يدعى (نيكولاس ادوارد) الذى تبين - فيما بعد - أنه مندوب لجهاز المخابرات الأمريكية ويطلق عليه اسم (تونى) دون أن يكشف عن الاسم الحقيقى له؛ وأنه يرغب فى التوصل من خلالهما إلى معرفة مايدور بالجامعات المصرية عن نشاط الجماعات الاسلامية بشرط الأ تكون هذه المعلومات من التى يتم نشرها فى الصحف والمجلات.

وأرسلت هيئة الأمن القومى تقريرها فى القضية التى سجلت تحت رقم (٨٨/٦٥١) حصر أمن دولة عليا وأشارت فيه إلى أن شقيق المتهم (سمير) تم تجنيده بمعرفة مندوب المخابرات الأمريكية بمصر لجمع المعلومات ومده بها، وقد أخبره شقيقه (سامى) أن تلك المعلومات تحقق مصلحة الولايات المتحدة وطلب منه العمل معه فى هذا النشاط فقبل رغبته فى تحقيق مصالح لهذه الدولة.

وكشف تقرير هيئة الأمن القومى: أن (سمير) كان يقوم بممارسة هذا النشاط والحصول على تلك المعلومات وتجميعها ونقلها إلى شقيقه الثانى (سامى) شفاهة وهو يدونها ويسلمها بدوره إلى المتهم الثالث (تونى) مندوب المخابرات الأمريكية مع المعلومات التى كان يحصل عليها بنفسه أيضا. واستمرت مزاولة ذلك حتى صيف ١٩٨٤ عندما سافر سامى مع شقيقه سمير إلى واشنطن وحصلا على دورات تدريبية فى أعمال التجسس على يد خبراء من جهاز المخابرات الأمريكية. وكانت تدور حول أساليب الحصول على المعلومات المطلوبة وكيفية توصيلها لمندوب المخابرات وسبل تفادى الوقوع تحت مراقبة جهات الأمن المصرية.

وفى واشنطن تعرف سمير وسامى على مندوب المخابرات الأمريكية الذى تم تكليفه بالتعامل معهما فى القاهرة للحصول على المعلومات المطلوبة والذى أبدى إعجابه بالمعلومات التى سبق ان أمره بها عن طريق شقيقه (سمير)، وقد أجرى له فى ذلك الوقت اختباراً استخدم فيه جهازاً لكشف الكذب لضمان ولائه لجهاز المخابرات الأمريكية.. وقد اجتاز الاختبار بنجاح واتفقوا على إمداد جهاز المخابرات الأمريكية بالمعلومات التى يطلبها مقابل

تقاضيهما رواتب شهرية عن طريق مندوب المخابرات الذى أصبح بعد عودتهم إلى مصر يتقابل فى لقاءات دورية مع (سامى) ويحصل على المعلومات التى قام وشقيقه (سمير) بجمعها وتحصيلهما بعد تدوينها فى ورق خاص أمدهما به، وهو يمتاز بخاصية الذوبان والتحلل بالماء فى حالة اختلاطه به. حيث كان يستخدم بلفه حول ترمس من الداخل مملوء بماء أو مشروب ساخن بعد تدوين المعلومات على قصاصة منه تحسبا من وقوع أى فعل يتم التعرض له من جانب جهات الأمن المصرية. ويتم فى هذه الحالة إلقاء الترمس على الأرض بقوة تجعله يتهشم فيختلط الماء بقصاصات الورق الملفوف بداخله مما يضيع أثرها على الفور!

ويذكر تقرير الأمن القومى : أن (سامى) استمر يزاول مع شقيقه (سمير) هذا النشاط على هذا النحو حتى شهر يولية ١٩٨٥. حيث اصطحبه (سمير) مرة أخرى إلى واشنطن لمقابلة عناصر المخابرات الأمريكية وحصلا هناك على دورات تدريبية على مستوى متطور فى الحصول على المعلومات المطلوبة وكيفية توصيلها لمندوب الجهاز. وقد تم هذا التدريب بالطرق النظرية والعملية على يد خبراء من جهاز المخابرات الأمريكية.

وتقرر خلال هذا اللقاء رفع قيمة الراتب الشهرى الذى يحصل عليه من الخابرات الأمريكية نظير هذا النشاط من ٢٠٠ دولار إلى ٣٠٠ دولار. كما بلغ قيمة راتب شقيقه (سمير) ٤٠٠ دولار شهريا. واتفق مع مندوب وبعض عناصر المخابرات الأمريكية على الاستمرار فى مدهم بالمعلومات السابق تحديدها وكذلك بأية معلومات أخرى فى كافة المجالات ووفق مايطلبه ويحدده مندوب جهاز المخابرات من معلومات يتطلب الحصول عليها.

وعقب عودة (سامى) وشقيقه (سمير) إلى مصر استمرا فى مزاولة هذا النشاط. بينما كان (سمير) هو الذى يتولى لقاء مندوب جهاز المخابرات الأمريكية فى مصر خلال لقاءات دورية يتم خلالها مده بالمعلومات التى تم تجميعها بمعرفتهما والحصول على تعليمات أخرى جديدة منه. وكذلك تولى مندوب المخابرات سداد الرواتب المحددة لهما شهريا. كما تسلم (سمير) منه مبلغ ٧ آلاف جنيه مصرى تم استغلالها فى شراء سيارة خاصة حرر عقدها باسمه لاستخدامها فى اللقاءات التى تتم مع مندوب جهاز المخابرات لتوصيل المعلومات المطلوبة على النحو الذى تم تدريبهما عليه فى واشنطن.

ويؤكد تقرير هيئة الأمن القومى : أن من أهم المعلومات التى توصل إليها الجاسوس وشقيقه وقام مندوب المخابرات الأمريكية بتوصيلها مايدور حول نشاط الجماعات الإسلامية وأصحاب الإتجاه الناصرى من الطلبة بالجامعات ومعلومات تتعلق بموقف طلبة الجامعات عن أحداث جنود الأمن المركزى التى وقعت خلال شهرى فبراير ومارس ١٩٨٦ .

واستمرت هذه المرحلة من نشاط الجاسوس الأمريكى مع المخابرات الأمريكية من منتصف

عام ١٩٨٥ حتى نهاية أبريل من عام ١٩٨٦، وشملت المعلومات التى قام بإمدادها لمندوب المخابرات الأمريكية فى هذه الفترة مايتعلق بأحوال أهل محافظات الوجه القبلى وأنهم يعاملون معاملة المواطنين من الدرجة الثانية. حيث لا توفر لهم الدولة السلع الغذائية الأساسية.

وفى ابريل ١٩٨٦ تقرر سفر (سمير) للإقامة بالولايات المتحدة الأمريكية وحصل على تدريبات على أن يحل محل شقيقه فى إجراء المقابلات مع مندوب المخابرات الأمريكية التى يتم خلالها تسليم المعلومات التى تم التوصل إليها وجمعها وتلقى أية معلومات أخرى منه.

وعقب سفر شقيقه (سمير) تولى (سامى) الإستمرار فى مزاولة هذا النشاط مع مندوب المخابرات الأمريكية الذى أصبح يلتقى به فى لقاءات دورية فى أماكن وأوقات محددة سلفا. وحصل منه على رقم تليفون للاتصال به من خلاله ولكن فى حالات الطوارىء. وكانت تلك المقابلات تتم جميعا بالأسلوب الذى تم التدريب على استخدامه فى واشنطن.

ومن أهم المعلومات التى قام الجاسوس بنقلها خلال هذه الفترة مايلى :

- ظاهرة الثأر بمحافظات الوجه القبلى وحجم الأسلحة المتوافرة لدى أهالى تلك المحافظات.
- مدى التزام الدولة تجاه قراراتها السياسية ومنها القرار الصادر فى ذلك الوقت بغلق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية فى مصر وتخلى الدولة عن هذا الالتزام وعدم تنفيذه وعن الشعور الذى يتبناه الفلسطينيون المقيمون فى مصر وعدم ارتياحهم من السياسة التى تنتهجها الدولة تجاههم.

واعترف الجاسوس بأنه أخبر زوجته (فيفيان ماهر زكى) المتهمة الرابعة فى القضية بالوقائع السابقة عقب زواجه منها وتواجدها برفقته حال مقابلته الأخيرة بعناصر الجانب الأمريكى بواشنطن. وأنه تم استدعاؤه حال ضبطه بمعرفة مندوبى هيئة الأمن القومى فى مصر وأقر بالنشاط الذى قام به لهم فى ظل اتصاله بجهاز المخابرات الأمريكية.

كما اعترفت (فيفيان) بأنه خلال شهر مارس ١٩٨٧ وعقب زواجها من (سامى) فوجئت به وهو يخبرها بأنه على صلة بجهاز المخابرات الأمريكية (CIA) وأنه يمارس نشاطه من خلال صلته بهذا الجهاز يتمثل فى حصوله وتجميعه معلومات تتعلق بالنشاطات الطلابية والجماعات الإسلامية وتزويد مندوبى هذا الجهاز بتلك المعلومات وأية مذكرات أو منشورات تعبر عن هذه الأنشطة .

وأرشد الجاسوس عن مجموعة من الاوراق التى يحتفظ بها فى محل إقامتة والتى قدمها له مندوب المخابرات الامريكية له ولشقيقه لاستخدامها فى أعمال التجسس التى يقومان بها

من خلال تدوين المعلومات المطلوبة وكذا الأدوات الأخرى التى أستخدمت فى هذا النشاط . وقامت هيئة الأمن القومى بضبط هذه الأشياء بحيازته وأقر بها وقام بتصوير كيفية أستخدامها وتم تسجيل تلك الإجراءات بالصوت والصورة.

واعترف الجاسوس سامى أبراهيم فى التحقيقات عن دوره الكامل فى التجسس لحساب المخابرات الأمريكية . وأنهم أجروا له فى بداية تجنيده اختبارا على جهاز كشف الكذب وهو عبارة عن حزام يلف حول الصدر والركبة ويتصل بجهاز له ترمومتر ويوجه له أحد الاشخاص أسئلة ويجيب عنها . ومن هذه الأسئلة التى طرحت علية على هذا الجهاز . اسمة وعنوانه وجنسيته وعيد ميلاده وما إذا كان سبق له دخول السجن أو تم القبض عليه وغيرها من الأسئلة .

وكشف عن الدورة التدريبية التى حصل عليها فى واشنطن بمعرفة عناصر جهاز المخابرات الأمريكية . حيث كان يتم التدريب فى شقة خاصة فى حى (كريستال سيتى) بولاية واشنطن وهى منطقة مجاورة لفندق ماريوت . وتم تدريبه على أن يكون ظريفاً مع الناس لكسب ثقتهم والحصول على المعلومات . كما تدرب على جهاز خاص بكشف المراقبة من أحد أم لا بنظام (A.B.C) ومن خلاله يتأكد من أنه مراقب أو غير مراقب !!

وبالنسبة لطريقة لقائه مع مندوب جهاز المخابرات الأمريكية فى القاهرة أكد الجاسوس : أن الميعاد المفترض للقاء دائماً فى حالة عدم التمكن من الاتصال يكون فى أول يوم جمعة فى الشهر الساعة ١١ صباحا بجوار المكتبة المصرية الأمريكية بوسط البلد أو فى الساعة الثامنة مساء فى الجمعة الثالثة من الشهر فى مطعم (إكستريون) فى شارع قصر النيل فى دورة المياه بهذا المطعم .

وفى المرة التالية لسفره إلى الولايات المتحدة قرر جهاز المخابرات تغيير أسلوب العمل فى عملية استلام وتسلم المعلومات عن طريق السيارات وليس عن طريق السير على الأقدام . حيث كان يسير الجاسوس بالسيارة فى الشارع ويلاحظ إذا كان مراقباً أم لا قبل أن يصل إلى المكان المحدد لمقابلة الشخص المراد تسليمه المعلومات . وكانت الخطة أن ينحرف بالسيارة ثلاثة انحرافات فى طرق مختلفة فإذا وجد سيارة مضيئة تسير خلفة فى المرات الثلاث يعرف أنه مراقب بالفعل ولا يذهب للمقابلة .

وكان الجاسوس يقوم بتدوين المعلومات التى يحصل عليها على الورق الخاص الذى حصل عليه من جهاز المخابرات الأمريكية . وتكون الكتابة بخط صغير جداً باللغة الإنجليزية على وش وظهر الورقة .

واعترف الجاسوس الأمريكى أن الرقم التليفونى الذى حصل عليه من مندوب جهاذز

المخابرات الأمريكية هو (٣٥٥٥١٩٠) وهو خاص بالمخابرات الأمريكية، والذى كان يتلقى المكالمة على هذا التليفون جهاز مسجل تترك به الرسالة التى أرسلها إلية وتكون مختصرة جداً ويستخدم فيه اسما مستعارا فيقول فى بداية الرسالة : مستر ريتشارد . ويرد مثلا : المقابلة فى يوم كذا .. ثم يقوم بتحديد اليوم دون أى تفاصيل أخرى . ومعنى ذلك أن القاء سيتم فى الساعة الثامنة أمام فندق (سان جورج) كالنظام المتفق علية .

وقد أجرت أجهزة الأمن الكشف عن الرقم التليفونى الذى أدلى بة الجاسوس واكتشف أنه تغير - فيما بعد - إلى رقم (٣٥٤٧٧٢١) وهو مسجل باسم غنيم صبحى شاكر بالعنوان ٤ شارع أمريكا اللاتينية والذى كان يقوم بتأجيرها مفروشة . وأنه سبق تأجيرها خلال الفترة من ٨٠ حتى ١٩٨٨، وفى الفترة من ١٩٨٠ حتى ١٩٨٤ كانت تستخدم كاستراحة خاصة للسفارة الأمريكية وفى الفترة من ١٩٨٥ حتى ١٩٨٨ تم تأجيرها لشركة (بروفسكل بترسرفيس ليمتد).

واتضح - أيضاً-أن (تونى) مندوب جهاز المخابرات الأمريكية يدعى فى الأصل (نيكولاس أدوارد رينولدز) وهو أمريكى الجنسية حضر إلى مصر للعمل بشركة(I.B.A) وعنوانها ٤ شارع سوريا بالمهندسين وصاحب الشركة أحد المستثمرين الأمريكان فى مصر ويدعى (وليم جارسيون) ومحل أقامته ٤ شارع يحيى باشا إبراهيم وهى شقة مفروشة . وقد ثبت بالسجلات أن كلا من المذكورين غادر مصر خلال عامى ٨٧ و١٩٨٨ إلى الولايات المتحدة بعد القبض على الجاسوس الأمريكى سامى يوسف إبراهيم .



كما أرسلت هيئة الأمن القومى خطابا إلى نيابة أمن الدولة خلال التحقيقات أكدت فيه أن الأوراق المضبوطة بحيازة الجاسوس الأمريكى ثبت أنها عبارة عن أوراق خاصة ذات ألياف سيلوزية قصيرة وبها نسبة قليلة من المواد المائية والمواد الصمغية التى تؤدى إلى تماسك أليافها وانتظام سطحها، ويتم التحكم فى ذلك أثناء صناعة هذه الأوراق . ويمكن بسهولة التأثير على أليافها وقوة تماسكها بماء ساخن . وأن استخدام الماء الساخن أو المشروبات الساخنة من خلال ترمس مع تكون محلول الفضة المتواجد بالزجاجة الداخلية له وفى ظل التفريغ الهوائى أثناء تحطيمها يهىء الظروف المناسبة لإتلاف ألياف الورقة وطمسها واسودادها وتقطيعها إلى قطع صغيرة متناثرة .

وبعد أنتهاء التحقيقات وجهت النيابة الاتهام لأربعة متهمين هم :

المتهم الاول : سامى يوسف إبراهيم (محبوس).

المتهم الثانى : سمير يوسف إبراهيم (هارب).

المتهم الثالث : نيكولاس أدوارد رينولدز (هارب).

المتهم الرابع : فيفيان ماهر زكى (هاربة).

وشمل الاتهام (المتهم الأول والثانى) (١) بالتخابر مع من يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الإضرار بمركز مصر السياسى ومصالحها القومية بأن أتفقا مع المتهم الثالث وآخرين من العاملين بجهاز المخابرات الأمريكية على مدهم بمعلومات وبيانات وتقارير عن الأوضاع السياسية والقومية الداخلية للدولة فى سبيل ما أتفقا عليه . كما حصل المتهمان على دورات تدريبية بشأن طرق التوصل إلى هذه المعلومات وكيفية جمعها بمعرفة مندوبى هذه الدولة . وحصلا على مبلغ ٣٠٠ دولار شهرياً للمتهم الاول و٤٠٠ دولار أمريكى شهريا للمتهم الثانى بالإضافة إلى ٧٠٠٠ جنية قيمة شراء سيارة خاصة وقيمة تذاكر السفر للعاصمة الأمريكية ونفقات الإقامة بها خلال فترات التدريب .

وبالنسبة (للمتهم الثالث) (٢) فقد أعطى للمتهمين الأول والثانى مبالغ مالية بقصد ارتكاب أعمال ضارة بالأمن القومى المصرى . إن كلا من المتهم الأول والثانى والثالث أشتركوا جنائياً فيما بينهم مع العاملين بجهاز المخابرات الأمريكية بغرض ارتكاب جرائم التخابر المنصوص عليها فى المادتين (٨٧، ٨٨) من قانون العقوبات .

أما المتهمة الرابعة (فيفيان) (٣) فقد وجهت لها النيابة تهمة علمها بارتكاب المتهمين الأول والثانى جريمتى التخابر مع دولة أجنبية وتقاضيها فوائد مالية نظير ذلك ولم تسارع بإبلاغ السلطات المصرية المختصة .



وفى محكمة أمن الدولة العليا حاول الجاسوس ومحاميه الإيحاء بأن الأخبار التى كان يقوم بجمعها يتم تداولها فى الصحف والمجلات ولا تعتبر معلومات سرية مشيراً إلى أن الهدف من نقل هذه الاخبار حرص الجاسوس- نفسه- على عدم تعرض مصر لما تعرضت له إيران بسبب أحداث التطرف والإرهاب وأن أمريكا يهمها بالدرجة الأولى تحقيق الاستقرار فى منطقة الشرق الاوسط وخاصة فى مصر ولذلك تقوم بدعم النظام القائم على اعتبار أن هذا النظام يمثل سياسة الاتزان والاعتدال فى المنطقة .

(١) صدر حكم محكمة أمن الدولة العليا بمعاقبة المتهم الأول (محبوس) والثاني (هارب) بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات وغرامة مالية ١٠ آلاف جنيه لكل منهما.

(٢) قررت المحكمة معاقبة المتهم الثالث بالأشغال الشاقة ٥ سنوات بالإضافة إلي غرامة مالية قدرها ٥ آلاف جنيه.

(٣) قررت المحكمة فيما بعد براءة المتهمة الرابعة من التهم الموجهة إليها.

ولكن مرافعة النيابة ردت على كل ما أثاره الدفاع . حيث ذكر ممثل الادعاء فى القضية : أن الجاسوس اكتملت فيه عناصر الاتهام الخاصة بجريمة التخابر مع دولة أجنبية وهى العلم والإرادة . حيث كان يعلم أنه يعمل لحساب المخابرات الأمريكية وأتفق معهم على أساليب جمع المعلومات وكتابتها وإرسالها . وأن ما كان يقوم به لم يكن له أية صلة بالعمل الصحفى أو الاذاعى أو بأية وسيلة من وسائل الاعلام المختلفة .

كما اتضح من التحقيقات أن الجاسوس كان متمسكا بالعمل مع جهاز المخابرات الأمريكية وعلى تلبية كل الاوامر والطلبات التى كلف بها وفى سبيل ذلك قام بالسفر عدة مرات إلى محافظات أسيوط والمنيا وبنى سويف والإسكندرية لكى ينقل منها المعلومات عما يدور فى الجامعات عن نشاط الجماعات المتطرفة .. والقول بأن المعلومات التى حصل عليها باستطاعة الولايات المتحدة أو سفارتها بالقاهرة أن تحصل عليها بوسائل أخرى حديثة مثل الأقمار الصناعية أوغيرها من الأجهزة الخاصة بالتجسس . أنما هو دعوة لإباحة خطر التجسس أية دولة أجنبية.

وأضاف ممثل النيابة : أن الجاسوس اعترف بكل الوقائع التى قام بها فور مواجهته بالمعلومات التى توافرت لدى هيئة الأمن القومى . وأنه اعترف -بنفسه- بتقاضى أموال من دولة أجنبية مقابل ممارسة نشاط معهم والاعتراف فى حكم القانون هو سيد الادلة . ويكفى دليلاً شاهداً فى حد ذاته. حيث وضع المشروع شروطاً إذا توافرت فى الاعتراف تكون سليمة ولا ريب فيها ومن هذه الشروط :

١ . أن يكون الاعتراف صريحا لاغموض فيه. وقد كانت اعترافاته كلها غاية فى الوضوح وبكامل تفاصيلها.

٢ . أن يكون الاعتراف قضائيا. وقد تم الاعتراف أمام النيابة وفى حضورها.

٣ . أن يكون الاعتراف لاضغوط فيه. وقد شهد بذلك المتهم بنفسه عندما بدأت النيابة فى التحقيق معه.



وبالطبع لم يمض الكشف عن قضية تجسس لحساب المخابرات الأمريكية فى مصر بسهولة.. وإنما صاحب ذلك ضغوط متوالية من عدة جهات بهدف الإفراج عن الجاسوس الأمريكى. بدأت أولى هذه الضغوط خلال مرحلة التحقيقات. حيث أرسلت السفارة الأمريكية مندوبا عنها لحضور التحقيقات مع الجاسوس بصفته يحمل الجنسية الأمريكية. كما قام أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى بالاستفسار من نيابة أمن الدولة العليا عن الموقف القانونى للمتهم بصفته مواطنا أمريكيا.

كما قامت والدة الجاسوس وتدعى (شامية فرج حنين) - وهى تحمل الجنسية الأمريكية - بإرسال عشرات التلغرافات إلى المسئولين المصريين والأمريكان؛ وفى مقدمتهم الرئيس حسنى مبارك والرئيس الأمريكى جورج بوش وجيمس بيكر وزير الخارجية فى ذلك الوقت بالإضافة إلى تقديم شكوى إلى مستر بروند فيلد المختص برعاية الأجانب فى الكونجرس الأمريكى والذى قام بدوره بتسليم طلب للإفراج عن الجاسوس الأمريكى إلى الرئيس حسنى مبارك خلال زيارته إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٨٩.

وفى واشنطن نشرت عدة صحف أمريكية أخبارا حول قيام مصر بالكشف عن شبكة تجسس أمريكية فى القاهرة. وطالبت وكالات أنباء وصحف (N.B.C) ، (A.B.C) ، (U.S.A) بتدخل الإدارة الأمريكية للإفراج عن المواطن الأمريكى سامى ابراهيم المحبوس فى مصر. كما قامت بعض الشركات إليهودية فى واشنطن بتعليق لافتات باللغة الإنجليزية تحمل عبارة «افرجوا عن سامى» خلال زيارات المسئولين المصريين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كما قام القنصل الأمريكى بالقاهرة ويدعى (دريشر) بالذهاب إلى مبنى نيابة أمن الدولة بمصر الجديدة وقابل العديد من المسئولين فى الحكومة لنفس الغرض !!

لكن كان رد مصر واضحا منذ البداية.. وأن الموضوع برمته أصبح فى يد العدالة ولايستطيع أحد أن يتدخل حتى يقول القضاء كلمته فى النهاية. شأنه شأن العديد من القضايا التى ينظرها القضاء المصرى العادل.

ولم تستجب مصر إلى كافة الضغوط الأمريكية التى صاحبت القبض على الجاسوس الأمريكى فى جميع مراحلها، سواء خلال فترة التحقيقات التى أجريت معه أو أثناء محاكمته أو بعد صدور حكم المحكمة بحبسه ١٠ سنوات بالأشغال الشاقة.

كما قامت أجهزة الأمن بوضع اسم كل من سمير يوسف إبراهيم (المتهم الثانى) ونيكولاس ادوارد رينولدز (المتهم الثالث) على قوائم ترقب الوصول بالمطارات والموانىء للقبض عليهما عند وصولهما لتنفيذ العقوبة بناء على حكم محكمة أمن الدولة العليا.

× × ×

الفصل التاسع

□ التجسس على اتفاقية (السلام)!



■ المخابرات الإسرائيلية تبحث عن فراش بدوى فى العريش لتجنيده عميلا للموساد ■ مباحث أمن الدولة تكتشف تسلل العميل إلى الجانب الإسرائيلى عبر خط الحدود الدولى ■ خطة لإنشاء شبكة تجسس إسرائيلية يديرها الفراش فى سيناء ■ رصد تحركات القوات المسلحة المصرية والمعدات العسكرية وتمييز أنواع الأسلحة ■ إسرائيلية تسعى لإثبات تورط مصر فى مخالفة بنود كامب ديفيد ■ صفقة هيروين مكافأة للجاسوس مقابل تعاونه مع المخابرات الإسرائيلية ■ الجاسوس يعبر الحدود المصرية . الإسرائيلية لنقل المعلومات والخطط العسكرية لضباط الموساد

لم تكن هذه مجرد واقعة تجسس فقط!!

ولم يكن المتهم فيها جاسوسا بالمواصفات المعتادة فى مثل هذه الحالات!!

ولم تكن المعلومات المطلوب الحصول عليها مجرد بيانات أو احصائيات سرية أو وثائق خاصة!!

كانت القضية أكبر من كل ذلك..

كان لها اكثر من هدف تسعى إسرائيل لتحقيقه وباكثر من وسيلة!

كانت إسرائيل تسعى لضرب ثلاثة عصافير معا بحجر واحد.

- الحصول على معلومات عسكرية عن القوات المسلحة المصرية فى سيناء.
- تهريب شحنات ضخمة من الهيروين إلى داخل مصر.
- إنشاء شبكة للتجسس لحساب الموساد الاسرائيلى.

باختصار إسرائيل كانت لديها هواجس وشكوك تجاه التزام مصر بتنفيذ بعض البنود الواردة باتفاقية كامب ديفيد وبخاصة عدد القوات المصرية الموجودة فى المناطق منزوعة السلاح بين البلدين على الرغم من أن هناك قوات دولية تتولى هذه المهمة بحياد كامل ولم يحدث أن أعلنت هذه القوات مخالفة مصر لأى بند من بنود الاتفاق المشترك.

ولكن هذه هى إسرائيل كعادتها دائما.. تفترض الشك قبل إليقين.. وتبحث عن إثارة المشاكل قبل طرح الحلول.. وتفضل أسلوب المنأورات والمؤامرات بدلا من المكاشفة أو المصارحة..

ولذلك كانت هذه القضية..

وهى أول محأولة للتجسس على اتفاقية السلام منذ توقيع معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.. وان لم تكن الأولى التى يضبط فيها تجنيد جواسيس لإسرائيل ضد المصالح المصرية!!

■■■

لكن من هو الشخص الذى اعتمدت عليه إسرائيل لتنفيذ أهدافها المتعددة سياسيا واقتصاديا وعسكريا للقيام بهذه المهام الخطيرة؟!

قد تتصور أن هذا الشخص لابد أن يكون على أعلى درجات الثقافة وحاصلا على أكبر الشهادات العلمية والأكاديمية ويحتل منصبا مرموقا ومؤثرا داخل المجتمع حتى يستطيع أن يحقق لجهاز المخابرات الذى قام بتجنيده أهدافه وخططه وأساليبه !!

نعم قد يتصور ذلك أنا أو أنت.. ولكن نظرة أجهزة المخابرات تختلف.. بل تختلف كثيرا جداً!!

لقد اختار رجال المخابرات الإسرائيلية فى هذه القضية المثيرة.. شخصا بدويا.. جاهلا.. أميا.. لا يجيد القراءة ولا الكتابة.. يعمل فراشا فى إحدى المدارس الإبتدائية بمدينة العريش.. متزوج ولديه ١٠ أولاد.. فى بداية العقد السادس من عمره (٥٣ عاما) أسمر البشرة.. ذو شعر أسود كثيف.. عيناه عسليتان.. له شارب طويل.. يرتدى جلبابا يعلوه بالطو رمادى ويضع شالا أبيض على رأسه ويلبس فى قدميه شبشبا كما يفعل عادة البدو فى سيناء.

كان عامر سليمان على أرميلات هو الشخص الذى تبحث عنه المخابرات الإسرائيلية لتجنيده لتستغل بساطة مظهره وتواضع مهنته وأميته التعليمية والثقافية ليكون ستارا يخفى وراءه الجانب الآخر من شخصيته بصفته كجاسوس لجهاز الموساد!

والحقيقة لم يكن أحد يدرى أن (عم عامر) فراش مدرسة المطلة الإبتدائية فى رفح بسيناء والذى تم تعيينه منذ سنوات معدودة هو نفس الجاسوس الإسرائيلى المطلوب القبض عليه منذ أكثر من ١٣ عاما لاتهامه فى واحدة من أخطر قضايا التجسس التى شهدتها مصر خلال العشرين عاما الماضية.. والذى استطاع أن يراوغ أجهزة الامن المصرية ويقوم بمد اجهزة المخابرات الإسرائيلية بالعديد من الأسرار العسكرية حول تحركات الجيش المصرى فى منطقة سيناء ومحاولة تجنيد آخرين للعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية.

ولم يكن - بالطبع - يشك أحد أن هذا البدوى الجاهل الذى لم يتعلم القراءة أو الكتابة هو المتهم بالاتفاق مع ضباط المخابرات الإسرائيلية على القيام بتهريب شحنة ضخمة من الهيروين تزن أكثر من ١٢ كيلو جراما مقابل قيامه بجمع معلومات عن أنواع الأسلحة الثقيلة الخاصة بالقوات المسلحة المصرية وأماكن تواجدها فى مناطق معينة فى سيناء.

لكن كل من تعامل مع عامر سليمان كان له رأى آخر فى هذا الشخص.. فهو ماكر شديد الخبث والدهاء.. ينظر بنصف عين.. يسمع كثيرا ويتكلم قليلاً.. يظهر فجأة ويختفى فجأة ولا أحد يعلم إلى أين ذهب ولا لماذا عاد؟! كل تحركاته سرية وتعاملاته كلها هامشية!

ببساطة لم يكن أحد يستطيع أن يعلم عنه أكثر مما يردده عن نفسه!!

وكان دقاقا خبيرا فى معرفة دروب الصحراء وارتياد المدقات حتى فى أحلك ساعات الليل يسير بمفرده دون دليل.. يحفظ الطرق والمسارات يصعد ويهبط الدروب والجبال فى حنكة ومهارة بالغة.

لذلك كانت احتمالات الكشف عنه تبدو ضربا من المستحيل!!

وكانت مهمة القبض عليه أشبه بالبحث عن إبرة فى كوم كبير من القش!!

ولكن وبعد ١٢ عاماً سقط الصيد فى الفخ!!

■■■

نبدأ من النهاية وبالتحديد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٩٣ عندما أرسلت مباحث أمن الدولة خطاباً موصى عليه (سرى للغاية) وبتوقيع اللواء احمد العادلى (١) رئيس مباحث أمن الدولة وموجه إلى نيابة امن الدولة بالقاهرة.. وهذا هو النص الكامل للخطاب السرى كما تم إرساله:

السيد المستشار/ المحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا

تهدى مباحث أمن الدولة تحياتها وبعد..

فى إطار الخدمة الموضوعة لرصد نشاط أجهزة المخابرات الإسرائيلية واهتمامها بالأوضاع العسكرية بالبلاد وخاصة المنطقة (ج) بسيناء والمحظور التواجد العسكرى بها..

وقد وردت معلومات من بعض المصادر الموثوق بها تفيد نجاح المخابرات الإسرائيلية فى تجنيد المواطن / عامر سليمان على أرميلات - لصالحها فى مجال المعلومات العسكرية والاستراتيجية عن البلاد بتكليفات محددة. وقد أكدت المتابعة ودفع أحد المصادر عليه ذلك.. وقد تم الوصول إلى بعض الأدلة والأسانيد التى تفيد عمالته للمخابرات الإسرائيلية على النحو التالى:

- اعتياده التسلل للجانب الإسرائيلى بصفة منتظمة كل شهرين عبر خط الحدود الدولى.
- تم تدريبه بمعرفة أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية على كيفية تميز الأسلحة الثقيلة والمعدات العسكرية وأسلوب رصد التحركات العسكرية.
- ظهور مظاهر الثراء عليه والتى لا تتمشى مع دخله من خلال عمله ساعى بالإدارة التعليمية بمحافظة شمال سيناء.
- سعيه لتجنيد عناصر جديدة للعمل لصالح أجهزة الامن الإسرائيلية مستغلا الظروف المادية والعائلية فى عملية الاجتذاب والتجنيد.

وبناء على ماسبق فقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة بضبطه وبمواجهته بما أسفرت عنه المعلومات وأكدته التحريات اعترف بما يلى:

(عامر سليمان على ارميلات)

- مواليد ١٩٤٣/٤/٥ - مصرى الجنسية - ساعى بالإدارة التعليمية بمدينة العريش -

---

(١) تم نقله في عام ١٩٩٦ للعمل بديوان وزارة الداخلية .

مقيم برفح سيناء منذ عام ١٩٨١ وقبل الانسحاب الاسرائيلى من سيناء - تم ضبطه بمعرفة أجهزة الأمن الإسرائيلية من خلال محاولته سرقة بعض الأجهزة الكهربائية من مستعمرة (ياميت) برفح سيناء. وقد ساومة احد ضباط المخابرات الإسرائيلية بعدم اتخاذ الإجراءات القانونية حياله مقابل تعاونه معه فى مجال جمع المعلومات عن التواجد العسكرى المصرى بسيناء عقب الانسحاب الإسرائيلى منها.. ووافق على ذلك..

- تم تقديمه لضابط المخابرات الإسرائيلى (أبوشريف) الذى التقى به أكثر من مرة. وعندما تأكد من صدق تعاونه اصطحبه لمقر المخابرات الإسرائيلية بمنطقة (بئر السبع). حيث تم تدريبه على تميز الأسلحة والمعدات العسكرية الثقيلة وأسلوب رصد التحركات العسكرية.

- تم دفعه عقب الانسحاب الإسرائيلى من سيناء بعد تكليفه بمهام تتعلق برصد التحركات العسكرية المصرية بسيناء خاصة الدبابات والأسلحة الثقيلة وكذا محاولة تجنيد عناصر أخرى للعمل معه.

- عام ١٩٨٢ سعى لتجنيد المواطن قاعود سليمان حمدان يونس من مواليد ١٩٤٢/٤/٣ - العريش - ويعمل سائقا - مقيم بسيناء مستغلا الظروف المادية والعائلية له ووعده بإنهاء مشكلة شقيقته وإحضارها من الأراضى المحتلة بمساعدة المخابرات الإسرائيلية مقابل التحرك معه بسيارته لرصد التواجد العسكرى المصرى بسيناء ومنطقة القناة.

- تسلل للجانب الإسرائيلى والتقى بضابط المخابرات (أبوشريف) وحصل منه على مبلغ ٤ آلاف جنيه كمكافأة له لعدم إفصاحه للسلطة المصرية عن عمالته معهم.

- استمر فى التسلل للجانب الإسرائيلى بصفة منتظمة بواقع مرة كل شهرين وحدد له راتب شهرى ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جنيه بالإضافة لمكافآت أخرى لاتصاله بعملاء المخابرات الإسرائيلية عبر سلك الحدود من المنطقة السكنية الفاصلة بين الجانبين برفح. كما وعده ضابط المخابرات الإسرائيلى بتسليمه جهازا لاسلكيا فى مرحلة لاحقة.

- طلب منه ضابط المخابرات الإسرائيلى ضرورة الحصول على عمل حكومى دائم بالبلاد للتغطية وعدم كشف مظاهر تيسره المادى. وعين بالفعل ساعيا بالإدارة التعليمية.

- خلال لقائه مع ضابط المخابرات الإسرائيلى فى شهر أكتوبر ١٩٩٣ كلف بالعمل على تجنيد أحد العناصر الجديدة من سكان شمال سيناء والموثوق بهم للعمل سويا لصالح أجهزة الأمن الإسرائيلية للقيام بأعمال رصد تحركات القوات المسلحة المصرية.

- عقب عودته قام بمفاتحة البدوى محمد سليمان جامع إليس الذى تعرف عليه خلال فترة وجودهما بالسجون الإسرائيلية من عام ١٩٧٦ حتى ١٩٧٩ للعمل سويا. خاصة أنهما تربطهما علاقات فى تهريب الذهب والسلع عبر خط الحدود.. وأفهمه بأن المقابل سيكون تهريب صفقة هيروين يتم جلبها من إسرائيل بمساعدة المخابرات الإسرائيلية.

- رفض البدوى محمد سليمان جامع إليس الاستجابة لمحاولة المذكور.. واعترف المذكور تفصيليا بعمالته للمخابرات الإسرائيلية وسعيه لجمع المعلومات ذات طبيعة عسكرية وتجنيد آخرين لصالح حصوله على مبالغ مالية نظير ذلك.

وتم استصدار قرار باعتقال المذكور اعتبارا من ٢٩ نوفمبر ١٩٩٣ .

التوقيع

لواء/ احمد العادلى

مساعد وزير الداخلية لمباحث أمن الدولة

تحريراً فى ١٩٩٣/١٢/٢٣

■■■

وأرسل مع خطاب مباحث أمن الدولة المتهم عامر سليمان فى حراسة مشددة إلى سراى النيابة بمصر الجديدة بعد صدور قرار اعتقاله من وزير الداخلية.. وبدأت نيابة امن الدولة العليا التحقيق معه يوم الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٩٩٣ فى القضية رقم (٩٣/١٠٥٠) تخابر/ حصر أمن دولة عليا.

فتح المحضر وسجل شريف عبدالنبى رئيس النيابة حضور المتهم وواجهه بالاتهام بالتخابر وتحريض آخرين على التخابر مع دولة أجنبية ضد المصالح المصرية وبمجرد ان بدأ التحقيق بدأ الجاسوس الإسرائيلى يتحدث باعترافات كاملة من تلقاء نفسه.

ونترك الجاسوس يحكى قصة تجنيده وتعاونه مع المخابرات الإسرائيلية كما وردت على لسانه وبنفس أسلوبه العامى والأخطاء اللغوية التى لم نتدخل فيها..

قال الجاسوس الإسرائيلى : فى عام ١٩٨٢ وخلال شهر فبراير تقريبا.. كان فيه حفل للإسرائيليين استعدادا للانسحاب من سيناء.. وكانوا عاملين قرية اسمها (ياميت) على ساحل البحر وأنا أيامها كنت بأشتغل سواق وعندى عربيتين بيجو نصف نقل باشتغل عليهم.. وفى مرة وأنا ماشى لقيت الإسرائيليين حاطين ثلاجات جنب الطريق فى قرية ياميت جنب بيوتهم وأنا كان معايا واحد اسمه عواد عامر سليمان فقمنا سرقنا ثلاجتين من الموجودين على جنب الطريق.. وكنت فاكر ما فيش حد هيمسكنا. لكن واحنا ماشيين بالعربية وقفنا ضابط شرطة

إسرائيلى وسألنا عن أوراق الثلاجتين وطبعا ما كنش معانا أوراق.. وعرف إن إحنا سارقينهم فأخذنى أنا لوحدى وطلعنا على قسم شرطة (بئر سبع) علشان يعملولى محضر بالسرقة.. وهناك قبل ما يعملولى المحضر لقيت واحد لابس ملكى لكن عرفت بعد كده إنه ضابط مخابرات إسرائيلى جانى فى القسم وقعد معاى لوحدى.. فعرفت إنه ضابط مخابرات إسرائيلى.

قال: إنه اسمه أبوشريف.. وقاللى: لو اشتغلت معانا مش هخليهم يعملولك محضر وهتروح بيتك على طول دلوقتى.

فقلت له: أنا مستعد بس الشغل معاكم هيبقى إزاى فقال لى : شغلك معانا هيبقى بعينك وودنك. فقلت له: موافقين فطلب يقابلنى ثانى يوم قدام محطة بنزين بئر سبع وقال لى تعال لوحدك من غير عربية وأنا هاخدك فى عربيتى. وفعلا فى إليوم ده ما عملوليش محضر بسرقة ثلاجات وروحت بيتى. وثانى يوم رحت انتظر ضابط المخابرات (أبوشريف) قدام محطة البنزين اللى قاللى عليها فى بئر سبع، وفعلا جاء بعربيته وأخذنى وطلع على مكتب المخابرات الإسرائيلية اللى فى بئر سبع وقعدت أنا وهو فى مكتبه وجه علينا ضابط مخابرات ثانى اسمه (أبونعيم) وسألت أبوشريف: ايه العمل المطلوب منى.. فقال لى: إنه حسب الاتفاق اللى بيننا وبين مصر المفروض إنه فى منطقة اسمها منطقة (الخاربة) المفروض إن القوات المصرية ما تدخلش فيها أى قوات حربية ولا دبابات ولا أسلحة وأنت عليك لو شفت القوات المصرية دخلت أى دبابات أو قوات فى المنطقة دى تيجى تقول لنا..

ويضيف الجاسوس قائلا: ولكن انا ما اعرفش شكل الدبابات اللى ممكن القوات المصرية تدخلها فى المنطقة دى فقال لى فيه نوعين من الدبابات نوع اسمه (٥٦) ونوع اسمه (٦٥) ولو شفت القوات المصرية دخلت اى نوع منهم تيجى تقول لنا، وراح واخدنى منطقة فى (تل أبيب) فيها حوالى ١٠٠٠ دبابة وعرفنى شكل الدبابة (٥٦) و (٦٥) ونبه علىّ بأن المنطقة اللى على الحدود ما بين مصر وإسرائيل أى عربية جيش إسرائيلى تشوفها توقفها وتقول لسائقها إنك عايز تقابل (أبوشريف) وهو هيوصلك لىّ.. فقلت له: خلاص اتفقنا وراح واخدنى فى عربية وطلعت على الطريق الأسفلت اللى بيودى على غزة ورفح.. وروحت على البيت وفات شهرين.. وكان الإسرائيليين انسحبوا من رفح سيناء وأنا نزلت على الطريق وكانت العربيات فى الوقت ده مصرية والمصريين واخدينها والإسرائيليين انسحبوا من رفح سيناء اللى أنا كنت ساكن فيها.

وفى العريش قابلت واحد سواق كنت أعرفه وزميل فى السواقة وعنده عربية مرسيدس واسمه قاعود سليمان حمدان وسلم علىّ وقلت له: إن إحنا عايزين نرخص عرابياتنا تبع

المصريين. وأثناء كلامى معاه قال: إن ليه أخت مطلقة عايشة فى إسرائيل عايز يجيبها عنده فى العريش. فقلت: أنا ممكن أجيبها لك. فقال: طب لو المخابرات الإسرائيلية مسكتك حتعمل ايه. فقلت له المخابرات الإسرائيلية مش ها تعمل حاجة. فقال: إزاى يعنى؟! قلت له: إننى شغال مع ضابط المخابرات (أبوشريف) ولو مسكنى مش ها يعمل حاجة.

وأبوشريف ده كان معروف للسواقين واللى بيشتغلوا فى إسرائيل وأنا نفسى كنت باسمع عنه. ولكن ما كنتش أعرفه قبل يوم ما كنت فى قسم شرطة بئر سبع وعرف قاعود إنى شغال مع أبوشريف. وكان الكلام ده فى ٢٧ شهر يوليو ١٩٨٢. وقاعود قاللى فى إليوم ده خلاص قابلنى يوم الاثنين وهو هيدلنى على عنوان أخته اللى ها جيبها له من إسرائيل وقال لى لو جبتها لى هديلك ٦٠٠ جنيه مصرى واتفقنا على كده.. وفعلا رحناله يوم الاثنين فى موقف السيارات اللى بشوفه فيه.. وخدنى فى عربيته وكنت فاكر انه هيطلعنى على البيت عنده علشان يدينى عنوان أخته ولكن لقيته فى إليوم ده راح واخدنى على المزارع بتاعة الحكومة فى العريش ولقيت عربية شرطة كانت ماشية ورانا ووقفتنا ونزل منها ناس مسكونى أنا وقاعود ودونا على مكتب أمن الدولة اللى فى العريش.

وهناك سألونا فى الأول وقالوا لى: أنت بتشتغل مع المخابرات الإسرائيلية فانكرت فلقيتهم سمعونى شريط تسجيل للحوار اللى كان دار بينى وبين قاعود يوم الخميس اللى قلت له فيه إنى باشتغل مع أبوشريف واكتشفت ساعتها إن قاعود بيشتغل مع أمن الدولة فاعترفت لهم فعلا بأنى باشتغل مع ضابط المخابرات أبوشريف. فراحوا واخدينى أنا وقاعود ودونا على مباحث أمن الدولة اللى فى لاظوغلى بالقاهرة وصدر قرار باعتقالى ودونى على سجن ليمان طره.

وخرجت من المعتقل فى شهر نوفمبر ١٩٨٣ يعنى قعدت فى المعتقل حوالى سنتين وثلاث شهور وعشرين يوما تقريبا.. وخرجت من السجن وأنا أكره المصريين والإسرائيليين. ولقيت ولادى باعوا العربيتين علشان يصرفوا منهم ولم يكن يبقى لى سوى قطعة ارض بازرعها خوخ واعيش منها وكنت بافكر اتصل بابوشريف علشان آخذ منه تعويض عن الحبس اللى اتحبسته والعربيتين اللى ولادى باعوهم وأنا فى الحبس.

لكن كنت خايف أقابله لحسن الحكومة المصرية تمسكنى ثانى ويحبسونى لغاية عام ١٩٨٧ وفكرت أن اخلى أى حد من اللى يعرفوا أبوشريف يكلموه فى تعويض وكنت أنا أعرف واحد مصرى من زمان اسمه (عودة الاخلاوى) وده كان من مصر وبعد انسحاب إسرائيل اخذ الجنسية الفلسطينية وبقى يشتغل مع المخابرات الإسرائيلية والحكومة الإسرائيلية عينته شيخ عشيرة بمنطقة (الحبايكية) فى غزة.. وهو يعرف أبوشريف فقلت أطلع على الحدود وأسأل عنه وأقابله وأقول له يكلم أبوشريف فى موضوع التعويض.

وفعلا طلعت على بوابة رفح فى شارع صلاح الدين اللى على الحدود مابين مصر واسرائيل.. وهناك الناس اللى فى مصر ممكن يكلم اللى فى إسرائيل من السلك وأنا كنت عارف إن عودة الأخلأوى له أهل وقرايب فى العريش يقابلهم عند البوابة دى فرحت مرة عند البوابة مالقتهوش وتانى مرة رحت لقيته بيكلم قرايبه.. فقلت له: انا عايز أقابل أبوشريف علشان موضوع تعويض عن الحبس واللى حصل منه. فقال لى: كمان اسبوع تقابلنى هنا هجيبلك الرد. وكان الكلام ده يوم سبت وفى السبت اللى بعده رحت. مالقيتش (عودة) فرحت له السبت اللى بعده لقيته وقاللى: إن أبوشريف هيقابلك فى منطقة (المدفونة) بنفس الطريقة اللى كان متفق معايا عليها فقلت لعودة لو ما ادنيش تعويض هعمل إيه؟ فقال: ما لكش دعوة أنا هقدم فيه شكوى فى الكنيست الإسرائيلى ومجلس الدولة.

وقال لى : فى أى وقت تحب روح منطقة المدفونة وهمه هيوصلوك وبعد يومين أو تلاتة رحت المنطقة بالليل وقعدت على الطريق الإسرائيلى فى المنطقة بين الحدود. ولقيت عربة جيش إسرائيلى ماشية وقفتها وقلت لهم : أنا عايز أقابل أبو شريف لأن دى هى كانت الطريقة اللى كان متفق معايا عليها علشان أقابله فيها. وفعلا ركبونى معاهم وودونى على معسكر تبع اليهود على الحدود وقعدونى فى مكتب وجابولى شاى وعلبة سجائر وبعد نصف ساعة تقريبا جاء أبو شريف وسألنى انت كنت فين ؟! فقلت له : انت عارف أنا كنت فين. لأنى اتحبست بسببك. فقال لى : انت مابقتش تلزمنا خلاص. وإيه اللى خلاك اتحبست ؟! فحكيت له على اللى حصل بينى وبين قاعود. فقال لى : إزاى تقوله على حاجة زى كده وانت كده ماتنفعش تحتفظ بأسرار وماتنفعش تشتغل معانا.

فقلت له : أنا كنت باحسب قاعود بيشتغل معاكم. فقال لى : هو مابيشتغلش معانا ولا حاجة. وبعدين قاللى المهم انت عايز إيه دلوقتى ؟! فقلت : أنا عايز تعويض عن الحبس بتاعى اللى حصل بسببك. فقال : انت ماجبتش أية معلومات. فقلت : خلاص أنا هاعترف وهخلى عودة الأخلأوى يقدم فيك شكوى فى الكنيست فقال : خلاص هديلك فلوس بس بشرط تجيبلى واحد مصرى يشتغل معانا بدالك لأنك انت كده انكشفت. وقال : شوفلك شغلانة فى الحكومة ولو جبتلى حد يشتغل معانا هعملك مرتب كل شهر تسترزق منه. فقلت له : خلاص موافق. وقال : الشخص اللى هاتجيبه لى هبقى أديله جهاز لاسلكى علشان ينقل لنا المعلومات بيه.

فقلت له : أنا موافق وراح طلع ألفين جنيه مصرى وادهملى على أساس إنى هاجيبله الشخص اللى هيجنده بدالى واتفقنا أن أقابله بنفس الطريقة ومشيت فى إليوم ده وبقيت أشتغل فى الأرض بتاعتى وأنا أعرف واحد اسمه (محمد أبوطبل) شغال فى الإدارة التعليمية فى العريش فقلت له : ياريت تشوف لى شغلانة جنب بيتى وفعلا اديته الورق بتاعى وفى آخر

عام ١٩٨٩ شغلنى فى الإدارة التعليمية فى العريش بمكافأة وبعدين اتعينت فى يناير ١٩٩٠ فى مدرسة المطلة الإبتدائية فراش فى المدرسة. وبقيت أشتغل فيها وأنا كنت أعرف واحد اسمه محمد سلمان جامع كنت مسجون أنا وهو فى إسرائيل عام ١٩٧٧ وكنت أنا محبوس فى قضية سرقة وهو محبوس فى قضية مخدرات.

ويضيف الجاسوس : فى السجن كنت اتفقت أنا ومحمد جامع على انه لما يخرج أنا هابقى أهرب له سلع زى السجائر والقماش من إسرائيل وهو يبيعهم فى العريش. وفعلا هربت له مرتين. مرة قماش ومرة سجائر وتالت مرة هربت كيلو ذهب خام كنت سرقته بدون علم الحكومة الإسرائيلية وتركته مع واحد اسمه محمد أبوشاية على أساس انه يبيعه فى العريش وهديله عمولته عنه. لكن محمد إليس قال لى : ان الحكومة المصرية ضبطت الذهب وأخدوه وهو مأوصلوش حاجة يعنى بالعربى ضحك علىّ. فأنا فكرت إنى أنصب عليه أنا كمان وأخد فلوس منه وفى شهر نوفمبر ١٩٩٣ كنت باشوف محمد إليس فى العريش دايما ماكنتش بأكلمه فى حاجة.

لكن فى المرة دى قلت له : أنا ممكن أجيبلك من إسرائيل ١٢ كيلو هيروين لأنى أنا عارف إنه بيشتغل فى المخدرات. وقلت له : مطلوب منك مقدم ١٢ ألف دولار. ولما أجيبلك الهيروين وتبيعه هيبقى لك النصف وأنا النصف. وأنا كان فى ذهنى إنى آخد منه ١٢ ألف دولار وأقول له ان الحكومة المصرية مسكت البضاعة وأضحك عليه زى ماضحك علىّ وأخدت منه ثمن كيلو الذهب بتاعى.

وقلت له : أنا باشتغل مع المخابرات الإسرائيلية وهما اللى هيساعدونا فى تهريب الهيروين. وكنت باقول له الكلام ده عَلشان يطمئن لى فسألنى : انت معاك جهاز يتصل به بالمخابرات الإسرائيلية. فقلت له : أيوه. وكنت باضحك عليه. فاتفق معايا انه هيجهزلى ١٢ ألف دولار اللى هادفعهم مقدم ثمن الهيروين. وبعد ذلك جهز المبلغ ولكن قال إنه لايستطيع أن يخرج بهم من منطقة (الخروبة) اللى بين رفح سيناء والعريش لأنه خاف لحسن الحكومة المصرية تمسك بهم. وقاللى تعال معايا هاروح أنا وانت بيتى فى العريش علشان أديك الفلوس وفعلا ركبت معاه وعند نقطة الخروبة لقيت مباحث أمن الدولة مسكانى وقبضوا علىّ.

.. ويسأل رئيس النيابة : ماسبب إنكارك لعلاقتك مع المخابرات الإسرائيلية عند القبض عليك فى مباحث أمن الدولة ؟!

ـ لأنى كنت مقتنع بالتعاون مع أبو شريف. وكنت فاكر انهم مش هايثبتوا علىّ أى حاجة. لكن لما لقيتهم سمعونى الشريط ماقدرتش أكذب أو أنكر. وقلت لهم فعلا أنا باشتغل مع أبو شريف. وكنت بالفعل أنوى تقديم قاعود سليمان لضابط المخابرات الإسرائيلى للتعاون معنا بشأن التحركات العسكرية المصرية فى سيناء.

.. ما الذى طلبه منك ضابط المخابرات الإسرائيلية ؟!

- أول حاجة طلبها منى الضابط (أبو شريف) أن أشوف شغلانة فى الحكومة. وثانى حاجة قال لى أجيب له واحد مصرى بدالى يجنده وهيقابله بنفسه ويفهمه يعمل ايه وهيبقى يديله جهاز لاسلكى. ووافقت أنا على ذلك وقلت له أجيب لك واحد. وكان فى نيتى أشوف له حد يتعاون مع جهاز المخابرات الإسرائيلى.

.. ماذا وعدك ضابط المخابرات الإسرائيلية مقابل التعاون معهم ؟!

- قال لى انه هايعمل لى مرتب شهرى أستطيع أن أسترزق منه. لكن لم يحدد كام سيكون المرتب فى الشهر.

.. ماهو تاريخ أول اتصال تم بينك وبين المخابرات الإسرائيلية ؟!

- أول اتصال كان فى شهر فبراير ١٩٨٢ قبل الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وكان اتصالى بهم من خلال (أبو شريف) ضابط المخابرات الإسرائيلى اللى جالى فى قسم شرطة (بئر سبع) لما مسكونى فى سرقة ثلاجتين. وكنت باسمع عن أبوشريف من السواقين زمايلى وكانوا بيقولوا إنه ضابط فى المخابرات الإسرائيلية.

.. ماهى مواصفات ضابط المخابرات الإسرائيلية (أبو شريف) ؟!

- (أبو شريف) طوله حوالى ١٧٠ سم وشعره أسود وعينيه سودة وليس له شارب وكان لابس ملكى عبارة عن قميص وبنطلون وجسمه مليان وأشقر.

.. هل ذهبت لمقر المخابرات الإسرائيلية ؟!

- نعم وقد أخذنى الضابط أبو شريف إلى هناك فى منطقة (بئر سبع) وقعدت أنا وهو فى المكتب بتاعه وهو مبنى مكون من ١٠ غرف تقريبا ومحاط بسور طوب أبيض مدهون وله بوابة بعد ماتدخل فيها تقفل علينا.

.. كيف كان يتم لقاؤك مع ضابط المخابرات الإسرائيلية ؟!

- كنت أذهب إلى المنطقة بين الحدود المصرية الإسرائيلية وهى أرض جبلية ويوجد طريق أسفلت فى المنطقة الإسرائيلية تسير عليه السيارات العسكرية الإسرائيلية وعلى بعد خمسين متر يوجد طريق مقابل له تسير عليه عربيات الجيش المصرى. وأنا كنت أعبر الحدود من مصر لإسرائيل لألتقى بضابط المخابرات الإسرائيلية.

.. ماسبب ترشيحك لمحمد أليس للعمل بالمخابرات الإسرائيلية ؟!

ـ لأنه جدع وأنا عارف (أبو شريف) يحب الجدعان. وكان محمد ناصح وجرىء يعنى مايخفش من حاجة وبعدين أنا عارف انه شغال فى المخدرات زى ماقلت يعنى ممكن يعمل أى حاجة ويتصرف كويس ودى الصفات اللى كان عايزها أبو شريف لأن الشغل معاه عايز واحد بالشكل ده.



وبعد ١٥ جلسة تحقيق استغرقت نحو ١٣ شهرا انتهت التحقيقات التى أجرتها النيابة مع الجاسوس الإسرائيلى عامر سليمان وبدأت النيابة فى قائمة شهود الإثبات فى القضية والتى شملت أربعة أشخاص منهم سائقان هما : محمد سليمان جامع إليس وقاعود سليمان حمدان يونس وقد حاول الجاسوس تجنيدهما لصالح المخابرات الإسرائيلية للعمل معهما ورفضا التعاون معه وأبلغا عنه أجهزة الأمن المصرية.

والشاهد الثالث والرابع هما اللواء ماهر محمد زايد بقطاع مباحث أمن الدولة ورئيس شعبة مكافحة الصهيونية بشمال سيناء سابقا. وخلفه فى المنصب المقدم عصام الدين صلاح الدين عامر واللذان توليا متابعة ورصد نشاط الجاسوس وضبطه واستصدار قرار اعتقاله عامى ١٩٨٢ و ١٩٩٣ ثم إحالته إلى النيابة لمحاكمته عما ارتكبه ضد مصر من خيانة.

وشهد المقدم عصام الدين عامر أمام نيابة أمن الدولة العليا : أنه كلف فى أكتوبر ١٩٨٢ بمتابعة النشاط التجسسى للمتهم عامر سليمان الذى تم اعتقاله خلال ذلك العام لثبوت تعاونه مع المخابرات الإسرائيلية وأضاف : لقد قمت بالاطلاع على ملفه فى مباحث أمن الدولة وتبين أنه تم تجنيده لصالح المخابرات الإسرائيلية خلال عام ١٩٨٢ وقبل الانسحاب النهائى للقوات الإسرائيلية من سيناء وذلك عقب ضبطه أثناء قيامه بسرقة ثلاجات من أحد المعسكرات الإسرائيلية فى مستعمرة (ياميت برفح) وقد تلقى المتهم دورة تدريبية فى أحد المعسكرات الإسرائيلية فى (تل أبيب) للتعرف على أنواع الدبابات والأسلحة الثقيلة وأسلوب رصد التحركات العسكرية . ثم تم دفعه إلى داخل مصر عقب الانسحاب الإسرائيلى من سيناء تنفيذا لاتفاقية السلام بعد تكليفه بمهام تتعلق برصد التحركات العسكرية المصرية خاصة الدبابات والأسلحة الثقيلة على الحدود المصرية ـ الإسرائيلية فى المناطق التى يحظر وجود مثل هذه الأسلحة فيها وفقا لإتفاقية السلام المبرمة بين الجانبين وذلك فى محاولة لإثبات مخالفة السلطات المصرية لنصوص تلك الاتفاقية والإساءة إلى موقف مصر السياسى بالإضافة إلى الوصول لمعلومات عسكرية عن مركز مصر الحربى فى سيناء.

وأضاف الشاهد : انه تم تكليف المتهم ـ أيضا ـ بمحاولة تجنيد أى من المصريين البدو من

سكان مركزى رفح والشيخ زويد بسيناء للتعاون معهم فى هذا النشاط التجسسى مقابل مبالغ مالية طائلة وتنفيذا لم تم تكليف المتهم المذكور (عامر سليمان) به وسعى خلال عام ١٩٨٢ لتجنيد الشاهد الثانى (قاعود سليمان حمدان) للعمل معه لحساب المخابرات الإسرائيلية ضد مصر مستغلا ظروفه المادية والعائلية ووعده بإنهاء مشكلة شقيقته المطلقة وإحضارها من الأراضى الفلسطينية المحتلة بمساعدة المخابرات الإسرائيلية على نحو ماشهد به الأخير. فقام الشاهد بإبلاغ الشاهد الرابع اللواء ماهر زايد رئيس مكافحة الصهيونية بمباحث أمن الدولة بشمال سيناء آنذاك بما عرضه عليه المتهم وتم ضبطه واعتقاله.

وذكر المقدم عصام الدين عامر : انه فى اطار متابعته لنشاط المتهم عقب الإفراج عنه فى نوفمبر ١٩٨٣ ونظرا لعلم المتهم بكونه مراقبا من أجهزة الأمن المصرية فقد ظل فى فترة كمون وتوقف عن ممارسة نشاط التجسس حتى عام ١٩٨٧ فتوقفت عن متابعته نظرا لطول مدتها اعتقادا من أن المتهم قد توقف عن ممارسة نشاطه الإجرامى لصالح المخابرات الإسرائيلية ولكن حضر إلىّ الشاهد الأول (محمد سليمان جامع) فى أوائل شهر نوفمبر ١٩٩٣ وأبلغنا بمعاودة المتهم مزاولة نشاطه.

وعلى الفور أجريت تحرياتى السرية التى أثبتت صحة ذلك البلاغ. كما أثبت أن المتهم (عامر سليمان) عقب شعوره بتوقف أجهزة الأمن عن متابعته عام ١٩٨٧ عاود الاتصال بضابط المخابرات الإسرائيلية ليستأنف ممارسة العمل لحسابهم ضد مصر وفى هذا الإطار تمكن من خلال شخص فلسطينى يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية يدعى (عودة الخلاوى) من الإتصال مرة أخرى بضابط الموساد الإسرائيلى (أبوشريف) الذى نجح فى تجنيده عام ١٩٨١. واتفق معه على الاستمرار فى ممارسة نشاطه لحساب المخابرات الإسرائيلية فى إطار جمع المعلومات السرية عن التحركات العسكرية المصرية بمنطقة سيناء وكلفه (أبوشريف) بالسعى لتجنيد أى من المصريين البدو المقيمين فى سيناء للتعاون معهم فى هذا المجال واتفق معه على التسلل عبر الحدود المصرية ـ الإسرائيلية فى منطقة (المدفونة) والانتقال بسيارات الدورية للجيش الإسرائيلى على الحدود إلى مبنى الموساد فى (بئر سبع).

وأكد الشاهد المقدم عصام الدين عامر فى أقواله : أن ضابط الموساد (أبوشريف) كلف الجاسوس المصرى بضرورة الالتحاق بالعمل فى جهة حكومية ليكون وسيلة للتمويه والتغطية عما يحصل عليه من مبالغ مالية منهم وتنفيذا لذلك التحق بالعمل (فراشا) بمدرسة المطلة الإبتدائية برفح عام ١٩٩٣ وسعى لتجنيد الشاهد الأول للعمل معه لحساب المخابرات الإسرائيلية.

وحول واقعة صفقة الهيروين الإسرائيلية للجاسوس المصرى شهد المقدم عصام الدين عامر بأنه أجرى تحرياته حول حقيقة الصفقة التى اعتزم المتهم جلبها من إسرائيل عن طريق المخابرات الإسرائيلية إلى مصر. وأثبتت التحريات أن المتهم كان قد اعتزم جلبها بالفعل لمصر بمعاونة المخابرات الإسرائيلية على أن يقوم الشاهد الأول بتصريفها واقتسام ثمنها فيما بينهما وذلك كمكافأة له عن تعاونه مع المخابرات الإسرائيلية ضد مصر وفى إطار تحقيق هدف المخابرات الإسرائيلية من تدمير الاقتصاد القومى المصرى والشباب المصرى وهما من الأهداف التى تسعى - الآن - المخابرات الإسرائيلية إلى تحقيقها فى مرحلة السلام معها. وبناء على ما أبلغه الشاهد الأول وما توصل إليه فى تحرياته قام برفع مذكرة إلى قياداته بمباحث أمن الدولة وأصدر وزير الداخلية قرارا باعتقاله وقام بضبط المتهم الذى أقر له بصحة ماجاء ببلاغ الشاهد الأول وما توصل إليه فى تحرياته.

وذكر الشاهد الرابع فى القضية اللواء ماهر محمد زيدان بمباحث أمن الدولة .. أنه خلال عام ١٩٨٢ أثناء عمله كرئيس لشعبة مكافحة الصهيونية بشمال سيناء حضر إليه الشاهد الثانى (قاعود سليمان) وأبلغه بمحاولة المتهم تجنيده لصالح المخابرات الإسرائيلية وأجرى تحرياته وأثبت صحة بلاغه وأن المتهم الجاسوس عامر سلمان تم تجنيده لصالح الموساد خلال عام ١٩٨١ وقام بتحرير مذكرة تحريات ورفعها إلى قياداته بمباحث أمن الدولة. وأصدر وزير الداخلية قرارا باعتقاله وقام بضبطه وتكليف الشاهد الثالث المقدم عصام الدين بمتابعة نشاطه عقب الإفراج عنه.

وأكد الشاهد الأول فى القضية المواطن محمد سليمان جامع أليس (٤٨ سنة) سائق ومقيم بالعريش .. أنه فى أوائل شهر نوفمبر ١٩٩٣ حضر إليه الجاسوس (عامر سليمان) والذى كان محبوسا معه عام ١٩٧٧ بأحد السجون الإسرائيلية فى غزة أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء وعرض عليه تهريب شحنة وزنها (١٢) كيلو جراما إلى داخل مصر بتسهيل من المخابرات الإسرائيلية وطلب منه مبلغ اثنى عشر ألف دولار من ثمن الشحنة على أن يتولى هو تصريف واقتسام ثمنها مع المتهم. وعندما سأله عن صلته بالمخابرات الإسرائيلية قرر أنه يتعاون معها ضد مصر منذ عام ١٩٨٢ مقابل مبالغ مالية ضخمة ومرتب شهرى ثلاثمائة جنيه. وأنه تم التسلل إلى داخل إسرائيل والاتصال بأحد ضباط المخابرات الإسرائيلية فى هذا المجال فتظاهر له بالموافقة وطلب منه مهلة من الوقت لتدبير المبلغ المطلوب (كعربون) لتلك الشحنة واصطحبه المتهم إلى المعانى الذى سيسلمه فيه شحنة الهيروين التى سيتم تهريبها وهى منطقة على الحدود المصرية الإسرائيلية تسمى (نجع شباب) ثم فاتحه المتهم الجاسوس عقب

ذلك فى أمر إيجاد شخص آخر يمكنه العمل معه لحساب المخابرات الإسرائيلية مقابل مكافآت مالية طائلة.

وأضاف الشاهد : تظاهرت له باستعدادى للقيام بهذا العمل فوعدنى المتهم باصطحابى عقب إتمام تهريب شحنة الهيروين إلى أحد ضباط الموساد الإسرائيلى للتنسيق معه فى مجال العمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ضد مصر ثم قمت بإبلاغ أجهزة الأمن المصرية بكل التفاصيل.

أما الشاهد الثانى قاعود سليمان حمدان (٥١ سنة) سائق بشركة مطاحن شرق الدلتا ومقيم بالعريش قال : إنه خلال عام ١٩٨٢ حضر إلىّ المتهم بالجاسوسية بموقف سيارات الأجرة بالعريش وطلب منى توصيله بسيارتى الأجرة إلى منطقة (الجفجافة) على الحدود المصرية - الإسرائيلية وأثناء سيرنا رويت له مشكلتى فى إحضار شقيقتى المطلقة والمقيمة بإسرائيل إلى مصر. وأن السلطات الإسرائيلية تعوق إعادتها فعرض علىّ المتهم التعأون معه للعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ضد مصر مقابل حصولى على مبالغ مالية كبيرة ومعأونته فى إعادة شقيقتى الآن. وعندما سألته عن كيفية العمل معه لحساب إسرائيل طلب منى رصد ومراقبة التحركات العسكرية المصرية بمنطقة (الجفجافة) التى تبلغ مساحتها ٥٠ كيلو مترا على الحدود المصرية - الإسرائيلية - الفلسطينية وهى منطقة محظور دخول الدبابات إليها على أن أخطره بأية معلومات أتوصل إليها لإبلاغها للمخابرات الإسرائيلية ووعدنى بتقديمى لضابط الموساد الإسرائيلى (أبوشريف) الذى يتعأون معه. وتظاهرت بالموافقة ثم أبلغت الضابط ماهر زايد رئيس مكافحة الصهيونية بمباحث أمن الدولة فى شمال سيناء وألقى القبض عليه.



فى نهاية التحقيقات أصدرت نيابة أمن الدولة العليا قررت إحالة المتهم عامر سليمان إلى محكمة الجنايات محبوسا ووجهت له الاتهامات التالية :

أولا : التخابر مع دولة أجنبية بقصد الإضرار بمركز مصر العربى والسياسى والاقتصادى.

ثانيا : تحريض قاعود سليمان ومحمد جامع أليس على ارتكاب جريمة التخابر المنصوص عليها فى المادة (٧٧ - د) من قانون العقوبات.

ثالثا : الحصول على نقود من دولة أجنبية بقصد ارتكاب أعمال ضارة بالمصالح القومية للبلاد.

وبناء عليه يكون المتهم قد ارتكب الجرائم المنصوص عليها بالمواد ٧٧ (د) ، ٧٨ (أ) ، ٨٢ (أ) من قانون العقوبات.

ونأمر بإحالة الدعوى إلى محكمة أمن الدولة العليا بدائرة محكمة استئناف الإسماعيلية لمحاكمة المتهم طبقا لمواد الاتهام مع استمرار حبس المتهم احتياطيا على أن ينتدب المحامى صاحب الدور للدفاع عنه.

المحامى العام

لنيابة أمن الدولة العليا

مستشار / هشام سرايا

■ ■ ■

تأتى أهمية هذه القضية بالنسبة لغيرها من قضايا الجاسوسية التى تم ضبطها خلال الفترة الأخيرة إلى أنها كشفت الوجه القذر لجهاز الموساد الإسرائيلى الذى حاول ضرب الأمن القومى المصرى على ثلاث جبهات :

.. (البعد السياسى) وكانت إسرائيل تحاول اثبات مخالفة مصر لاتفاقية كامب ديفيد الخاصة بتوزيع القوات العسكرية فى منطقة سيناء على ثلاث مراحل (أ ، ب ، جـ) ثم تقديم شكوى ضد مصر للقوات الدولية الموجودة لمراقبة القوات على الحدود المشتركة بين مصر وإسرائيل. وإذا ثبتت هذه المخالفة فإن مصر سوف تتعرض لإساءة بالغة على اعتبار أنها لاتحترم الاتفاقيات الدولية التى قامت بتوقيعها. ولكن اعترافات الجاسوس خلال التحقيقات أنه لم يشاهد أى مخالفة للقوات المصرية فى سيناء طوال فترة عمله لحساب المخابرات الإسرائيلية. وهو مايؤكد - أيضا - أن مصر حريصة بالفعل على الالتزام باتفاقياتها الدولية.

... (البعد الاقتصادى) من خلال محاولة تهريب صفقة من الهيروين تزن ١٢ كيلو جراما عبر الحدود الإسرائيلية إلى مصر. وهو ماسيؤدى بلاشك - لو تم - إلى تدمير الشباب المصرى والاقتصاد القومى أشد الضرر.

... (البعد العسكرى) والضرر منه مباشر بسبب القيام بتسريب المعلومات والأسرار العسكرية الخاصة بتحرك القوات المسلحة والأسلحة الثقيلة من دبابات ومعدات وكلها أسرار عسكرية خاصة بأمن وسلامة القوات المسلحة المصرية.

والمثير للدهشة أن أجهزة المخابرات العالمية أصبحت تسعى - الآن - لتجنيد البسطاء من الناس السذج والجهلة للعمل معها واستغلال هذه الصفات الظاهرة لعدم الشك فيهم من قبل أجهزة المخابرات الوطنية وخاصة أن المهام التى أصبح يكلف بها مثل هؤلاء الجواسيس تعتمد

على المشاهدات المرئية العادية دون استخدام أجهزة مراقبة ومايتردد أو يردده الجاسوس بين الآخرين. وبالتالى أصبحت وسائل التجسس تعود بنا إلى العصور الماضية والتى لم يكن (البصاصون) فيها يحتاجون إلا لوسائل التجسس الطبيعية مثل العين والأذن.

وخلال هذه القضية أثار تورط أحد الأعراب من بدو سيناء واتهامه بالتخابر مع الموساد الإسرائيلى جدل واسع حول علاقة البدو فى العمل لحساب أجهزة المخابرات الأجنبية بدعوى أن انتماء البدوى - بشكل خاص - لبلاده يكون ضعيفا عن غيره من أبناء الوطن !!!

وبالطبع لم يكن يخطر على بال أحد أن يشكك فى انتماء أو وطنية الأعراب من بدو سيناء أو غيرهم على الإطلاق لأنهم بحق مواطنون يتمتعون بكامل حقوق المواطنة وهم يعتزون بوطنيتهم ومصريتهم أينما اعتزاز. كما أن جزءا كبيرا منهم عاصر الاحتلال الإسرائيلى فى سيناء سنوات طويلة ويشهد لهم الجميع ببطولات وقصص فداء ناصعة على مر التاريخ.

وقد أرسل لى محمد فؤاد حسين الضابط السابق بالمخابرات الحربية تعقيبا على هذه القضية التى اتهم فيها أحد بدو سيناء. قال فى رسالته : «إننى بحكم خبرتى السابقة فى مجال المخابرات فأود أن أؤكد أن نسبة من تعاونوا مع المخابرات الإسرائيلية من البدو تقل كثيرا عن نسبة باقى الفئات خارج محافظتى سيناء ومطروح.. وفى المقابل فإن البدو الذين تعاونوا مع المخابرات المصرية وليس ضدها يقدرون بالمئات.. وهناك ملفات وسجلات عديدة تثبت ذلك. كما أن العديد من البدو لايزالون فى السجون الإسرائيلية بتهمة التخابر».

× × ×

الفصل العاشر

☐ جواسيس الموساد فى القاهرة!



■ الوقائع الكاملة لأخطر قضية تجسس فى مصر■ الموساد تستغل سفر شاب مصرى إلى إسرائيل لتجنيده لحسابها ■ فتاة شقراء توقع الجاسوس المصرى فى هواها من أول نظرة ■ خطة الموساد لتجنيد عملائها فى شبكات التجسس ■ جاسوس مصرى يسقط. بالصدفة. بعد اتهامه فى قضية تزوير شهادات وفاة ■ ثلاث محاولات انتحار للجاسوس داخل السجن خوفا من الإغتيال عن طريق الموساد■ تهريب فتاتين إسرائيليتين داخل صناديق خارج مصر بدعوي اصابتهما بمرض الإيدز

لم تكن مجرد حالة تجسس!

ولم تكن مجرد قضية متهم فيها جاسوس إسرائيلى!

ولم تكن الحالة الأولى من نوعها كما أنها لن تكون الأخيرة بالتأكيد!

ولكن.. كانت أكبر وأخطر وأشد تأثيرا من أى قضية تجسس أخرى!

كانت أشبه بالفضيحة التى كشفت عن عورات عديدة لم تستطع أن تخفيها ردود الفعل السياسية.. ولا تسكنها التصريحات الدبلوماسية الهادئة.

كانت محاكمة للتطبيع ومراجعة للعلاقات المصرية - الإسرائيلية.

كانت تعبيرا عن الرفض السياسى والسخط الشعبى للممارسات الإسرائيلية وسياسات القمع والتشدد!

ولكل هذه الأسباب وغيرها لم تحظ قضية جاسوسية بين مصر وإسرائيل مثلما حدث فى هذه القضية بالتحديد.

نعم.. كانت إسرائيل دائما تثير الضجيج كلما أعلنت أجهزة الأمن المصرية عن ضبط قضية تجسس جديدة ضد مصر متورط فيها إسرائيليون.. ولكن فى هذه القضية كانت أصوات الضجيج أعلى وأسلوب الرد أشد وطرق الضغط متعددة.

لذلك أخذت هذه القضية أشكالا أخرى لم تعهدها أى قضية سابقة.

وأصبح الجاسوس الإسرائيلى المتورط فيها مادة ثابتة على جميع موائد المفأوضات الثنائية والمباحثات المشتركة بين مصر وإسرائيل كما كان مصير هذا الجاسوس طرفا فى كل لقاء يتم على مستوى رئاسى أو تنفيذى أو سياسى.. بل إنه عندما لم تؤت هذه المباحثات واللقاءات الثنائية حلا لدى أجهزة الحكومة الإسرائيلية لجأت إلى إثارة القضية مرة أخرى فى العديد من المحافل والمؤتمرات الدولية التى تشارك مصر فى حضورها فى الخارج.

والآن..

ماهى حقيقة وملابسات هذه القضية؟!

ومن هو هذا الجاسوس؟!

ولماذا كل هذا الضجيج الإسرائيلى؟!

■■■

ترجع بداية الأحداث إلى الشهور الأخيرة وبالتحديد فى ٢٧ أكتوبر ١٩٩٦ عندما تحولت

قرية (الراهب) التى تبعد عن مدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية أربعة كيلو مترات إلى ثكنة عسكرية هائلة . (١)

فى ذلك إليوم فوجئت الأهالى بحو إلى ١٠ عربات أمن مركزى مملوءة بالجنود المدججين بالسلاح تحاصر مداخل ومخارج قريتهم الهادئة التى لا تعرف الجريمة.. ولا يتكلم أهلها فى السياسة.

وفى الليلة السابقة لاحظ الأهالى انتشار عدد كبير من المخبرين فى حقول وزراعات القرية بصورة مثيرة للانتباه.. وفى أثناء تساؤلات الأه إلى فوجئوا بعدد كبير من سيارات الشرطة تدخل القرية وتقف أمام احد المنازل ثم نزل منها مجموعة من رجال الأمن ومعهم أحد شباب القرية ثم اقتادوه إلى داخل منزل أسرته المتواضع وهو عبارة عن حجرتين بالطوب اللبن وحظيرة للمواشى والطيور. وأخذوا يفتشون فى كل صغيرة وكبيرة فيه.. وبعد انتهاء عملية التفتيش التى كانت على مرأى ومسمع من الاهالى الذين تجمعوا للمشاهدة من بعيد اقتادوا الشاب مرة أخرى فى سيارة ومعهم جميع متعلقاته بالمنزل وغادروا القرية.

وفى مساء إليوم الت إلى فوجىء الأهالى مرة أخرى بنفس المشهد يتكرر مع فارق أن الشاب كانت يداه مكبلتين بالأغلال الحديدية. وفى المرة الثانية مكثوا لمدة ساعة وقد سمح له رجال الأمن بالحديث مع أمه ثم اقتادوه معهم مع شنطة تحمل كافة متعلقاته. ولم يكن هذا الشاب المجهول الذى ذهبت به أجهزة الأمن إلى هذه القرية الهادئة سوى عماد عبدالحميد إسماعيل المتهم الثانى فى قضية التجسس لحساب إسرائيل والتى ضبطت أجهزة الأمن فى منزله الريفى بالقرية أربعة جوازات سفر خاصة به.

عماد إسماعيل هو شاب مصرى لا يتعدى عمره ٣٠ عاما متخرج منذ عدة سنوات فى الجامعة حاصل على بكالوريوس كلية الاقتصاد المنزلى بجامعة المنوفية دفعة ١٩٩٣ ويعمل مدرس تفصيل بالمدرسة الثانوية الصناعية بشبين الكوم. حصل قبل القبض عليه بأربعة أشهر فقط على أجازة من المدرسة التى يعمل بها لمدة عام بدون مرتب بعد أن عرضت عليه إحدى كبرى محلات الملابس فى مدينة شبين الكوم العمل معهم فى مصنع الملابس الجاهزة الذى سيقيمونه بمدينة العاشر من رمضان براتب مغر. وقرروا ان يستوردوا ماكينات المصنع الجديد من إسرائيل ثم وقع اختيارهم على عماد للسفر وإتمام صفقة المعدات.

وبالفعل وافق عماد وسافر إلى إسرائيل ومكث لمدة شهر كامل ثم عاد إلى القاهرة. وهناك فى إسرائيل تعرف عماد على فتاة إسرائيلية جميلة تجيد الحديث باللغة العربية

---

(١) جريدة العربي - عماد صبحي ـ١٩٩٦/١١/٤ .

وتوطدت علاقته بها إلى حد انها طلبت منه الزواج وكانت تراسله بريديا وتتصل به تليفونيا بعد عودته وإقامته بإحدى الشقق المفروشة بالإسكندرية.

ومن المصادفات الغريبة فى هذه القضية أن قامت إحدى الصحف الحزبية بنشر وقائع القبض على الجاسوس المصرى دون أن تدرى أن هذا المتهم جاسوس وأن هذه القضية مرتبطة بقضية جاسوسية لاتزال فى المراحل الأولى لجمع المعلومات وضبط المتهمين وصياغة أدلة الاتهام. وبالت إلى فإن القضية تحتاج إلى السرية التامة لضمان عدم تسرب أحد أطرافها وخاصة أن فصولها لم تكتمل بعد. ولم يتم الاعلان عنها ولا عن المتورطين فيها أو تفاصيلها كما هى العادة عند ضبط مثل هذه القضايا.

ووقعت أجهزة الأمن فى مأزق عندما وجدت تسرب أسرار القبض على الجاسوس المصرى فى الصحف وهو ما يمكن أن يهدد بهروب الأطراف الأخرى المتورطة فى القضية قبل القبض عليهم. وخاصة أنه ثبت تورط شخص إسرائيلى من أصل عربى يدعى عزام عزام وفتاتين إسرائيليتين أيضا ضمن شبكة التجسس. وبذلت أجهزة الأمن بالتنسيق مع نيابة أمن الدولة جهودا خارقة خلال هذه الفترة فى مرحلة استجواب المتهمين وجمع الأدلة والمعلومات حتى قرر المستشار رجاء العربى النائب العام الإعلان عن القضية رسميا تمهيدا لإحالة المتهمين للمحاكمة.

خلال جلسات التحقيق التى أجرتها نيابة أمن الدولة العليا مع عميلى جهاز الموساد الإسرائيلى كشفت معلومات هامة حول طريقة تجنيد المتهم المصرى واستغلال سفره للتدريب على ماكينات وآلات خاصة بمصنع للمنسوجات فى الدفع بفتاتين إسرائيليتين يستغلهما الموساد فى ضم عملاء جدد. وكشفت التحقيقات أن أحد الأجهزة الأمنية أبلغ نيابة أمن الدولة عن قيام جهاز الموساد الإسرائيلى بتجنيد عماد عبدالحميد والذى نقل نشاطه إلى مصر بعد وصوله من إسرائيل وتابعه الجهاز الأمنى فى سرية تامة وطوال تلك المتابعات اجرى العميل عدة اتصالات مع فتاتين من اعضاء الموساد وهما من أصل عربى.

وعثر داخل مسكن العميل المصرى على مضبوطات حديثة تستخدم فى أعمال التجسس ونقل المتهم وسط حراسة أمنية مشددة إلى سراى النيابة وأدلى باعترافات كاملة حول طريقة تجنيده وعمله لجهاز الاستخبارات الإسرائيلى.

والحقيقة أن عماد عبدالحميد كان ناقما على وظيفته البسيطة كمدرس للتفصيل بإحدى المدارس الصناعية بقريته. وكانت لديه تطلعات مستمرة.. فهو يشعر بينه وبين نفسه أن لديه إمكانيات ومواهب واستعدادات لا يتمتع بها غيره وأنه سيصبح شيئا ما فى أحد الأيام.. ولكن كان يسأل نفسه: كيف؟ ومتى؟! وهو لايزال يعيش فى إحدى القرى الفقيرة النائية من محافظة

المنوفية.. ويسكن فى منزل ريفى بسيط وأسرته جميعا فى حالة يرثى لها من انخفاض مستوى التعليم إلى تدهور مستوى الدخل. حتياً أن والده المسن الذى يعمل مزارعا بالأجر فى قرية (الراهب) لم يعد قادرا على الإنفاق على نفسه وعلى أخوته أيضا !!

لذلك لم يكد عماد يصدق نفسه عندما علم بأن إحدى شركات الملابس الجاهزة عرضت عليه العمل لديها وأنها سوف ترسله لمدة أربعة أشهر للتدريب فى الخارج. وعلى الفور وبدون تردد قبل عماد العرض. وقرر تقديم أجازة بدون مرتب من عمله السابق. وبدأت أحلام اليقظة تراود خياله وبدأ يهتم بمظهره ويشعر بزهو وتعال ظاهر على جميع أصدقائه ومعارفه بعد الحصول على الوظيفة الجديدة.

وبمجرد أن تسلم عماد العمل فى مصنع الملابس الجاهزة بمدينة العاشر من رمضان حتى أثبت نجاحا ملحوظا شهد له جميع العاملين فى الشركة. وهو ما جعل صاحب المصنع يقرر ترشيحه للسفر ليس لمجرد التدريب ولكن للتعاقد على شراء بعض الماكينات والآلات فى مجال صناعة الملابس الجاهزة. واختارت الشركة إسرائيل لعقد صفقة شراء المعدات الجديدة وحصل عماد على تأشيرة السفر من السفارة الإسرائيلية فى القاهرة وسافر بالفعل تسبقه الأحلام الوردية فى لقاء الشقراوات من الفتيات الإسرائيليات اللائى كان يسمع قصص مغامراتهن العاطفية والجنسية مع بعض ابناء قريته الذين سبق لهم السفر إلى إسرائيل (١) وكيف ان بعض هؤلاء الفتيات كن يجلسن على الشواطىء بمايوهات بكينى لاتكاد تخفى شيئا بل وفى بعض الشواطىء التى يطلق عليها (شواطىء العراة) يفضل الفتيات عدم ارتداء ملابس على الاطلاق.

وفى إسرائيل كانت مهمة تجنيد عماد للعمل لحساب الموساد أمرا ميسورا للغاية بالنسبة لرجال المخابرات الإسرائيلية. وفى نفس الوقت كان عماد يمثل بالنسبة لهم كل الصفات المطلوبة لزرع عميل مصرى فى القاهرة يكون عينا معأونا للموساد سواء فى البحث أو جمع المعلومات أو نقل الاخبار أو تنفيذ التعليمات والخطط المطلوبة.

وكانت عيون رجال المخابرات الإسرائيلية تفتش بين الشباب المصريين القادمين إلى إسرائيل والتى بلغ عددهم طبقا لإحصائية رسمية فى عام ١٩٩٧ نحو ١٥ الف شخص وكان معظمهم يهدف من السفر إلى إسرائيل للبحث عن وظيفة أو أى عمل بعد أن عانوا سنوات طويلة من البطالة فى مصر بلا جدوى.. وانتظروا سنوات أخرى فرصة للعمل فى إحدى الدول العربية فلم يجدوا .. فذهبوا إلى السفارات الأوروبية للحصول على تأشيرة أو تقديم طلبات للهجرة. ولكنهم اكتشفوا أنه غير مرغوب فيهم فى جميع الحالات !!

(١) سجلت إحصائيات السفر والهجرة أن عددا كبيرا من شباب قرية (الراهب) بمحافظة المنوفية ترددوا علي إسرائيل بغرض البحث عن عمل خلال الفترة من ٩٣ حتي ١٩٩٦ .

فالدول الأوروبية أصبحت - الآن - تعى جيدا الأسباب الحقيقية لهؤلاء الشباب الراغبين فى السفر إلى بلادهم وأنهم سرعان ما يتخلفون فور وصولهم إلى مطارات هذه الدول للبحث عن فرصة عمل دون الحصول على إقامة شرعية وتظل أجهزة الأمن المحلية تطاردهم حتى يتم ترحيلهم جماعيا إلى مصر.

أما سفارة إسرائيل فكانت تفتح أبوابها لاستقبال كل من يمر أمامها وكانت إغراءات السفر والحصول على تأشيرة تتم فى سهولة ويسر بخلاف رخص تك إليف السفر والتى لا تتعدى قيمتها ألف جنيه مع أكثر تقدير.. كل ذلك كان سببا رئيسيا فى تزايد أعداد الشباب المصرى المسافر لإسرائيل خلال السنوات الأولى من عقد التسعينيات خاصة أنها نفس الفترة التى شهدت توقيع اتفاقيات السلام العربية - الإسرائيلية مع كل من منظمة التحرير الفلسطينية والأردن وبدء الحديث عن السوق الشرق أوسطية والزيارات والمشروعات المشتركة بين رجال الأعمال المصريين والإسرائيليين.

ولم تكن أجهزة الموساد تريد تجنيد عملاء مصريين لها ممن يعانون من التعطل حتى وإن عادوا إلى مصر فإنه سرعان ما يسهل كشفهم من أجهزة الأمن المصرية. ولكنهم كانوا يفضلون تجنيد عملاء لهم وظائفهم والتى من خلالها يسهل حصولهم على المعلومات الهامة التى تطلبها أجهزة المخابرات الإسرائيلية أن يلفتوا انتباه أحد إليهم.

اما بالنسبة لحاجز اللغة بين المصريين والإسرائيليين فإنه يسهل تخطى هذه العقبة حيث يوجد الكثيرون من الإسرائيليين والإسرائيليات من أصول عربية تجيد التحدث باللغة العربية إلى جانب لغتهم العبرية. (١) وكان اللعب على أوتار الاغراء بالجنس هو الطعم الذى تلعبه عادة الموساد فى طريق الشباب المصرى المسافر إلى إسرائيل. حيث يضم جهاز المخابرات الإسرائيلية عددا كبيرا من الفتيات الحسناوات يجدن القيام بهذه المهمة خير قيام بعد أن تدربوا جيدا على طرق جذب من يرغب الموساد فى تجنيدهم للعمل معهم !!

وكان من حظ عماد فتاة شقراء من أصل شامى تدعى منى؛ نحيفة ذات عيون واسعة تغطى وجهها بمساحيق وجه متعددة. ترتدى ملابس صيفية رقيقة وضيقة.. شدت إليها عماد من اللحظة الأولى وشعر منها بتجاوب واضح نحوه سرعان ما تحول إلى تعارف مشترك وخاصة أنها تجيد العربية مثله ولم تمض لحظات حتى كان عماد والفتاة الشقراء يسيران معا متشابكى الأيدى فى أحد شوارع مدينة تل أبيب متجهين إلى منزل الفتاة التى أقنعت الشاب

---

(١) تشترط وزارة الخارجية الإسرائيلية عند اختيار العاملين في السلك الدبلوماسي والسفارة المصرية بالقاهرة أن يجيدوا الكتابة والتحدث باللغة العربية بدءا من السفير وحتي أصغر موظف بها.

المصرى الأسمر أنها وقعت فى هواه وأنها مفتونة بشبابه ورجولته وحماسه وأصبحت أسيرة حبه ولا تستطيع أن تبعد عنه لحظة واحدة!

ويتجاوب عماد مع الفتاة الشقراء حتى النهاية ويقضى سهرة حمراء حتى صباح اليوم التالى يتبادلان خلالها القبلات وكلمات الغزل والعناق بدون توقف. وكأنه فى سباق مع الزمن لا يريد أن ينتهى مهما طال وبالحق فقد كانت هذه الليلة بالنسبة للشاب المصرى هى الأولى من نوعها طيلة سنوات عمره والتى ظل يحلم بها وينتظرها بفروغ الصبر!

وفى صباح اليوم التالى تبدأ الفتاة فى مفاتحة عماد عن رغبتها أن يعمل معها فى نفس المنظمة التى تتوظف بها وتحدثه عن المزايا والمرتبات وأن هذه المهنة لا تشترط التفرغ لها. وإنما كلها عبارة عن تكليفات يتم تنفيذها، وإمعانا فى اختباره لم تعده بامكانية الحصول على هذه الوظيفة بسهولة لأن هناك الكثيرين الذين يتطلعون للعمل فيها.. ولكنها سوف ترشحه وتزكيه داخل المنظمة ليقبلوه.

والحقيقة أن الشاب المصرى لم يكن فى حاجة إلى كل هذه الاحتياجات التى لجأت إليها أجهزة المخابرات الإسرائيلية من خلال حديث هذه الفتاة. فقد كان عماد بالفعل جاهزا للعمل فى أية جهة ومع اى أحد طالما ان هذه رغبة فتاته التى أصبح مريضا بحبها واصبحت تسيطر على جميع حواسه كما لو كان منوما مغناطيسياً.

وبالفعل يتم اللقاء بين عماد والفتاة الإسرائيلية وبين أحد ضباط جهاز الموساد ويتم خلاله إعتماده كعميل جديد للمخابرات الإسرائيلية فى مصر وان يكون الوسيط بين الطرفين هو الفتاة الإسرائيلية التى تبلغه التعليمات وما يستجد من تكليفات يطلبها الموساد منه. ويعود عماد إلى القاهرة ويبدأ فى الإتصالات التليفونية مع الفتاة الإسرائيلية فى تل أبيب ويبدأ أفراد أسرته فى معرفة قصة الحب التى نشأت بينهما هناك ويطلب عماد الزواج من هذه الفتاة ولكن أسرته تعارض وترفض وتسرى أخبار قصة الحب بين أبناء قريته الصغيرة التى لا يخفى على أحد فيها مثل هذه الأمور التى تتناقلها الألسنة بسرعة البرق. وتصل بعض هذه المعلومات إلى أجهزة الأمن التى تبدأ فى رصد المكالمات الهاتفية بين القاهرة وتل أبيب وبين الاسكندرية وتل أبيب ويتضح أن هذه المكالمات لم تكن مجرد محادثات عاطفية فقط ولكنها تخفى وراءها عملية تجسس إسرائيلية غادرة على مصر!

ويخصص أحد أجهزة الأمن فريقا كاملا لمتابعة ومراقبة تحركات الشاب المصرى العائد من إسرائيل حديثا ويتضح أن بعض مظاهر البذخ قد بدأت تظهر على تصرفاته. حيث استأجر شقة مفروشة فى محافظة الإسكندرية وبدأ يجرى مكالمات تليفونية بمئات الجنيهات

شهريا مع إسرائيل بل أصبح أكثر حرصا فى سلوكياته مع المحيطين والمخالطين له فى العمل أو أبناء بلدته.

وخلال أحد الاتصالات التى أجريت طلبت الفتاة الإسرائيلية منه السفر إلى الأردن لمقابلتها والتفاهم معا، وتم الاتفاق على الموعد للقاء هناك حتى لا يلفت سفره المتكرر إلى إسرائيل خلال فترة محدودة الأنظار إليه. وسافر عماد مرة أخرى إلى الأردن وسافرت منى وبصحبتها إحدى صديقاتها وتدعى زهرة وهى من عملاء الموساد أيضا من إسرائيل إلى الأردن وهناك يلتقى الثلاثة معا وتذكر منى التعليمات التى أرسلها ضباط الموساد والأهداف المطلوبة من عماد والقيام بها فى القاهرة وتتمثل فى جمع المعلومات حول عدد من المدن العمرانية الجديدة وظروف وطرق الاستثمار داخل المحافظات المصرية المختلفة وبخاصة المناطق التى تشهد تدفق رجال الأعمال إليها من الخارج إضافة إلى معلومات حول صحة برنامج الخصخصة والإصلاح الاقتصادى التى تنفذه مصر.

وكانت كل هذه التعليمات تتم شفاهة دون استخدام أوراق أو مطبوعات ضمانا للسرية التامة.. ولكن فى مراحل أخرى كانت هناك وعود لإمداده ببعض الأجهزة المتقدمة للاستعانة بها فى جمع وإرسال المعلومات المهمة.. وبعد عودة عماد إلى القاهرة قرر جهاز الموساد إرسال أحد رجالها ويدعى عزام عزام الحاصل على الجنسية الإسرائيلية وهو من أصل عربى لمقابلة عميلها الشاب المصرى والتنسيق معه. وبالفعل تمت عدة لقاءات بين عماد وعزام فى القاهرة كما جرت عدة اتصالات تليفونية بينهما رصدتها جميعا أحد أجهزة الأمن المصرية فى حينها.

وخلال هذه اللقاءات الثنائية قدم رجل المخابرات الإسرائيلية عدة أجهزة متقدمة للتجسس للشاب المصرى؛ وهى عبارة عن محتويات ومستلزمات عادية لا تثير شبهة من يشاهدها أو يمسك بها. ولكنها على جانب كبير من السرية والتكنولوجيا فى مجال العمل الاستخباراتى.. ولا يستطيع تحديد استخدامات تلك المستلزمات إلا بمعرفة فنيين لديهم دراية واسعة. (١)



اما عزام عزام فهو شاب من مدينة الدروز عمره ٣٥ عاما ويقيم فى قرية مراد فى الجليل بشمال إسرائيل متزوج من إحدى أقربائه وتدعى أمل عزام وله ولدان وبنتان جاء إلى القاهرة منذ عشرة شهور وبالتحديد فى يناير ١٩٩٦ للعمل فى مصنع للنسيج باسم (كفرون)

---

(١) شملت قائمة المضبوطات في منزل الجاسوس المصري بقريته بمحافظة المنوفية زجاجة كولونيا. ولكن اتضح أن بها مواد خاصة للحبر السري. كما ضبط جهاز يشبه الراديو ولكنه يعمل استقبالا وإرسالا لاسلكيا علي موجة خاصة.

بالاشتراك مع شقيقه الأكبر رافع الذى يعمل بنفس المصنع فى وظيفة (مدير عمال)!

وعزام له ٥ أشقاء وهو ضابط سابق بالجيش الإسرائيلى. وكان يخدم فى سلاح الأقليات منذ ثلاثة أعوام ويعمل أخوته الرجال كلهم ضباطا فى الجيش أيضا ومن بينهم عزام الشقيق الأكبر الذى أصيب خلال حرب الاستنزاف فى عام ١٩٦٩ على شاطىء قناة السويس. وترجع قصة القبض على عزام فى القاهرة إلى فجر يوم الاربعاء ٦ نوفمبر ١٩٩٦ عندما قامت قوة من مباحث أمن الدولة بمحاصرة فندق البارون بمصر الجديدة عقب عودته إلى الفندق. حيث كان عزام يتردد عليه خلال فترة إقامته فى مصر. وقامت نيابة أمن الدولة العليا بإجراء تفتيش شامل لحجرته فى الفندق وتم التحفظ على متعلقاته كاملة والتى تم ارسالها إلى الأجهزة الفنية للفحص والإفادة.

وكانت خطورة القبض على عزام عزام تتعلق باحتمال أن يكون شعر بأنه مراقب من قبل أجهزة الأمن المصرية خاصة بعد إلقاء القبض على عماد عبدالحميد الجاسوس المصرى المتورط معه فى القضية وتسرب الخبر إلى إحدى الصحف قبل الإعلان عنها وهو ما كان يمكن إن يهدد بهروب عزام إلى إسرائيل أو اختفائه عن أعين رجال الأمن المصريين فى حالة وصول الخبر إليه من أى مصدر فى الداخل أو الخارج وبالتالى فشل خطة القبض عليه والتحقيق معه وكشف أسرار عملية التجسس بالكامل باعتباره الطرف المكلف من قبل الموساد بتوجيه العميل المصرى ومتابعته فى مصر.

وقد وجهت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عقب القبض على عزام توبيخا شديد اللهجة إلى المسئول الإعلامى بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة بسبب إهماله فى متابعة الصحف المصرية وبخاصة الصحيفة الحزبية التى نشرت بها تفاصيل إلقاء القبض علىَ الجاسوس المصرى قبل ضبط عزام ولو كانت السكرتارية الإعلامية بالسفارة تنبهت إلى ذلك لما تكبدت السلطات الإسرائيلية العناء الشديد الذى تتكبده فى طلب الافراج عن عزام من قبل سلطات الأمن المصرية.

وخلال التحقيقات مع عزام فى نيابة أمن الدولة العليا حاول المراوغة فى البداية ولكن عندما بدأت تلاحقه الأدلة وعصرته الاسئلة اعترف بتفصيلات كاملة بل وتحدث عن حياته الشخصية منذ كان طفلا يقول عزام فى اعترافاته:أنا واحد من ٦ شباب أكبرهم قتل اثناء خدمته فى جيش إسرائيل عام ١٩٦٩ خلال إحدى المعارك مع الأردن.. وكنت أبلغ من العمر ست سنوات فى ذلك الوقت.. وعندما كبرت ورحت المدرسة اتذكر اننى كنت متدلع من الوالدين وذلك مخلنيش أتعلم فكملت لغاية الصف التاسع وبعدها دخلت مدرسة صناعية كميكانيكى سيارات وبعدما خلصت المدرسة الصناعية اشتغلت فى إيلات فى فندق طابا وقت

بناته وجالى إنى أخش الجيش الإسرائيلى لأن التجنيد عندنا إجبارى لمدة ثلاث سنوات وبعدما خلصت الجيش الوالد ادانى فلوس فتحت محل لبيع اللحوم. وفى سن ٢٢ سنة أنا اتجوزت، والتجارة فى اللحوم لم تنجح فبعت المحل ولى أخ اسمه وفا عزام كان فى الوقت ده شغال فى شركة تيفرون لإنتاج الملابس الداخلية الحريمى.. ووفا أكبر منى فى السن وكان فى الوقت ده لسه أعزب وبيشتغل فى الشركة مهندس نسيج ووالدى طلب منه يشغلنى معاه. فأخويا طلب منى واقترح علىّ أننى أدرس ميكانيكا النسيج علشان مشتغلش فى المخزن. وفى عام ١٩٨٧ اتعينت فى الشركة وبدأت فى تعلم ميكانيكا ماكينات الخياطة ولما وصلت الشركة كانت بنتى الكبيرة واسمها ايناس لسه مولودة، فى سنة ١٩٨٩ اتولد ابنى زياد وهو اتولد من بطن أمه مريض وتعبنا معاه فى المستشفيات بما يقارب سنتين وشفى شفاء طبيعيا بواسطة وصفة عربية، وبعدين اتولدت بنتى شفاء، وفى سنة ١٩٩٢ والدى توفى وكانت وفاته صدمة شديدة جدا لأنه كان أخ وصديق ووالد وبعد سنة ونصف من وفاة والدى ، والدتى توفيت وبقت لينا صدمة ثانية وفى السنة دى صاحب شركة تيفرون واسمه مستر زيجى لابنيوفتش اتفق مع صاحب مصنع فى العاشر من رمضان فى مصر اسمه الدكتور علاء على تكوين شركة مشتركة بينهم وعلى انه يرسل مهندسين من مصر للتدريب فى إسرائيل فى مصانع شركة تيفرون وانا فى الوقت ده كنت ميكانيكى فى مصنع الشركة واسمه مصنع سيجاف.

وفى شهر مارس ١٩٩٦ جه المصنع اثنين مصريين للتدريب واحد اسمه وجدى وواحد اسمه عماد وجت مجموعة ثانية للتدريب بس الاثنين دول انا اللى اتذكر أسماءهم ومدير المصنع طلبنى باعتبارى ميكانيكى رئيسى فى مصنع سيجاف وقال لى إن أنا هاتولى أمر تدريب المهندس وجدى على ماكينات الخياطة الموجودة فى المصنع على أساس أنه بيمسك المصنع اللى هيقيموه فى مصر. فأنا اخذته وقلت له هات كشكول معاك على أساس أن الكلام اللى هقوله المفروض يسجله لأن الماكينات شغالة بالكمبيوتر. واستمر فى التدريب معايا لمدة خمسة عشر يوما إلى أن نقل إلى مصنع ثانى للشركة فى بلد اسمها الحبش وأثناء تدريبى لوجدى هو عرفنى على زميله المصرى اللى اسمه عماد ومكانش لى علاقة جامدة بيه.. لانه كان يتدرب فى قسم ثانى على ان يمسك خط إنتاج وكان بيدربه فى القسم ده واحدة شغالة فى المصنع اسمها دلال وهى لسة شغالة فى المصنع لغاية دلوقتى وكان فيه مطعم تحت المصنع بيتغدى فيه. أوقات أحمد يقعد جنبى وقت الغداء وأوقات كان يقعد جنب دلال أو شازية ودى بتشتغل فى المصنع والمرة الوحيدة اللى أنا خرجت معاهم فيها فى إسرائيل كانت لما طلب منى عماد ووجدى انهم يشتروا ملابس فأنا اخذتهم فى عربيتى لدكانة واحد صديقى واشتروا منه الحاجات اللى عايزنها وعلى ما أظن أن شازية وزهرة أخذوهم فى عربية زهرة يشتروا ملابس من بلد اسمها باركا. وزهرة جريس كانت بتشتغل معانا فى شركة تيفرون وإدارة الشركة مشتها

من الشغل لأنهم ظنوا فيها أنها سرقت. عماد ووجدى هم اللى ذكروا لى أنهم راحوا مع زهرة وشازية يكملوا شراء الحاجات اللى كانوا عايزنها. وأنا معرفش إذا كانت يومها اشتروا ولا لا.. وأنا فى غير المرة اللى أخذتهم فى عربيتى للشراء من دكان صاحبى فخرجت معاهم ومشفتهوش مع زهرة دى خالص. لأن أنا بقالى فترة كبيرة جدا مشفتهاش خالص وقبل الشباب دى ما تسافر من إسرائيل جم المصنع وسلموا على ووقتها كانوا فى قلب العربية اللى هتوديهم المطار وبعد مستر زيجى ما اختلف مع الدكتور علاء اتفق مع واحد مصرى اسمه الباشمهندس سمير رياض على تكوين شركة مشتركة بينهم فى مصر واشترط مستر زيجى أن يتولى الاشراف على المصنع فى مصر واحد إسرائيلى واخويا وفا عزام، أحمد بقاله ١٤ سنة شغال مع مستر زيجى وأحمد مسئول عن قسم الإنتاج فى الشركة عرض علىّ أروح أدير المصنع ده فى مصر ثم عاد وقرر بأنه تم اختيار شقيقه وفا عزام لإدارة المصنع فى القاهرة.

ويضيف الجاسوس الإسرائيلى فى اعترافاته أمام النيابة: وعندما تولى إدارة المصنع وإدارة الشركة فى إسرائيل قررت أنها تبعث ميكانيكى لتدريب العمال المصريين على ماكينات المصنع لفترة محدودة ثم يعود لإسرائيل ويتولى ميكانيكى آخر مكانه فى مصر وفى الأول جه فى مصر ميكانيكى من الشركة فى إسرائيل اسمه يوسف سوسان وقعد فى مصر حو إلى ١٤ يوم وبعد كده أنا جيت مكانه وقعدت فى مصر طوال مدة الفيزا بتاعتى وكانت لمدة ٢٦ يوم وأنا جيت مصر على ما أتذكر فى أوائل شهر يونيه الماضى وتوليت تدريب العمال فى مصنع شبرا الخيمة لإنتاج الملابس الداخلية الحريمى وبعد انتهاء مدتى رجعت إسرائيل وكنت فى مصر بأخذ مصاريف جيب فى اليوم ٦٠ دولار والشركة بتتحمل الإقامة فى الفندق وتذكرة الطيارة خلاف المرتب بتاعى اللى كنت باخذه فى إسرائيل وهو حو إلى خمسة آلاف شيكل فى الشهر وبعدما رجعت إسرائيل جه مكانى ميكانيكى اسمه شكر الله وقعد حو إلى ٢١ يوم وبعد ما رجع إسرائيل إدارة الشركة قررت أنه يتم إرسال ميكانيكى من إسرائيل لتدريب العمال فى المصنع يكون ثابت ووقع إختيارهم علىّ أنا أتولى التدريب فى مصر. وجيت مصر فى شهر يوليه ١٩٩٦ وكنت بأخذ حو إلى ١١ يوم فى مصر واخذ أجازة فى إسرائيل لمدة يومين ونصف ولما جيت المرة التانية مصر مصروف الجيب زاد إلى ٨٠ دولار فى اليوم وأنا بقالى فى مصر فى آخر مرة جيت فيها من يوم ١٩٩٦/١٠/٢٣ وكان المفروض أسافر يوم ١٩٩٦/١١/١٠ إلى إسرائيل إلا أن اخويا وفا ما حصلش على فيزا للدخول فأجلوا سفرى لمدة اسبوع على أن أسافر يوم ١٠ الشهر ده. والسواق أيام العمل بييجى ياخذنى من الفندق الساعة ٣٠ر٧ صباحا والشغل بتاع البنات فى المصنع بيبتدى الساعة ١٥ر٨ صباحا لغاية الساعة ١٥ر٦ مساء. وبعد انتهاء العمل بأوصل الفندق حو إلى الساعة ٣٠ر٧ مساء.

وفى فندق السلام بيعرفونى لأنى مقيم هناك ويسألونى عن أحوال الشغل وفى أغلب الأوقات بكون تعبان أخد حمام وأنام بعد كده. ويوم الأحد ده يوم الأجازة. ويوم الأحد اللى فات قضيت الأجازة بتاعتى فى قرية فلفلة فى الهرم وأنا ليه علاقة حب بواحدة بتشتغل فى الفندق اسمها عزة اتعرفت عليها من حو إلى تلات شهور ولما بدأت أقيم فى فندق السلام وكنت فى مرة قاعد فى اللوبى بتاع الفندق فجت وكلمتنى وسألتنى عن رأيى فى الفندق وقعدت تسألنى أسئلة من ورقة كانت معاها منها: هل اللى بينظفوا الغرف بينظفوها كويس؟ وسألتنى عن رأيى فى جميع الخدمات فى الفندق ومن يومها كل ما باشوفها فى الفندق بسلم عليها وهى ليها ترابيزة فى اللوبى بتاع الفندق وجنبها كرسى فكنت أوقات أروح اقعد على الكرسى ده واتكلم معاها. وأول مرة قعدت معاها عرفت منى انى إسرائيلى فهى اتخضت فعرفتها ان فى إسرائيل عرب وأنا منهم فدى كانت حاجة غريبة بالنسبة لها وابتديت اقولها ان انتى ظريفة وابتدينا نخرج مع بعض للغداء أو العشاء وكان الوقت المسموح ليها تقضيه معايا هو ساعة ونصف بالكثير فى المرة. وانا اتعرفت على اخواتها وهم عرفونى بس انا معرفتش بيتها ومعرفتش مكانه فين وهى مجتليش فى المصنع خالص!

● منذ متى التحقت بالعمل بشركة تيفرون بإسرائيل؟

- انا شغال فيها من سنة ١٩٨٧.

● وماهى المصانع التابعة للشركة التى عملت بها؟

- أنا اشتغلت ميكانيكى لماكينات الخياطة فى مصنع اسمه عين الاسد لمدة ست سنوات وصار بينى وبين المدير خلاف حاد لأن فى يوم من الأيام المصنع كان طالع رحلة فى طيران وطلبت من المدير إن أجيب معايا بنتى وابنى الكبار فقال لى مفيش مانع ورحت الرحلة وأنا حطيت المسجل اللى كان موجود فى المكان شريط فيه اغانى للصغار وبعد كده المدير زعل ولقيته بيقولى لو مش عاجبك سيب المكان انت وأولادك. فانا أخذتهم ومشيت قبل الغذاء. وثانى يوم كان جمعه مفيش شغل ويوم السبت أجازة فيوم الأحد أنا رحت الشغل وقررت أسيب الشغل فى المصنع لأن أنا حسيت إنه نزل من كرامتى وكلمت المدير الكبير وقلت له أنا مش هاقدر أشتغل مع الراجل ده فنقلونى على مصنع سيجاف فى ١٩٩٥/٨/٢٢ وأنا شغال فى المصنع ده لغاية دلوقتى.

● ماهى المنتجات التى يتم تصنيعها بمصنع عين الأسد بإسرائيل ؟!

- المصنع بينتج ملابس داخلية حريمى عبارة عن كلوتات وسوتيان والمصنع كمان بينتج قطعة ملابس حريمى عبارة عن كلوت وفانلة داخلية حتة واحدة اللى فيها كباسلت من تحت وانا معرفش اسم القطعة دى ايه بالعربى.

● ألم تقم بزيارة هذا المصنع بعد أن تركت العمل فيه فى ١٩٩٥/٨/٢٢؟

- لا رحت كثير بعد ما سبت الشغل لان لىّ اصدقاء كثير هناك.

● منذ متى تعرفت على زهرة يوسف جريس؟

- قبل ما اشتغل فى مصنع عين الأسد أنا كنت شغال فى مصنع اسمه الحبش وكانت زهرة شغالة هناك فى قسم التعبئة وأنا كنت فى الوقت ده لسه صغير وكان الكلام بيننا عادى وأقل من العادى لأنها كانت أكبر منى فى السن وأنا اشتغلت معاها فى المصنع ده لمدة سنتين بعد كده نقلونى إلى مصنع فى قرية اسمها جيت وبعد كده رحت على مصنع عين الأسد. وبعد فترة زهرة جت اشتغلت فى مصنع عين الأسد وكانت مسئولة عن قسم التعبئة وأنا وهى مكناش أصحاب لأنها كانت واخدة فكرة عنى إنى بدور وراها وأشوف بتسرق ولا مبتسرقش. وأنا معملش الحاجة دى لأن مسكها وهى بتحط كرتونة من بتوع المصنع فى بيتها المدير ومدير المخازن وطردوها من الشغل من حو إلى سنتين أو اكثر وهى راحت اشتغلت عند واحد اسمه ميلكى عنده مصنع انتاج ملابس داخلية حريمى صغير مش بحجم شركة تيفرون.

● وما الذى كنت تعرفه عنها أثناء فترة عملك معها؟

- آنا انطباعى عنها كان وحش لانى كنت حاسس انها بتسرق وكل المصنع كان بيتكلم على كده. ومكنتش باستظرفها خالص. وكان باين عليها انها معاها فلوس لانها كانت دائما بتركب عربيات جديدة وبتلبس دهب كتير وبتسافر دائما بره إسرائيل للفسحة والعلاقات دى كلها بتدل على أنها معاها فلوس إنما أنا معرفش أصل الفلوس دى إيه.

● وهل عملها فى تلك الشركة يسمح لها بمثل تلك المعيشة؟

- كفرياء من غير مايكون عندها أطفال يمكن الشغل بتاعها يخليها تعيش العيشة دى.

● وهل استمرت علاقتك بها عقب تركها العمل بشركة تيفرون؟

- هى بعد ما سابت الشركة أنا ما شفتهاش إلا مرة أو مرتين مرة منهم قابلتها فى إسرائيل وقالت لى أنها زارت مصر وقابلت الشباب اللى بيتدربوا فى الشركة مع شازية والمرة التانية جت المصنع عند أخوها اللى بيشتغل معانا وكانت جاية علشان تأخذ العربية بتاعته وسلمنا على بعض عادى ومشيت ودول المرتين اللى انا شفتها فيهم بعد ما سابت الشركة.

● هل كانت زهرة يوسف جريس تتقابل مع أحد من المصريين الذين حضروا للتدريب بمصانع شركة تيفرون بإسرائيل؟

- معرفش.

● ألم تشاهدها بصحبة احد منهم؟

– لا .. وانا فى مرة عماد ووجدى بلغونى انهم راحوا مع شازية وزهرة علشان يكملوا شراء الحاجات اللى عايزنها من إسرائيل إنما أنا مشفتهومش مع بعض وكيف التقت زهرة يوسف جريس بهم اكيد عن طريق شازية لانها صاحبتها وبياكلوا وبيناموا مع بعض.

● هل سبق لك التردد على الفندق الذى كان يقيم به المصريون الذين كانوا يتلقون تدريبا بمصانع شركة تيفرون بإسرائيل؟

– يوم ما أخدت وجدى وعماد يشتروا الحاجات من دكان صديقى أخذتهم من الشغل ورجعتهم على الفندق اللى كانوا نازلين فيه. وفى مرة أنا كان معايا صديقة يهودية مع صديق عربى وكان معاه صديقته رحنا الفندق علشان نسهر هناك معجبناش الفندق فمشينا على طول وقابلنا الشباب هناك وقعدنا معاهم فترة صغيرة والبنات اللى كانوا معانا معجبهومش الفندق فاعتذرت للشباب ومشينا.

● هل سبق وان اصطحبت كلا من عماد ووجدى لزيارة مصنع عين الأسد أثناء فترة تواجدهما بإسرائيل؟

– يوم ما رحنا نشترى الحاجات من عند صاحبى وكان معايا عماد ووجدى وكان اليوم ده موافق جمعة واحنا ماشيين فى الطريق قلت لهم إن فيه هنا مصنع عين الاسد تابع للشركة فقالوا إنهم مشفهوش قبل كده طلبوا منى يشوفوه وخشينا عملنا جولة جوه المصنع وبعد كده رحنا ماشيين.

● وهل كان المصنع يعمل فى هذا اليوم الموافق يوم جمعة ؟

– اغلب أيام الجمع المصنع بيأخد أجازة وفى بعض الأوقات لما يكون فيه طلبية المصنع بيشتغل بعدد عمال يكفوا لإنتاج الطلبية دى ويوم مارحنا المصنع كان الشغل فيه ضعيف وكان عدد العمال قليل.

● هل سلمت احداً منهما اى عينات خاصة بما يتم إنتاجه بمصنع عين الاسد؟

– لا .. لانى مقدرش أديهم حاجة لأن مش فى إيدى أى صلاحية عشان أعمل كده.

● هل كان مدير مصنع عين الأسد متواجدا به عند اصطحابك لعماد ووجدى لزيارته؟

– لا .. لأنه يهودى وبيأخد أجازة يوم الجمعة فمكنش موجود وكان اللى موجود المشرفة اللى تحته ولما عرف أننا رحنا المصنع زعل عليه وقال بعد كده إنه إزاى اخش المصنع ومعايا ضيوف من غير ما نعرف رده بسبب الخلاف السابق اللى حصل بيننا وقلت عليه.

● وهل وافقت على أن الشخص المصرى الذى يدعى عماد يريد الزواج من زهرة يوسف جريس؟

- عماد كان بيقول إنه عاوز عروسة من إسرائيل إنما معرفتش إذا كان عاوز يتجوز زهرة ولا لأ.

● وهل وقفت عن سبب رغبته فى الزواج من إسرائيلية؟

- هو كان حابب يتجوز من إسرائيلية وكان عنده الرغبة فى كده إنما مقالش سبب رغبته دى ولما قال الكلام ده قلتله عندك البنات كتير اختار اللى انت عايزه.

● وهل حدد مواصفات من يريد الزواج منها؟

- أنا مدخلتش معاه فى التفاصيل وقلتله انت عندك فى المصنع اكثر من ١٢٠ بت نقى اللى انت عايز تتجوزها منهم.

● ألم يسبق لك اصطحاب فتاتين للفندق الذى كان يقيم به المصريون الذين كانوا يتدربون فى إسرائيل لممارسة الجنس معهم؟

- لا وعماد كان سألنى اذا كان فيه بنات يمارس الجنس معهن فقلت له إن إحنا فى إسرائيل فيه شوارع فيها البنات دول ودى حاجة باينة مش مستخبية إنما أنا مأخدتهوش للأماكن دى ولا جبت لهم بنتين فى الفندق.

● ألم يسبق لك إبلاغ عماد بأن زهرة يوسف جريس غير متزوجة وتمتلك اموالا كثيرة؟

- مش متذكر.

● هل سبق لك أن أفصحت لعماد برغبتك فى دخول البلاد للعمل فى مجال تدريب العاملين المصريين؟

- أنا زهقت من الشغل فى إسرائيل ولما عرفت إنه هيتم عمل شركة بين المصريين والإسرائيليين أنا تشوقت لأنى أشتغل فى مصر فقلت قدامه ياريت إنه لما الشركة تشتغل فى مصر يأخذونى اشتغل وادرب فيها على أساس إنى كنت متشوق أنزل مصر لأول مرة.

حكاية ميكى رجل الموساد

● ما علاقتك بميكى مدير المصنع الذى تعمل به زهرة يوسف جريس؟

- ميكى كان مديرى فى مصنع عين الاسد وكنا اصدقاء فى هذا الوقت وبعد ما ساب الشغل وفتح مصنع خاص به مبقاش ليه علاقة بنا وجايز أكون شفته بعد كده مرة أو أتنين وقت قصير.

● هل وقفت على وجود علاقة بين زهرة يوسف جريس ومن يدعى ميكى بالمخابرات الإسرائيلية؟

- أنا معرفش غير إنهم اصدقاء.

● ما قولك فيما قرره عماد عبدالحميدإسماعيل بالتحقيقات بأنك بدأت فى تقوية علاقتك به عندما علمت منه بأن صديقه وجدى هو الذى سيتولى ترشيح من يقوم بتدريب العمال المصريين بالبلاد من الإسرائيليين؟

– عماد جه سألنى عن علا ورأيى فى زواجه منها فقلت له إن أختها شغالة معاها فى المصنع ومرات أخوها شغالة سكرتيرة فى المصنع واسمها عيشة وطلب منى أروح معاه أكلم أهلها علشان يتزوجها فقلتله أنا مبعرفش أهلها وقلتله أنا مليش رأى فى الموضوع ده.

● ما قولك فيما قرره بالتحقيقات بانه وزهرة يوسف جريس وشازيه وأنت وزميليه وجدى وطارق خرجتم للتسوق سويا وبعد أن تركتهم همست فى أذنه تقريراأان زهرة تملك اموالا كثيرة وغير متزوجة ورشحتها له للزواج منها؟

– لما كان الشباب فى إسرائيل طلبوا منى أنهم يشتروا حاجات من إسرائيل فاتفقت معاهم إنى هعدى عليهم تانى يوم فى الفندق وأنا هناك جت زهرة بسيارتها مع شازيه وفيه ناس منهم ركبوا مع زهرة مش فاكر مين وناس ركبوا معايا فى العربية ورحنا على منطقة اسمها ياركا وبعد ما اشترينا حاجات سبتهم هناك وروحت على البيت ومحدش منهم جه معاها فى العربية ومعرفش مين اللى روحهم ومش فاكر إذا كان تم بيننا كلام فى موضوع زواجه من زهرة وكان عماد دايما بيقول إنه بيطلب منى أساعده فى الجواز وأنا كنت بأقوله روح دور بنفسك وهو كان عارف إن زهرة غير متزوجة وأنا مهمستش فى أذنه بأى حاجة.

● قررت بجلسة التحقيق أمس بأنك لم تشاهد زهرة يوسف جريس بصحبة أى من المصريين بإسرائيل الذين كانوا يتدربون هناك؟

– الحكاية دى بقالها شهور وأنا مش متذكر تفصيلها ولما عرفت بيها دلوقتى تذكرتها وهم مقالوش ان زهرة هتخرج معانا ولما رحت لهم الأوتيل لقيت زهرة وشازيه معاهم.

● ما قولك فيما قرره عماد عبدالحميد إسماعيل بالتحقيقات بأنك اصطحبته وصديقه وجدى لمسكنك وطلبت من الأخير أن يرشحك لتدريب العاملين فى مصر؟

– أنا فعلا أخذتهم عندى فى مرة البيت ودى كانت مرة واحدة كضيافة منى ليهم وسألتهم لو تم فتح مصنع فى مصر مين اللى يمكن يروح من الميكانيكيين الإسرائيليين يدرب فيه فوجدى قال لى إن هو اتدرب مع شكر الله ومعجبوش وإن ممكن أنا أو يوسف ندرب فى المصنع ده لأن أحنا أقوياء وأقدم فى المهنة وده كل الكلام اللى دار بيننا لما كان عندى فى البيت.

● ما قولك فيما قرره عماد عبدالحميد إسماعيل بالتحقيقات إنك اصطحبته وصديقه وجدى لزيارة مصنع عين الأسد وعقب الزيارة وضعت له لفة فى الحقيبة الخاصة به التى

كانت بداخل سيارتك وطلبت منه عدم إبلاغ أحد بإنك تسلمت شيئا وعندما عاد إلى الفندق تبين له وجود ثلاث قطع حريمى عبارة عن بريهات بيضاء اللون داخل تلك اللفافة؟

- انا لم اعطيه أى حاجة لانى معنديش الصلاحية إنى أسلم له أى حاجة من دى.

● ما قولك فيما قرره أيضا بالتحقيقات بأنه لاحظ إبتعادك عقب تسليمك له تلك القطع؟

- عماد مكانش صديق بالنسبة لى وكل اللى عملته معاه إنى اخذته فى مرة يشترى حاجات من دكان واحد صاحبى والمرة الثانية لما رحت معاهم باركان وأنا احترمته كصديق وكضيف واستضفته هو ووجدى فى بيتى.

● هل تقابلت مع عماد عبدالحميد إسماعيل أثناء ترددك على البلاد مؤخراً؟

- أنا نزلت مصر أول مرة فى أواخر شهر مايو أو أوائل شهر يونيه وسافرت على إسرائيل بعد كده وجه شكر الله الميكانيكى بعدى على أساس إنه يقعد ٢٦ يوم وبعد كده قرروا فى إسرائيل إن أنا أبقى الميكانيكى اللى فى مصر وقبل انتهاء مدة شكر الله فى مصر انا جيت وفى الوقت اللى أنا جيت فيه شازيه كانت موجودة فى القاهرة مع واحدة اسمها مريم تبع الشغل بتاعنا واتصل بعماد وجه هو ووجدى على فندق البارون اللى كانت نازلة فيه شازيه وسلمت عليهم ومشيت على طول بعد ما سألونى عليهم ومشيت على طول بعد ما سألونى عن المكان اللى انا شغال فيه فقلتلهم فى شبرا الخيمة.

● وأين كنت تقيم فى تلك الفترة؟

- أنا كنت فى فندق سونستا بالقاهرة.

● وما سبب تواجدك فى فندق البارون فى ذلك الوقت؟

- أنا جيت مصر وكان شكر الله موجود فى فندق البارون وكان مسافر تانى ورحت اتعشيت معاه فى فندق البارون.

● وما الحوار الذى دار بينك وبين عماد عبدالحميد إسماعيل فى ذلك الوقت؟

- مفيش أكتر من السلام وهو سألنى أنا شغال فين قلت له أنا شغال فى مصنع فى شبرا الخيمة وأتذكر إنى سألته إن أحمد شغال مع الدكتور علاء فقالى إنه ترك العمل معاه ومدارش بيننا حديث أكتر من كده.

● ما هى مراحل تصنيع البريهات داخل مصنع عين الأسد؟

- القماش بتاع قطع الملابس دى بييجى من مصنع النسيج بتاع شركة تيفرون فى منطقة اسمها سور شالوم وبعد كده بيروح على المصبغة بتاعة واحد بيتولى الصباغة لشركة تيفرون وأنا معرفش الشركة بتصبغ عند مين بالضبط لأنه بيتم صباغة منتجات شركة تيفرون فى

أكثر من مكان وبعد كده القماش ده بيروح مصنع القص فى الحبش وبعد ما بيتم قص القماش حسب المقاسات المطلوبة يتوزع على المصنع فى عين الأسد وبعد كده بتخش خط الإنتاج فيه وأنا كل دورى لما كنت شغال فى مصنع عين الأسد هو تصليح ماكينات الخياطة اللى فيه لو حصل لها عطل.

● هل لك دراسة فنية بصباغة النسيج الذى يستعمل فى تصنيع البريهات؟

- لا أعرف مواد الصباغة. أنا لا أعرف كيف بيصبغوه خالص ومعرفش المواد اللى بيحطوها أو بيستعملوها فى الصباغة.

● اين يتم الاحتفاظ بمنتجات مصنع عين الأسد من البريهات؟

- إنتاج المصنع مبيقعدش فيه أكثر من يوم لأنه بيتم نقله إلى مخازن الشركة الرئيسية تمهيدا للتصدير.

● من أين حصلت على الخطاب الذى كان بحوزتك وعثر عليه أثناء تفتيشك؟

- وأنا قبل ما اتمسك كنت مع واحد صاحبى اسمه فايز إسرائيلى بنشترى جزمة لابنه من محل زلط فى شارع سليمان باشا فى وسط المدينة ودار حوار بين صاحب المحل وفايز وبينى وقالى لى إنت لهجتك بتدل على إنك من شبرا فأنا ضحكت وفايز قاله إحنا فلسطينيين من إسرائيل فسأل من منكم الغريب من منطقة النصرة فقلت له إنها تبعد عن بيتى فى إسرائيل بحو إلى ٣٥ دقيقة بالعربية فقال لى ممكن أبعت معاك رسالة لاخوه وانا لما أوصل إسرائيل أحطها فى البوسطة فقلتله موافق. وهو كتبها قدامى وكان فيها سلامات وموجه لشقيقه واسمه جمال منصور زى ما كان مكتوب فيها والعنوان كان على مطعم اسمه الطابون فى منطقة النصرة فى إسرائيل وصاحب المحل كان سألنى المطعم ده فين فانا قلت له انا معرفوش قبل كده.

● هل قرر لك أن ترسل الخطاب عن الوظيفة التى يشغلها جمال منصور وسبب تواجده فى إسرائيل؟

- هو قال لى شغال فى مطعم الطابون.

● ما اسم المصنع الذى تعمل به فى مصر؟

- هو اسمه تيفرون ايبت وده بتاع مستر زيجى الإسرائيلى والباشمهندس سمير سامى رياض وده متخصص فى إنتاج الملابس الداخلية الحريمى.

● وما هو المرتب الذى تتقاضاه؟

- أنا باخد مرتبى من إسرائيل وهو حو إلى خمسة آلاف شيكل وباخد من إسرائيل أيضا

مصروف جيب ٨٠ دولار فى اليوم مقابل عملى فى مصر والشركة بتتحمل تذاكر السفر ومصاريف الفندق.

● هل هناك عقد عمل بينك وبين سمير سامى؟

- لا .. مفيش أى عقد وأنا باعتبر موظف فى شركة تيفرون فى إسرائيل وهى اللى بتدينى المرتب ومصروف الجيب.

● وهل شقيقك وفا عزام يعمل فى هذه الشركة والبلاد؟

- وفا شقيقى هو مدير الشركة فى القاهرة وفيه عقد بينه وبين مستر زيجى على أنه يتولى إدارة الشركة فى مصر.

● ماسبب احتفاظك بخمس استمارات خاصة بالحصول على تأشيرة لدخول البلاد صادرة من القسم القنصلى لسفارة جمهورية مصر العربية بتل أبيب؟

- تعرفت على ابن شكرى سرحان يحيى سرحان اللى اسمه مكتوب فى الورقة: يبقى ابن شكرى سرحان الممثل ومرة كنت قاعد فى الأوتيل وهو كان قاعد مع بنت بتشتغل هناك اسمها نشوى وعرفتى عليه وعرفت ان عنده مكتب للدعاية والإعلان وادانى عنوانه ورقم تليفونه فى البيت وفى الشغل وكنت بتصل بيه وخرجنا أكتر من مرة نتعشى مع بعض وعلاقتى بيه علاقة صداقة وأنا كنت قلت ليحيى فى مرة إن عندى صديق فى إسرائيل بيغنى لفريد الأطرش وكان سألنى اذا كان يقدر يحيى يعمل حفلات فى القاهرة وانا سألت يحيى عن الموضوع ده وقال لى ده صعب جدا لأنه طالما بيغنى لفريد الأطرش مش حيجيب حاجة جديدة من عنده وإنه لازم يعمل ألحان وأغانى خاصة به وقال لى إن عنده صديق شاعر اسمه أحمد فؤاد نجم وادانى رقم تليفونه فأنا اتصلت بيه مرة ولقيته نايم ومتصلش بيه تانى وكان يحيى ق إلى ان لو الرجل ده سألنى أنا جبت نمرته منين أقول له إن أنا صديق محمد نجم ومعرفش محمد نجم ده يبقى مين.

● من هو صاحب العنوان خلف سنترال الماظة ورقم التليفون الثابت على الورقة التى عثر عليها بغرفتك «عرضناها عليه»؟

- ده خاص بمعهد كنت عايز أتعلم فيه اللغة الانجليزية ورقم التليفون اللى ثابت على الورقة دى رقم تليفون المعهد ده وأنا مش متذكر اسمه بالضبط.

● يخص من العنوان الثابت على الورقة التى عثر عليها بحجرتك امام مبنى قصر النيل؟

- ده عنوان منزل يحيى سرحان.

● ما الذى تحتويه الزجاجة الصغيرة التى عثر عليها بحجرتك «عرضناها عليه»؟

- دى فيها عطر أنا اشتريته من فندق برج من عند محل بتاع عطور هناك.

● ممن تلقيت الرسالة الثانية على الورقة التى تحمل اسم فندق سونستا وتاريخ ١٠/٩/٩٦؟

- من عزة صديقتى اللى بتشتغل فى فندق السلام.

● وما الذى كانت تقصده بأنها شرحت للطبيب حالتك ووصف لها العلاج؟

- أنا كنت مريض وبكح كتير فراحت سألت الطبيب وأخذت منه العلاج ومعنى كلمةإان أو هيف أو تاح هى إن أحبك بالعبرى.

● وما الذى دعاها إلى تدوين تلك الرسالة على مطبوع خاص بفندق سونستا؟

- الظاهر ان هى لقت الورقة دى عندها فى المكتب وسابت لى الرسالة دى مع الدواء .

● ممن تلقيت الرسالة المدونة على الكارت الخاص بفندق السلام والمؤرخة ٢٣/١٠/٩٦؟

- من عزة.

● ما علاقتك بالأسماء العربية الثابتة بأجندة التليفونات التى كانت بحوزتك؟ «عرضناها عليه»؟

- اسم مطبعة بتاع واحدة شغالة معانا فى المصنع فى إسرائيل فى عين الأسد ومحمد البهى ده موظف شغال فى سفارة مصر فى إسرائيل ونجيب ده صديق ليّ فى إسرائيل عنده محل ملابس فى باركا وصالح نصر الدين ده زوج اختى وعطرة سيد احمد دى صديقة ليا فى إسرائيل وأميمة نفس الكلام وأحلام صديقة من قرية اسمها المزرعة فى إسرائيل وتوفيق عواد سواق من عين الأسد وياسمين سيد أحمد دى صديقة من إسرائيل وعيد عزام ده ابن عمتى وأخو مراتى وأشرف رياض ابن المهندس سمير رياض وأمل مضيفة فى فندق السلام وأنا اتعرفت عليها من هناك وهى سابت الشغل وأشرف بديع شغال معانا فى مصنع سيد رياض وعزة أحمد دى صديقتى اللى أنا قلت عليها ويوسف عباس ده ميكى ينكس فى إسرائيل وزيدان عزام ده ابن عمى ويوسف جبران سواق فى الجيش وفؤاد سرحان ده صديق ليا فى إسرائيل وحمدى فؤاد أخو مرات محمد البهى اللى شغال فى السفارة المصرية بإسرائيل. وسلمان عزام ده خ إلى وسليمان مصرى ده صديق شغال فى مصنع عين الأسد وتحية عبدالله دى من إسرائيل وشغالة معانا فى مصر ووهيب عزام ده ابن عمى.

● ماعلاقتك بمحمد البهى؟

- محمد البهى أنا اعرفه شخصيا وكنت شفته مرة أو مرتين فى السفارة فى إسرائيل واتعرفت عليه بسبب إنى كنت عايز آخد تأشيرة دخول لمصر.

- ومن الذى أعطاك رقم تليفون شيقيق زوجته لزوجته؟

ـ محمد البهى أعطانى إياه لأنه بعت معايا هدايا لزوجته ولشقيقها حمدى وأول ما يوصل القاهرة باتصل بحمدى وبيبجى ويأخد الحاجات اللى بعتها محمد البهى.

- وهل علاقتك بمحمد البهى سابقة أم لاحقة لعلاقتك بعبدالحليم وعادل عثمان؟

ـ أنا علاقتى كانت بمحمد البهى فى الأول وبعد كده اتعرفت على عبدالحليم وعادل عثمان وأنا أعرف ناس تانية فى السفارة المصرية زى عم على وواحد اسمه أشرف وأنا أعرفهم من كثرة ترددى على السفارة علشان آخذ تأشيرات دخول.

- وهل كان محمد البهى يتولى إنهاء إجراءات استصدار تأشيرة لدخولك مصر؟

ـ أنا لماكنت أوقات بتصل بمحمد البهى ولا أجده كان بيرد علىّ إما عادل أو عبدالحليم وكنت باطلب منهم يخلصوا موضوع الفيزا بتاعى.

- من الذى يظهر معك فى الصورتين رقمى ١ ، ٢ «عرضناهم»؟

ـ ده واحد بيعمل برنامج فى قرية فلفلة وأنا اتصورت معاه.

- من الذى يظهر معك فى الصورة رقم ٣؟

ـ اللى قاعدة جنبى تمام دى صديقة من إسرائيل واللى قاعد ورايا فى الصورة يوسف الميكانيكى واللى جنبه دى تحية والصورة دى احنا أخدناها فى ملهى سندباد.

- من الذى يظهر معك فى الصورة رقم ٥؟

ـ ده واحد اسمه بولس شغال معايا فى مصنع سيد رياض وهو مصرى.

- من التى تظهر معك فى الصور أرقام ٧ و ٨ و ٩ و ١٠و ١٢؟

ـ دى صورة عزة صديقتى اللى بتشتغل فى فندق السلام.

- اين تم التقاط الصور الثانية على نيجاتيف الفيلم الذى عثر عليه بغرفتك بالفندق؟ «عرضناه عليه»؟

ـ الصورة بتاعة الفيلم ده أنا أخذتها مع عزة لما كنا موجودين فى قرية فلفلة.

- أنت متهم بالتخابر مع دولة أجنبية من شأنه الإضرار بمركز مصر السياسى والاقتصادى؟

ـ أنا مستعد أحلف إن أنا مديتش أى حاجة لعماد ولا أنا بفهم فى الحاجات دى ودى تهمة مش عارف جتلى منين.

- هل لديك أقوال أخرى؟

- أنا عايز أقول إنى لو كنت عملت حاجة زى ديه مكنتش جيت مصر وازاى إنى ممكن آجى أقعد واشتغل فى مصر لو كان حصل فى الكلام ده وحتى لو ادونى إسرائيل.

المواجهة بين عماد وعزام

قمنا باستدعاء المتهم عماد عبدالحميد أحمد إسماعيل وعزام متعب عزام داخل غرفة التحقيق وتم إجراء مواجهة بينهما فيما اختلف فيه من الأقوال تقرر بأن الماثل هو الذى يعرفه باسم عزام ووفا عزام وأنه هو الذى سلمه أربع بديهات ماركة اكليشن خاصة بمصنع عين الاسد وانه هو الذى يقصده بالتحقيقات وقرر المتهم عزام متعب عزام بأنه يريد ذكر أنه كان فى مصنع سيجاف يوم جمعة فطلب منه عماد ووجدى ان يصحبهما لشراء ملابس وأنا ممعيش عربية فأنا طلبت عربية سعيد نائب المدير ميستوبيشى حمراء؛ موديل ١٩٩٤ واخذتهم على المكان وهى القرية اللى أنا ساكن فيها وصاحب الدكان بتاع الملابس صاحبه اسمه وجدى ودخلنا هناك وعماد كان عايز ملابس (ملابس حريمى لواحدة) أطفال وأنا معرفش هو اشترى ايه قميص واحد منهم لونه أخضر وهى الفترة دى أم وجدى صاحب الدكان جابت قهوة خلال وقت الشراء؛ وبعد ما خلصنا ركبنا العربية علشان نرجع سيجاف وأنا مشيت بالعربية فى طريق وصلنا لغرفة تابعة لمصنع عين الأسد وسألتهم إن المصنع قريب من المكان اللى كنا فيه اذا كان تحبوا تشوفوه وكان عندهم الرغبة فى انهم يشوفوا المصنع ده فدخلنا وكان مدير المصنع مش موجود واللى كانت موجودة مشرفة المصنع واسمها تمام حشمى فطلبت منها إن الشباب تشوف المصنع فدخلنا فى جولة داخل المصنع وهى كانت معانا وقربنا على خطوط إنتاج المصنع لغاية ما وصلنا خط الإنتاج بالمصنع فعماد كان عايز عينات من البدى ده وأنا قلت لتمام إن عماد عايز صنفين أو تلاتة من البدى ده فهى دخلت جوه وأحضرت كيس فيه البديهات وأنا اديتهم لعماد فى العربية وبعد كده رجعنا على سيجاف. وقرر المتهم عماد عبدالحميد إسماعيل فى نهاية الأسبوع التانى وأنا موجود فى إسرائيل كنت مع عزام فى مصنع سيجاف وطلبت منه يجيب لى عينات من جميع منتجات شركة تيفرون زى الازراب والصدريات والبديهات وهو قال لى إنه هيسأل اذا كان يقدر يجيب لىّ الحاجات دى ولا لأ وبعد كده رحت أنا ووجدى وعزام نترجم للبنات الكلام ده ورد عليه وقال انى ممكن أنام معاهم بالتخت فأنا سألته يعنى ايه فقال لى يعنى على السرير وقال لى إن ممكن أنام معاهم فى السيارة فأنا قلت لعزام أنا خايف أنام معاهم يكون عندهم الايدز» وقد أنكر المتهم عزام متعب عزام تلك الواقعة وأضاف المتهم عماد عبدالحميد إسماعيل «انا كنت قاعد مع عزام فى مصنع سيجاف وهو سألنى إنت عاوز تتجوز علا علشان بتحبها ولا علشان أقعد فى إسرائيل لازم اتجوز فهو قال لى أنا بدور لك على عروسة وبجوزك من إسرائيل وفى يوم السبت من الأسبوع الثالث ليا فى إسرائيل رحنا باركا وزهره وشازيه وعزام وناجى ودى كانت أول مرة

أشوف فيها زهرة ودخلنا محل علشان نشترى حاجات وعزام جه استأذن علشان عنده ضيوف فى البيت وقال لنا لو عايز يروح يوصله فردت شازية وقالت أنا بوصلهم فميل على ودنى، وهمس إن زهرة دى معاها فلوس كتير ومش متزوجة يعنى أقدر أتجوزها وسابنا ومشى..

وانكر المتهم عزام انه قرر للمتهم عماد عبدالحميد إنه سيبحث عمن يتزوجها فى إسرائيل ولم يطلب الزواج بزهرة ولم يرشحها له للزواج بها، وقد وقع المتهم عماد عبدالحميد فى نهاية الملحوظة وأمرنا باخراجه.

● ما قولك فيما قرره الآن عماد عبدالحميد إسماعيل بأنه طلب منك عينات من البديهات فى يوم سابق على تسليمك تلك العينات له من مصنع عين الأسد؟

- عماد مجابش سيرة البنات خالص إلا لما رحنا مصنع عين الأسد واحنا مرحناش مخصوص نجيب عينات من عين الأسد.

● ما سبب توجهك لمسكنك قبل التوجه إلى مصنع عين الأسد وعقب الشراء فى منطقة المفاز؟

- أنا مش ذاكر أنا كنت رايح البيت ليه ويمكن كنت رايح أقول للمدام بتاعتى حاجة.

● متى طلب منك عماد عبدالحميد إسماعيل عينة من البديهات التى تنتج بمصنع عين الأسد؟

- واحنا جوه المصنع وأنا قلت له أنا مقدرش أديلك حاجة قبل ما سأل تمام وفعلا سألتها وهى جابت العينات.

● وهل كان وجدى حاضرا هذا الحوار بينكما؟

- أنا مش عارف وجدى سمع الكلام ده ولا لأ ووجدى أصلا هادىء وبيتكلمش ولكن يكون سمع تقطيف ولو حتى درجة تانية من كثرة الحاحه على الحصول عليه فهو قاللى يمكن أديله بس محدش يطلب منها تانى.

● وهل حدد لك عماد عدد البديهات التى يريدها فى ذلك الوقت؟

- لا هو مقاليش العدد

● وكم قطعة سلمتها؟

- تلاتة أو أربعة مش أكتر من كده.

● هل تذكر أوصافهم أو موديلاتهم؟

- تمام حطت البديهات فى كيس من غير ما أشوفهم وأعطيتهم لى على طول.

● وكيف وقعت على عددهم طالما أنك لم تشاهدهم؟

- تمام قالت لى إنها متقدرش تديله كتير وكل اللى تقدر تديهوله تلاتة أو أربعة وكانت حجم الشنطة من بره ميدلش على أن العدد اللى فيهم كتير .

● ما قولك وقد أنكرت فى أول جلسة تحقيق تسليمك أى عينات لعماد عبدالحميد إسماعيل من منتجات مصنع عين الاسد؟

- فيه حاجات أنا نسيتها وأنا من طبعى بأنسى وأنا بعد كده تذكرت الحاجات دى .

● وكيف ذلك وقد ذكرت عند مواجهتك بعماد عبدالحميد اليوم بأن صديقه وجدى اشترى قميصين أحدهما لونه أخضر مما يدل على قوة ذاكرتك؟

- أنا تذكرت لون القميص اللى اشتراه وجدى لأن وجدى لبسه أربع مرات فى الشغل.

● بماذا تفسر وجود حبر سرى فى البديهات التى سلمتها لعماد عبدالحميد إسماعيل؟

- انا عمرى ما سمعت عن الحبر السرى ده قبل كده وأنا عندى شك أن يكون لزهرة ومدير المصنع بتاعها اللى اسمه ميكى علاقة بالمخابرات الإسرائيلية وده واضح مع ميكى وهم مع بعض على طول لدرجة انها ساعات الشغل فى تيفرون ميكى أخدها فى مصنعه على طول وأخذ كمان أخوها ماعرون وميكى دايما معاده وميكى معاه مسدس على طول ودايما بيحطة فى شنطة محدش يشيلها له إلا زهْرة وعندنا فى إسرائيل معروف إن محدش الحكومة بتصرح له إنه يشيل مسدس إلا إللى يتعامل مع جهات الأمن وكمان ميكى كان عامل أجير فى شركة تيفرون وبعد ما خرج منها فجأة اصبح عنده شركة ومش أى حد برضه فى إسرائيل الحكومة بتسمح له بتكوين شركة والاعتراف بها لأن لما الحكومة بتعرف بشركة معينة ليعطى لصاحب الشركة التسهيلات فى الضرائب وبتعطيه ائتمان فى صورة فلوس وبتعطيه ميزات أخرى إنما يمكن الواحد يفتح له تلك التسهيلات وده كله يدل على إن له علاقة بالمخابرات الإسرائيلية لأن اللى عمله ده مش سهل أى حد يعمله وهو اشترى ماكينات كبيرة واشترى فى إسرائيل عمارة رهيبة على الرغم من إنى قلت إه كان يشتغل أجير فى شركة تيفرون.

● وكيف عرفت أن ميكى يحمل سلاحا ناريا؟

- أنا كنت أوقات بشوفه وكان السلاح فى جيبه.

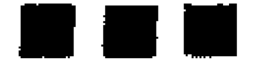
● وهل كل من يحمل سلاحا ناريا فى إسرائيل لابد ان يكون له علاقات بالجهات الأمنية هناك؟

- أيوه وهم مبيدوش ترخيص بالسلاح لأى حد .

● بماذا تفسر طلب زهرة يوسف جرجس ضرورة المحافظة على البديهات التى سلمتها لعماد عبدالحميد لأنها فى غاية الأهمية؟

- أنا مليش تفسير ومش قادر أعطى جواب.

ملحوظة: قمنا بعرض عدد اثنين بديه اللتين تم فحصهما على المتهم الماثل كما عرضنا عليه أيضا قطع الملابس الداخلية التى لم يتم فحصها فقرر بأنه لم يشاهد البديهات التى سلمها لى وعبدالحميد إسماعيل لأن مشرفة المصنع وضعتهم داخل الكيس.



على الرغم من اسدال الستار على قضية الجاسوس الاسرائلي عزام والمصري عماد والتي شغلت الرأى العام المصري والعالمي بذلك الحكم التاريخي الذي قضي بمعاقبة المتهم الإسرائيلي بالاشغال الشاقة لمدة ٢٥ عاما الا أن اصداء تلك القضية مازالت تثير اهتمام الاوساط العربية والأجنبية حيث تناقلتها وكالات الانباء العالمية لحظة بلحظة حتى اغلق ملف القضية .

اما المفاجاة الكبرى التى كشفت عنها مصادر امنية فهى ان الجاسوس المصرى عماد اسماعيل سقط بالصدفة فى ايدى رجال المباحث بمديرية أمن القليوبية فى قضية تزوير شهادات وفاة مزورة وباعترافه بحيازة تلك المس تندات المزورة تمت إحالته الى المحكمة التى قضت بمعاقبته لمدة ٣ سنوات داخل سجن القناطر وهناك تم اكتشاف علاقة المتهم بالموساد *عندما حاول الانتحار ثلاث مرات بقطع شريان يديه خوفا من اغتياله داخل السجن من قبل* اعوان الموساد الإسرائيلى فى مصر .

ومن هذه اللحظة كشف رجال المخابرات المصرية اخطر شبكة تجسس فى مصر والتى تزعمها الجاسوس الإسرائيلى عزام متعب عزام بمشاركة عضوتى الموساد والشبكة الهاربتين *وهما الإسرائيليتان زهرة يوسف جريس ومنى احمد شواهنه وهما اللتان امرت المحكمة* بالحكم عليهما بالاشغال الشاقة المؤبدة (غيابيا) .

والمفاجاة الكبرى ايضا أن الجاسوس المصرى عماد اسماعيل تلقى معلومات لسرعة تدبير وتهريب الفتاتين الإسرائيليتين الى خارج البلاد عن طريق ادعائهما بالاصابة بالايدز داخل احد المستشفيات المصرية حيث تم تزوير شهادات وفاة لهما وتم وضعهما داخل صندوقين ونقلهما الى مدينة القنطرة وهناك تم اخراج الفتاتين وبواسطة احدى السيارات اتجهوا الى مدينة رفح وهناك قام بعض وسطاء الموساد بتهريبهما الى داخل الاراضى الإسرائيلية بينما عاد الجاسوس المصرى مرة اخرى لممارسة عمله فى تنفيذ اوامر الموساد .

كما كشفت مصادر امنية رفيعة المستوى كافة الحقائق والملابسات التفصيلية التى ادت لسقوط الجاسوس المصرى عماد اسماعيل حيث تبين انه كان يعمل لحاما تحت الماء وهو من مهاجرى مدينة السويس حيث ضاقت به سبل العيش واتجه للاقامة بمنطقة (منطاى) التابعة لمدينة قليوب بمحافظة القليوبية حيث تعرف هناك على بعض اصدقاء السوء الذين يعملون فى تزوير المستندات وشهادات الوفاة والتجنيد ووجد عماد رواجا فى هذه المهنة فاحترافها .

وبعدِ فترة قرر عماد اسماعيل السفر الى اليونان من اجل جمع مزيد من المال ولان اليونان اكثر الدول نشاطا لعملاء الموساد الإسرائيلى فقد وضعوا اعينهم على عماد اسماعيل وراقبوه حتى يتم تجنيده ليصبح احد عملائهم فى مصر .

ويذكر ايضا ان تلك المنطقة باليونان هي التي حاول فيها الموساد تجنيد البطل المصري جمعه الشوان والذى نجح في تضليل رجال الموساد ومسايرتهم حتى احضر لمصر اخطر ثلاثة أجهزة تجسس فى العالم ساهمت فى انتصارنا في حرب اكتوبر وكانت تلك الخبطة نجاحا امنيا مصريا في الصراع العربى الإسرائيلى لرجال المخابرات فى البلدين .

وبالعودة للجاسوس المصرى عماد اسماعيل نجد أن الموساد تمكنوا من التغلغل داخل عماد واغروه بالمال ونجحوا فى تجنيده بعد ان تأكدوا من ضعف نفسيته امام المغريات المادية وداخل اليونان ايضا تم تدريب عماد على استخدام اجهزة الارسال والاستقبال وكيفية الاتصال بعملاء الموساد بالقاهرة ونقل كافة التعليمات اليهم اى ان الدور الحيوى لعماد اسماعيل هو استقبال الرسائل أو نقل هذه التكليفات لبعض العملاء بالقاهرة باعتباره وسيطا من قبل الموساد الإسرائيلى وتسلم عماد اسماعيل جهازا دقيقا للارسال والاستقبال قام بوضعه داخل مكان سرى بشقته بمنطاى .

وفي مصر قام عماد بممارسة عمله فى الجاسوسية لحساب الموساد ونقل التعليمات التى يستقبلها الى بعض عملاء الموساد .

وبعد ان اثبت عماد لرجال الموساد كفاءته فى اتمام عملية هروب الفتاتين اعتمدوا عليه كثيرا فى نقل التكليفات الى العملاء وعندما حضر زعيم شبكة الجاسوسية وضابط المخابرات الإسرائيلى عزام متعب الى مصر قابله عماد اسماعيل وحصل منه على بعض التكليفات بجمع معلومات عسكرية وأمنية عن بعض الاماكن الحيوية فى مصر وسرعة جمع هذه المعلومات لاهميتها وسرعة ارسالها للجهات المختصة للموساد .

ولان القدر اراد ان يفضح امره فقد شاء حظه العاثر ان يسقط بالصدفة فى كمين لرجال مباحث القليوبية ويعثر معه بعد تفتيشه على شهادات وفاة مزورة ويتم احالته للمحكمة التى عاقبته بالسجن ٣ سنوات .

وداخل السجن احس عماد اسماعيل بان شبح خيانة وطنه تطارده فحبل المشنقة لايفارق خياله كما انه فكر فى اهله واقاربه واصدقائه عندما يعرفون انه خائن لوطنه فالهواجس تكاد تقتله ومن هنا اصابته شبه لوثه عقلية جعلته يحاول الانتحار داخل السجن اكثر من مرة عن طريق قطع شرايين يديه فهو يفضل الانتحار قبل ان تمتد اليه يد الموساد الإسرائيلى لقتله فهو يعلم انهم قد يقومون بزرع احد عملائهم لقتله داخل السجن حتى لا يبوح باسراره لاجهزة الامن المصرية ويؤدى ذلك لسقوط شبكة الجاسوسية التى يتزعمها ضابط المخابرات عزام .

ولان محاولات عماد اسماعيل للانتحار اثارت الريبة في قلوب مسئولى السجن فقد احيل لجهات قضائية لمعرفة اسباب انتحاره فاخذ عماد يهذى بكلمات غير مفهومه وهلوسه مضمونها (ان الموساد الإسرائيلى سوف يقتله داخل السجن ولذلك فهو يطلب حمايته) .

ولم تجد هذه الكلمات الغريبة صدى عند جهات التحقيق فى بداية الامر الا ان الجاسوس عزام اكد لهم ان لديه الاثبات على صدق كلامه فاعطى المحققين مفاتيح شقته بمنطقة(منطاى) واخبرهم عن وجود جهاز ارسال واستقبال وكانت المفاجاة العثور على الجهاز مما اكد صدق معلومات الجاسوس وفى دقائق معدودة تولى رجال المخابرات المصرية الاكفاء خيوط القضية لتؤكد لهم هذه المعلومة صدق معلوماتهم عن الرأس المدبر وقائد شبكة التجسس الضابط الاسرائيلى عزام متعب عزام لتكتمل كافة عناصر القضية .

وارسلت هيئة الامن القومى تقريرها فى القضية التى اثبتت أن الملابس الداخلية التى قدمها عزام متعب عزام عميل الموساد الى الجاسوس عماد عبد الحميد اسماعيل كانت تحوى حبرا سريا يستخدم فى الترسل ونقل المعلومات التى يطلبه الموساد من عماد بعد ان وافق على عرض منى الشواهنة المتهمة الثالثة فى القضية على العمل فى المخابرات الإسرائيلية اثناء اللقاء فى فندق حياة عمان بالاردن .

التقرير قدم الى نيابة أمن الدولة العليا بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٩٦ ونصه الآتى :

(انه بفحص المضبوطات تبين بفحص الحقيبة عثر بها على اماكن اخفاء وبفحص محتويات زجاجة الشامبو تبين عدم صلاحيتها للاستخدام كاحبار سرية وبتجربة استخدام خليط العطر والشامبو كمحلول لاخفاء الكتابة الظاهرة تبين عدم امكانية ذلك واختبار مستخلص قطعتى ملابس داخلية ماركة (بودى) بيضاء اللون فى الماء المقطر تبين وجود رواسب ملحية لاتستخدم فى مكونات التصنيع وبتحليل تلك الرواسب على وحدة جهاز الميكروسكوب الالكترونى الماسح تبين تواجد كافة العناصر المكونة للحبر السرى والمستخدم فى التراسل السرى وقد تمت تجربته واظهاره بمظهر خاص ومرفق نتيجة التجارب وكذا زجاجة سعة ٥ سم٣ بها الرواسب الملحية المتبقية من نتيجة الفحص وباختبار مستخلص باقى قطع الملابس الحريمى الداخلية

الاخرى فى الماء المقطر لم يتبين احتواؤها على مواد احبار سرية بطريقة التشبع وقد ارفق بهذا الكتاب ورقة بيضاد اللون دون على جانبها الاعلى جمهورية مصر العربية خمس مرات اسفل بعض ثم اظهار العبارات بمادة لونها مخالف للون الورقة الثانية عليه تلك الكتابة كما ارفق بالتقرير ورقة اخرى بيضاء اللون مشابهة للبيانات واللون الثالث على الورقة الاولى ، كما ارفق بالتقرير ايضا زجاجة بيضاء اللون شفافة تحوى سائلا ابيض ولاحظنا وجود عكارة به وقد اشرنا على التقرير وفقا بما يفيد النظر والارفاق) .

الى هنا ينتهى كلام الجاسوس الإسرائيلي ولكن لم ولن تنتهى محاولات اجهزة المخابرات من الاستمرار فى عملياتها أو تجنيد جواسيسها .

× × ×

الفهرس

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

أساطير التوراة	عاطف عبد الغنى
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
مخابرات ومخدرات	شفيق أحمد على
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
الملف السرى للسادات والتطبيع	شفيق أحمد على
عبادة الشيطان على ضفاف النيل	حسين عبد الواحد
الماسونية (قديما وحديثا)	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
الاستيطان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
القدس	خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد	ترجمة : زينات الصباغ
السلام الفتاك	محمد خليفة
البديل الإسرائيلى للعروبة	سيد زهران
مشروع للانتحار القومى !	مصباح قطب
غزة أريحا - المأزق والخلاص	عبدالقادر ياسين
غزة أريحا - التسوية المستحيلة	جورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
سلام أم استسلام	د. أحمد الصاوى
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل	جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر	جمال الدين حسين
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبدالخالق فاروق
المياه العربية	عبدالله مرسى المقالى

الإسلام والعرش	سيد زهران
من يحمى عروش الخليج	د. أحمد ثابت

إعدام صحفى	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
أزمة الانتماء فى مصر	عبد الخالق فاروق
التطرف الدينى ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة مؤلفين
حلايب	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر	حيدر طه
القوى الخارجية فى السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
الشيشان	عمرو ناصف

عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان	سليمان الحكيم
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
عبد الناصر وعبد الحليم حافظ والزمن الجميل	حسن صابر
البديل الناصرى	سيد زهران
عن الناصرية والناصريين	مجدى رياض
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د.أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	جورج المصرى
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد	مجدى رياض

الحركة الإسلامية فى مصر (دراسة موسوعية)	صالح الوردانى
الحركة الإسلامية فى مصر	صالح الوردانى
الكلمة والسيف	صالح الوردانى
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
المسيح فى الإسلام	ترجمة : عادل حامد
المسيحية والإسلام	حسين السيد
الحكومة والسياسة فى الإسلام	ترجمة : سيد حسان

الوجيز في بداية التكوين	عبد العزيز محمد، مصطفى الحولي
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د.محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدي رياض
كيف تقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن	محمد محمود عبدالله
كيف تحفظ القرآن	محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قبس من نهر الأسماء	محمد محمود عبد الله
الأحرف السبعة وأصول القراءات	محمد محمود عبد الله
صوموا تصحوا (الصيام والصحة)	محمد محمود عبد الله

الإبر الصينية في العلاج والتخدير	د . لطفي سليمان
الأعشاب الطبية	د . موسى الخطيب
أمن وحماية البيئة	خالد القاسمي/ وجيه البعيني

المساجد الألفية في الإسلام	د . أحمد الصاوي
معالم في تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د . أحمد الصاوي
النقود المتداولة في مصر العثمانية	د . أحمد الصاوي
النقود الإسلامية في مصر	د . رأفت النبراوي

إينـــــاسارو	د. علي فهمي خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس أبوليوس ترجمة د.علي فهمي خشيم
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
الخروج إلى النبع	محمد قطب
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
الدميرة	د. عبد الرحيم صديق
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني

مطربة الغروب	جمال الغيطاني
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط

حرب بلاد نعم	خيري عبدالجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبدالجواد
حرب أطاليا	خيري عبدالجواد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
شجرة الخلد	سعد القرس
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
فرد حمام	يوسف فاخوري
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوه
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين

سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
قصائد حب من العراق	البيـاتي وآخرون
أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
دنيـــا تنادينـا	طارق الزياد
صلاة المودع	صبري السيد
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
غربة الصبح	محمد الفارس
الغربة والعشق	مجدي رياض
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد
في مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد
إذهب قبل أن أبكي	د. لطيفة صالح

هذه الليلة الطويلة — د.أحمد صدقي الدجاني
اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية) — محمد الفارس
ملكة القرود — محمود عبدالحافظ

آلهة مصر العربية — د. علي فهمي خشيم
رحلة الكلمات — د. علي فهمي خشيم
بحثاً عن فرعون العربي — د. علي فهمي خشيم
أباطيل الفرعونية — سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية — سليمان الحكيم
هاجس الكتابة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد — د. أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
الجات والتبعية الثقافية — د. مصطفى عبد الغنى
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة — أحمد عزت سليم
في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع — محمد الطيب
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة — مجدي إبراهيم
البعد الغائب : نظرات في القصة والرواية — سمير عبد الفتاح
أعلام من الأدب العالمي — علي عبد الفتاح
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين — خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا — خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني — خليل إبراهيم حسونة

كشف المستور من قبائح ولاة الأمور — د. أحمد الصاوي
رمضان .. زمان — د. أحمد الصاوي
القصص الشعبي في مصر — إعداد خيري عبد الجواد
إغاثة الأمة في كشف الغمة
الفاشوش في حكم قراقوش
الحكمة المدنية لابن المقفع

ماهي السينما — صلاح أبو سيف
قضايا المونتاج المعاصر (جزءان) — د. عفت عبد العزيز
الصوت والضوضاء — د. مصطفى عبدالمطلب

عزة في الفضاء — أم كلثوم إبراهيم
مهرجـــان — أحمد زرزور/ممدوح طلعت
العصفـــور — أحمد زرزور/محمد فرح
علمني يا أبي حوار عن الصلاة — حسن سليمان
ما قالته الغيمة الأخيرة — أحمد زرزور
ويضحك القمر — أحمد زرزور

برلنتي والمشير (القصة الحقيقية) — سيد زهران
اعترافات الأميرة جيهان — ماجدي البسيوني
الجنس والشباب الذكي (كرلن ولسن) — ترجمة: أحمد عمر شاهين
تجارة الجنس جاري جوردون — ترجمة زينات الصباغ
صناعة النجوم سكوت أونيل — ترجمة زينات الصباغ
أشهر فضائح القرن العشرين — حسن صابر
أسوأ حكام القرن العشرين — حسن صابر
نجوم في الوحل — حسن صابر
الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة — حسن صابر
أمريكا .. حرية ، جنس وبوليتيكا — حسين عبد الواحد
بنات إبليس (نساء في مملكة الشر) — حسين عبد الواحد
التفسير الجنسي للتطرف — حسين عبد الواحد
التطرف والعنصرية على الطريقة الأمريكية — حسين عبد الواحد
الأطباق الطائرة — حسين عبد الواحد
حسناء البنوك ومعالي الوزير — أسامة الكرم
أسرار ما وراء الجنس — كمال عبد الرسول
كنز المعلومات — كمال عبد الرسول
تسلية ثقافية للكبار والصغار — أحمد عمر
الحرب العالمية الرابعة — ياسر حسين

أسرار الجاسوسية
ولعبة المخابرات

كلما تعددت علامات الاستفهام المبهمة .. وكلما زادت حيرة الناس فى فهم ما يدور حولهم من أحداث.. كلما نشطت أجهزة المخابرات وتعددت عملياتها وعملاؤها وضحاياها !!

وفى حياتنا المعاصرة ما أكثر علامات الاستفهام التى لا تجد إجابات محددة .. وما أكثر الألغاز التى يستعصى حلها !!

لذلك فإن الدخول إلى عالم المخابرات والجاسوسية يكون - دائماً - ملبداً بالأسرار والمفاجآت والأحداث الغامضة !

وفى هذا الكتاب يكشف المؤلف العديد من الجوانب الخفية فى نشاط أجهزة المخابرات وعمليات التجسس. ويخوض الكتاب بك مغامرة «إلى وكر الجواسيس» للكشف عن العملاء والتعرف على أحدث أساليب التخابر ومستقبل أجهزة المخابرات فى القرن القادم !!



يوسف هلال

- رئيس تحرير جريدة الميدان
- صحفى بمجلة روزاليوسف
- عمل بعدة صحف مصرية وعربية منها جريدة الحياة اللندنية - الأنباء الكويتية - العالم اليوم - العربى .
- صدر له من قبل كتاب بعنوان «السادات .. عملية اغتيال مجهولة»

مركز الحضارة العربية